﴿ فهرست العقد الفريد للملك السعيد ﴾

تابع فهرست العقد الفريد

تابع فهرست العقد الفريد

## تابع فهرست العقد الفريد



﴿تمت﴾

كتاب

العقد الفريد للملك السعيد

تأليف أبي سالم محمد بن طلحة

الوزير تغمده الله بغفرانه

وأسكنه بحبوحة

جنانه آمين

قال فى كشف الظنون .

(العقد الفريد للملك السعيد) لابى سالم محمد بن طلحة القرشى النصيبي الوزير المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة اوله الحمد لله حامى حوزة بلاده بملوك الخ جعله على أربعة قواعد (الاولى) فى مهمات الاخلاق والصفات (الثانية) فى السلطنة والولايات (الثالثة) فى الشرائع والديانات (الرابعة) فى تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات اه




يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له وعما عنه * الحمد لله حامي حوزة بلاده * بملوك اجتباهم لحراسة عباده * وحباهم من ألطاف إمداده * بلطائف إرفاده * وصلواته على رسوله محمد المصطفى الذي جاهد في الله حق جهاده * حتى ثقف من الاسلام أود منآده * صلاة يدخر ثوابها قائلها من عتاده * ويكررها على تعاقب أحقاب الزمان وآباده * ﴿ وبعد ﴾ فان القلم اذا جرى في القدم بتأييد الله وإسعاده * لمن اختصه من ملوك الدنيا بتوفيقه وإرشاده * ألهمه اكتساب السجايا الحميدة فورى في اقتباسها قدح زناده * وأكرمه بالمزايا الشريفة فأجناه من غراس سعيه ثمار مراده * وأيقظ طرف عزمه في مكارم الأخلاق فنفى عنه من وسن رقاده * وركض طرف فهمه في مضمار الوقائع فأدرك غامضها بجري جواده * حتى يرى أن استعباده رقاب الاحرار بامداد طارف احسانه وتلاده * واستنفاده في احياء سنة العدل وامانة سنة الظلم غاية جهده ونهاية اجتهاده *

قوله منآد على وزن منقاد بمعنى المنحني والمعوج ومصدره الانئياد كالانقياد انتهى مصححه

أنفع ذخائره التي يعتدّها من عتاده لمعاده * فلاجرم يمنحه كل ذى فضل ونهى
ثناء لسانه وشكر فؤاده * ويخصه كل ذى زهد وتقى بقسط من صالح دعائه
فى وظائف أوراده * كالمقام الكريم العالى المولوى السلطانى الملكى
السيدى النجمى أفاض الله عليه من لباس التأييد مفوف أبراده وراض
جوامح الاقدار لطاعته لتكون من أعوانه وأجناده * وجعل طلى أضداده
وكلى حساده يوم جلاده أغمادا لحداده * فانه لما تولاه الله بعين عنايته
فى اصداره وايراده * وحباه من خفى ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده *
وآتاه زمام ذلك كله فأذعن له الاقبال باصحابه وانقياده (شعر)

ودرت له أخلاف كل سحية * غذاها الى العلياء طول نجاده

وحاز رهان السبق فى حلبة العلى * بذى شرف من صافنات جياده

وانضاف الى ذلك أن غمرنى فى الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره
ومنحنى من سيب عطائه بتياره وأنزلنى من قلبه الشريف على بعد عهدى
بمقامه الكريم المنيف منزلة فرضت على ترتيل حمده بتلاوته وتكراره فالانسان
ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه لكنود واره ان جنح الى الانكار والجحود فهو
من آثار المبار التى شملته بين شاهد ومشهود فرأيت أنى لا أقوم فى هذا المقصد
المطلوب والمطلب المقصود بشكر سابل احسانه السابغ البرود وحمد منهل إنعامه
السائغ البرود الا بتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلى
العقود ويزداد العالم به مهابة وجلالا لاسيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود
ويطلع بمطالعته على قيم الحاضرين بين يديه فى كل صدور وورود ويكون على
الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الأخلاق الانسانية التى عليها مدار
وضب شرف السجايا وبها تدرأ خلاف كرم المزايا وهى شجرة مثمرة لابانة
الأخلاق التى بها سعد الغارسون وفى مثلها فليتنافس المتنافسون فأخذت
فى تأليفه وشرعت فى تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف ووفاء
بحقه الذى يقصر عن وصفه فصاحة لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن
يجعله كتابا تقر بمطالعته العيون وتصدق فى انتاجه الظنون فانه فى جميع فرائد
الفوائد وشوارد المقاصد كالفلك المشحون كلما قرأ منه مطالعه شيأ دفعه الى
حديث ذى شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته * (بالعقد

الفريد * للالئ السعيد) * وجعلته مشتملا على مقدمة وقواعد * أما المقدمة ففي الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المقصودة من مطالعته والحث على ادمان قراءته وملازمة النظر فيه وفي أمثاله (فأقول والله الموفق)

*( مقدمة الكتاب )*

قد ترشح في أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوي العقول بالدليل والبرهان أن الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الأصغر فان الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتباينة والشهوات الغالبة ما يقتضي خروجه في أكثر الأوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو إن رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخايل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى وان رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا وإن رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره في الوساوس والتقديرات وألقته ريح وهمه في أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وإن رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخايل الطيش فأسرعت به الى التلبس بالامور قبل وقت تمامها وحملته الى مباشرة الاشياء قبل إبرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل * وباعتبار هذه الأسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسرورا وتارة محزونا وتارة منبسطا وتارة منقبضا وتارة راضيا وتارة ساخطا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة جوادا وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة ضعيفا وتارة مطيعا وتارة عاصيا وتارة مستيقظا وتارة غافلا وتارة ذاكرا وتارة ناسيا وتارة متجاوزا وتارة منتقما فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه الى كشف الغطاء عما عليه الإنسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذي شرحناه والتقسيم الذي أوضحناه فقال عليه السلام * أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها ان سنح له الرجاء

أذله الطمع وان هاج به الغضب اشتد به الغيظ وان أسعد بالرضا نسى التحفظ وان ناله الخوف فضحه الجزع وان استفاد مالا اطغاه الغنى وان غصته فاقة شغله الفقر وان أجهده الجوع أقعده الضعف وإن أفرط فى الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد * فقد وضح بما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمات التى هى جواهر الكلام وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لأنواع الأخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا يقتضيها وهى تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا والشجاعة والجود والقوة والإحسان والطاعة والتيقظ وغير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق المرضيه والى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس المطمئنة عن التحلى بشئ منها كالحزن والانقباض والسخط والجبن والبخل والضعف والإساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة فلاجرم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها والصفات الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن اراد إزالة شئ من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى فى إزالة سببه أو فى تحصيل سبب نقيضه فانه اذا حصلت له الصفة الجيدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الأسباب فلاجرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه الأسباب وملازمة قراءته تؤدى الى تحصيل المرغوب ودفع المرهوب فحينئذ يتصور فى النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحمودة المرغوب فيها فيتسم بها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب منها فيبعد عنها و يحصل له من معرفة الأسباب وتفاصيل لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسأل عنه وما يجرى بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك تختلف لديه عظائم الأمور وتتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور و يرد عليه رسل ملوك الأطراف بمختار ومحذور فيحتاج فى ذلك الى رد وقبول وعلو ونزول وإشراق وأفول وإسعاف بمأمول واتصال لمقطوع وقطع لموصول بحسب ماتقتضيه مصلحة المملكة التى لا يجوز عنها صدوف ولا عدول فاذا عرف أصول قواعد هذه الأسباب

ومحصول عقائد ذوي الالباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب في هذا الباب ونطق بما يشهد له بأن الله تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف من المقاصد وأدمن الفكر فيما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره بجواهر ما فيه من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واقتفى سيرة من عرّض بذكره من العظماء الأماثل والملوك الأماجد حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونبله واستفاد به نباهة تشفع في اقتراع ذرى الفخار أصله وتزكى فعله وحقق بذلك أنه قد رزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يؤتي كل ذي فضل فضله * وحيث انتهى القول في المقدمة الى هذا المقام فلنشرع الآن في بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على إتمام المرام فنقول مقصود ما أومأت الاشارة اليه وثمرة ما وقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل قاعدة منها تشتمل على جواهر اذا نظمت في عقود الأجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح وزنها في نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلي بها أنه لعلى خلق عظيم

﴿وهذا تفصيلها﴾

*(القاعدة الاولى)* في مهمات الأخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)* في السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* في الشرائع والديانات *(القاعدة الرابعة)* في تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات

*(القاعدة الاولى في مهمات الاخلاق والصفات وهي تشتمل على عشرة أبواب)*

*(الباب الاول في العقل وما ينبني عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض العبادات اللازمة)*

*(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرّع)*

*(الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه)*

*(الباب الرابع في المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها)*

*(الباب الخامس في العدل والإنصاف وذم الظلم والإجحاف)*

*(الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف)*

*(الباب السابع في الوفاء وذم الغدر)*

*(الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة)*

(الباب

*(الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف وإغاثة الملهوف)*

*(الباب العاشر فى الصدق وذم الكذب)*

انما بدأنا أولا بذكر العقل اذ به يقع الوصول الى معرفة الأشياء وعليه مدار التكاليف الذى جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط فى ترتب الثواب والعقاب على الأعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفضيلته لعم الحكم بالاستواء بين ذوى الدراية والاغبياء فأقول والله الموفق لما يرضاه وإياه أسأل الاعانة على ما أقصده وأتوخاه

*(الباب الاول فى العقل)*

وماقص الله فى محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب الأمثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ماخلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الأول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأتى بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذى به يناط تكاليف الاحكام ويجرى القلم على صاحبه عند حصوله اما بالسن أو بالاحتلام وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الأيام أخلاف درته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبى فى أمته وقد يختص الله سبحانه بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرج عن حد الاكتساب يصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قضية يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له من الله سبحانه سابقة فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية لحظته بعين الرعاية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية

ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وتشابه من فرط إدراكه حدسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فكرته ولاتكاد تخطئ الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان وهو صبي حيث رد حكم داود عليهما السلام فى أمر الغنم والحرث

﴿فراسة سيدنا سليمان﴾

*(مطلب)*

وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه فى الليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيأ فقال داود فى الحكم بينهما الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره ذلك الوقت على مانقله بعض أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقالا له ماقال ولده سليمان فدعاه داود وقال ماهو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده ونمت قضبانه فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل من لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم اليه ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كانت ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته التى كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان وفى هذه القصة نزل قول الله تعالى فى محكم التنزيل وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف إلهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب فى كثير من الأسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام وما لا ينفك عنها بل يعرف بآثاره وأحكامه فأقول يستدل على كمال عقل الرجل بأمور متعددة (منها) ميله الى محاسن الاخلاق وإعراضه

عن رذائل الاعمال ورغبته في إسداء صنائع المعروف وتجنبه مما يكسب عارا ويورث شنارا وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه في كلامه وكثرة اصابته فيه فقيل فان كان غائبا فقال باحد ثلاثة أسباب اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته على قدره فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبه وقيل من أكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ولا يكفي في الدلالة على كمال عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلاته ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وبعر مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم تدفع ذلك غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله ويخيل في دعواه العقل بتمويهه ومحاله

كما ذكر أبو على القاضى التنوخي عن عضد الدولة ابن بويه انه كان قدم في دولته أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف واعتقد في كمال عقله ورزانة نبله ورجحان فضله فناط به أزمة عقده وحله واعتمد عليه في أمر ملكه كله وكان نفاق الحاشية يغطي عواره ويستره وألسن الخدم والاتباع لعضد الدولة تمدحه وتشكره وجماعة من عظماء الدولة تعرض عنه فلا تذكره وهو يتبجح بدعوى العقل وهو أجهل من باقل ويتحلى بحسن التدبير وهو بعيد عن المعرفة عاطل ويظهر الاستطالة على فضلاء الأماثل وهو خال عن الفضائل واستمر ذلك برهة من الدهر الى ان أتاح القدر المحتوم والقضاء المعلوم أن سافر عضد الدولة من العراق الى همدان فتبعه أبو محمد الخرنبازي يطلب خدمة وكان ذا دراية وفضل وعقل

و رزانة ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج في جملة الجماعة خشي من تقدمه عند عضد الدولة فيفتضح مستوره وتقبح أموره فحسن لعضد الدولة رده من الطريق وابعاده عن الصحبة وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة ويقيم بها قال أبو علي بن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال لابي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز تمضي الى أبي محمد الخرنبازي وتقول له تمضي الى البصرة ونحن نجري لك معيشة ترتزق منها فقد طال تعبك لنا وتعبك معنا وقد تبرمنا منك وليس في حضرتنا ما تحبه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز قد استصحب جماعة كثيرة في بعضهم غنية عن أمثالك فانصرف عنا واثقا بما نرتبه لك ان شاء الله تعالى ثم ان عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يكتم أبو بكر شيأ من الجواب لكونه من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد قال له أبو بكر صورة ما قاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك الامر للملك ولا خلاف له والسمع والطاعة لتقدمه ولعمري ان الناس بجدودهم ينالون وبحظوظهم يستديمون أقسامهم ولو أنني تقدمت عند الملك ونفقت لديه ما كان عجبا فقد نال منه وتقدم عنده من أنا أرجح منه ولكن المقادير غالبة وليس للانسان منها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة وشفاء لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له انا صائر الى ما أمرت ومتوجه الى البصرة لامتثال ما رسمت ولكن بعد أن تقضي وطرا في نفسي وفيه شهرة لعظمتك وتنبيه على أنك لا تنخدع في سلكك ولا يلتبس عليك محق بمبطل وعاقل بجاهل ومسيء بمحسن ويقظان بغافل وجواد بباخل وهو أن يتقدم فيقام عبد العزيز المكي بأبي القاسم بين اثنين على رؤس الاشهاد وينتقم منه انتقاما بالغا ويقال له اذا لم تبذل جاهك للمتهف ولم يكن عندك بر لضعيف ولا فرج لمكروب ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمنتجع ولا مأوى لضيف ولا ذب عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الالسنة بالادعية والمحامد للدولة

أوجدتك ولالك من العقل ما تميز به بين ما يكسب حمدا أوذما فلم ألزمت نفسك أن يخاطبوك بسيدنا وتقبيلك ليقبلها الداخلون و يقوم لك عظماء المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام و ركب وعاد قال أبو بكر ابن شاهويه فعدت وقد سبقني الذى كان معي مشرفا وذكر ذلك للملك عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فقال لى هات الجواب الذى ذكره أبو محمد فاستحييت من أبى القاسم أن أذكره فقلت سمعه الملك من المشرف الذى أنفذه معي قال قل فأنت كنت الرسول فاذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فما أمكنني الا أنني سردت كلام أبى محمد كما قاله ولم أترك منه شيئا وأبو القاسم يتقدد فى اهابه و يتمزق فى جلده و يتغير وجهه و يتلون ألوانا عند كل كلمة منه فاقبل عليه عضد الدولة وقال كيف ترى يا عبد العزيز لا جزاك الله خيرا الآن علمت انك لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تبتنى مكرمة ولا تحفظ مروأة ولا تحرس أمانة ولا يخرج مكرك عنك ولا همتك الا فى مال تجتذبه واقطاع لنفسك تعمره وتجعلنى بابا من أبواب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعنى وتقرب من ينفعك فخدمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جرك النار الى قرصك وشرهك فى جميع أحوالك وأذاك لمن يقصد أبوابنا ولكن لكل أجل كتاب ثم أمر به فأخذ فظهرت بسوء فعله قلة عقله وبقبح قصده ضعف رأيه * وفى أمثال هذه من الوقائع الشاهدة لأربابها باختلال الدراية وقلة العقل كثرة واغا خوف الاكثار أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطى الرجل فقال العقل فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشيره قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة تريحه وتريح منه وقال أبو الرشيد الرازى دخلت بغداد ولا أعرف بها أحدا ولم أعلم ما أعمل فى أمرى فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزى الصلاح فسلمت عليه وقلت له يا سيدى أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدرى اذ لم أجد بها معرفة من بلدى يهدينى الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامى لم يزدنى على ان انشدنى هذين البيتين

اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربة * فما عاقل فى بلدة بغريب
يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى أهله بحسيب

ثم تركنى ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان العقل هاد مرشد ومشير مسعد فاهتديت بنوره الوقاد فرزقنى الله كل مرام ومراد وقد وقعت من المتقدمين نوادر هداهم الله اليها بنور العقل وأهداها الينا أئمة النقل تشهد لمن صدرت عنه بالرأى الجزل وترشد سامعها الى معرفة ردّ الفرع الى الاصل

منها ان كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأثبتهم جنانا وأبسطهم قدرة وامكانا فرأى فى منامه رؤيا أحدثت عنده ضيق صدره واضطراب فكره فاستحضر من بلاده الى حضرته علماء عصره وقصها عليهم ليكون على بينة من أمره فاتفقت كلمتهم واتحدت اشارتهم ولم يقع عندهم خلف ولاشك فيما أدت اليه معرفتهم فقالوا له أيها الملك ان هذه الرؤيا تدل على ان ولدك شيرويه لابد أن يقتل أباه و يجلس على سرير ملكه و يتصرف فى الخزائن والملك يسمع هذا القول ولا يشيعه و يكتمه عن كل أحد ولا يذيعه فانه لابد أن يقع هذا جميعه ثم تفرقوا فاعتمد كسرى حالة أداه اليها عقله واستخرجها فكره فان لم تصح رؤياه وكان المنام أضغاث أحلام فما يضره فعلها وان صح منامه يقتص من قاتله بها فأخذ سما قاتلا لساعته وخلطه بمعجون ووضعه فى قارورة وختمها وكتب عليها بخطه دواء للجماع من تناول منه وزن درهم جامع مهما شاء من غير ضرر ووضع تلك القارورة فى خزانته تحت ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد من الناس قاطبة فما مضت أيام حتى قتله ولده شيرويه وجلس على سرير ملكه ثم أخذ يعتبر الخزائن فلما وقف على تلك القارورة وقرأ ما عليها فرح فرحا عظيما وقال هذا المعجون كان أبى يستعين به على جماع شيرين وأخذ من المعجون وزن درهم فمات من ساعته وعدت هذه الحالة من كمال عقل كسرى وحسن فكره ومنها ان كسرى كان يقدم يونان الوزير على جميع وزرائه وأصحابه و يعظم أموره ولا يعتمد مع بقية الوزراء مثل ما يعتمد معه فقالوا له ما السبب فى ان الملك يرجح عليه يونان و يقدمه فقال لهم ما معناه ان من خصه الله بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وأبناء جنسه وهذا يونان لما أفضت الىّ نوبة الملك تشاغلت أياما بالصيد فكتب الىّ يقول يعلم الملك ان خمسة أشياء ضائعة المطر فى الارض السبخة والسراج المشتعل فى ضوء الشمس والمرأة الحسنة الصورة

عند الرجل الاعمى والطعام الطيب عند المريض والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره فعلمت ان قصده بهذه الحكمة أن يوقظني لتدبير المملكة فلما دخلت من الصيد أحضرته وقلت له صف لى ملوك الدنيا وسيرتهم فى رعاياهم لاختار ما أعمل به منها فقال الملوك ثلاثة واحد ينتصف لرعيته من نفسه ويتجاوز عنهم ولا ينتصف منهم لنفسه فذاك أعلاهم درجة وأقومهم سيرة وأكملهم عقلا وأدومهم ملكا وأطوعهم رعية وأعمرهم بلادا وأملكهم لقلوب رعاياه وواحد ينتصف لهم من نفسه وينتصف منهم له فهو أوسطهم درجة فانه عمل بالعدل ولم يصل الى درجة الفضل وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم من نفسه فهو أنزل درجة وأقبح سيرة وأخرب بلادا لا تقر قلوب رعاياه من الاضطراب ولا ألسنتهم من التضرع الى قيم العالم فى ازالة ملكه وتعجيل هلاكه فهذه أحوال الملوك وسيرتهم فى رعاياهم فانظر أيها الملك الى هذه الثلاثة فاختر لنفسك ما أردت منها وأنا أعلم ان الملك لا يختار لنفسه الا السيرة الاولى لان نفس الملك شريفة وهمته عالية فهو يرغب فى ارتقاء أعلى درجات الملوك ويميل الى اقتناء جميل الذكر وجميل السيرة ويؤثر عمارة نواحى بلاده واقطار مملكته ويحب ما ينمى به مواد أمواله وجهات أعماله ويود أن يتملك أحرار القلوب وتخلد بعده سيرة تضرب بحسنها الامثال فلما سمعت كلامه علمت انه رزق عقلا وفضلا وفهمت بقوله واهتديت بحكمه ولم أجد عند غيره ما وجدته عنده فلذلك خصصته بالتقديم وأنزلته منزلته التى يستحقها

وقال تميم بن عدى اليربوعى كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق فسألته فى بعض الايام وقلت له ماذا يتم عقل الرجل فقال اذا صنع المعروف مبتدئا به وجاد بما هو محتاج اليه وتجاوز عن الزلة وجازى على المكرمة وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله فحفظت ذلك منه وألصقته بقلبى ثم بعد أيام نزلنا منزلا فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه فان زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام فليلة فى جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام فقال عبد الله لوكيله اخرج الى هذه البرية فلعلك تجد بها راعيا معه طعام فمضى الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأموه فوجدوا فيه عجوزا فقالوا لها هل عندك طعام نبتاعه منك فقالت اما طعام بيع فلا ولكن عندى ما كفانى وبأولادى اليه أمس حاجة قالوا وأين أولادك قالت فى رعيهم وهذا

وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ملتها أنتظر بها أن يجيئوا قالوا لها فجودي لنا بنصفها قالت لا ولكن بكلها قالوا ولم منعت النصف وجدت بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة نقيصة واعطاء الكل فضيلة فانا أمنع ما يضعني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله وأخبروه خبر العجوز قال ارجعوا اليها فاحملوها في دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس بن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالي قومي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك قالت لقد أفسد الهاشمي ما أتى له ابن عمه عليه الصلاة والسلام والله لو كان ما فعلت معروفا لما أخذت عليه ثوابا وانما هو شيء يجب على كل انسان أن يفعله قال فانه يحب أن يراك ويسمع كلامك قالت أصير اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما صارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد بلغته واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحا ومساء قال أخبريني ما الذي أعددت لاولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربي

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبائها فاذا أقبل بنوها فجئ بهم فقالت للغلام انطلق فكن بفناء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض عليه شعار الوقار اذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والآخر حديد النظر كثير الحذر اذا وعد فعل وان ظلم قتل والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بثار فذاك الموت المائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني لا تجلسوا حتى يأتوني فانطلق الغلام فاخبرهم الخبر فما بعد أمده حتى جاؤا فأدناهم عبد الله وقال اني لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعل جميل تقدم ولم يصدر منا واحدة منهما فان كنت أردت التكرم مبتدئا فمعروفك

مشكور وبرك مقبول مبرور فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق فقالت لهم العجوز ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

(فقال الاكبر) شهدت عليك بحسن الفعال * وصدق المقال وطيب الخبر
(فقال الاوسط) تبرعت بالبذل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر
(فقال الاصغر) وحق لمن كان ذا فعله * بأن يسترق رقاب البشر
(فقالت العجوز) فعمرك الله من ماجد * ووقيت ما عشت شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعي فالتفت الي وقال لي يا تميم وددت لو وجدت مزيدا في إسداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده في ذلك فقلت له لقد أحسنت وأربحت وقد شهد فعالك بما سبق من قولك فانت أتم الناس عقلا وأكملهم مروءة

ومن كمال عقل ابن عباس انه غير له مانع عليا عليه السلام أن يبعثه مع عمرو بن العاص في التحكيم فقال حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدة أما والله لو كنت مع عمرو لجلست في مدارج أنفاسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أطير إذا أسف وأسف اذا طار ولكن جرى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين

*(حكاية عن ذكاء إياس)*

قيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكابر عقلاء العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جماعته رجل مشهور بين الناس بانه أمين يستودعونه فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فاودع عند هذا الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الامين وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل أخبرت أحدا غيري فقال لا قال هل علم ذلك الامين انك أتيت الي تخبرني قال لا قال هل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك إياه واتركه عندك فاذهب ورتب موضعا حريزا فمضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له إياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك قل له تمضي معي الى القاضي لأعلمه بذلك

وأنصا كم أنا وأنت فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء الى القاضى وأعلمه أنه قد رد عليه وديعته وانصرف فجاء ذلك الامين الى القاضى لوعده طامعا فى أن يتسلم المال فسبه القاضى سبا كثيرا وأبطل قوله وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله وصحة فكره

﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾

مشتملة على حكمة وعة أنتجتها التجربة من ينبوع العقل تفيد ناظرها فضل اعتبار وتكسبه زيادة استبصار * قيل كان رجل من حكماء الاوائل له عقل ودراية وأدب وتجربة فسمع به ملك أرضه وسلطان إقليمه فاستدعاه اليه وقربه منه وبسطه باقباله عليه ومجاذبته له فقال له الملك ما معناه انك أيها العاقل الحكيم قد نصصت بسمت قويم وعقل بين وأدب واف ومنظر مقبول وتجربة وقفت بها على حقائق الامور فلم رضيت لنفسك بالمقام على التقصير عن حظك بالبعد عنا وقد تفتحت لك أبواب الرغبة فيك والميل اليك والانتفاع بعقلك واجتناء ثمرة مرفقتك فقال العاقل الحكيم للملك ما معناه ان كان قصد الملك فى مقاله أن يتطلع الى جواب احتج به لاقيم عذرا فى تباعدى عن رتبة القرب من الملك وقنوعى بالدرجة السفلى دون الدرجة العليا فهذا أمر لا يشتمل على كامل العقل ولا يجدى كثير نفع فى ابالة الملك وان كان قصد الملك أن يحرك ساكن العقل ليفيض اللسان من لآلئ الحكمة ما يستفيد منه الملك عقودا يحلى بها جيد أفعاله ويتخذها جنة واقية من طارقة الحوادث فهذا مطلب شريف تسارع النفس الى التلبس به وتنفعل القوى الانسانية له ويشرق نور العقل فيهتدى الى سلوك سبيله فقال له الملك ما معناه ان كل واحد منهما غرض مطلوب ومبتغى مقصود فاذكر مبتدئا عذر نفسك ثم أتبعه بجواهر حكمتك ونتائج عقلك وقال العاقل ما معناه ان الملك قد أفاض على لباس قربه وأحلنى فى الذروة العليا من رتبته ومنحنى بسطة فى كل مبتغى ومكنة من كل مشتهى ولامنى على التقاعد عن المبادرة الى هذه المحاب ولا مرد لما قاله الملك ولا يتطرق اليه شك مريب غير أنى بقنوعى بالبلغة واقتصارى على دفع الضرورة وتجنبى لمواطن المترفهين واعراضى عن البدار الى الدخول فى أبواب الكرامة التى فتحها الملك ومنح ارتفاع مرتعها أجدنى آمن السرب فارغ السر قليل الحرص لا أقصد أحدا بمكروه ولا أستهدف لاذى مخلوق وليس واحد من أتباع الملك الوالجين أبوابه الا وقد ملكه الحرص

واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فكل منهم يرمي طامح نظره الى زيادة مال يستقلها ليرضي بها ساخط حرصه ويمد يد أطماعه الى جمرة تحت يتوقعها ليجرها الى قرصه قد استفادوا بكثرة ما خولوه من الملاذ المستجمعة لديهم فقر أنفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم في فرط احتيالهم في طلب المزيد يدأبون في دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم وانتهاج مساعيهم متى بدى لهم مرهوب يقطع مأمولا جاهم الجزع على ارتكاب كل ما فيه دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يمنع سؤلا ألجأهم الحرص على اقتناصه الى فعل ما يعقبه وبال وعطب وقديما قيل الحرص يورد موارد الهلكة ويحمل على التغرير بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغني ما معناه

ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم نيروز لدخول الناس عليه بطرف التحف فحضر الموبذان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شئ فوضعه بين يدي كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ما هذا فقال اني كنت خرجت الى مكان النزهة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة قد وقعت فيها نار فألقت نفسها في الاجمة فهلكت فدخل البازي من حرصه خلفها فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكرا في حاله وما فعل به حرصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت أنه من أبلغ المواعظ فأحضرته بين يديك لتعلم أن الحرص مقود الى الهلاك والبوار وحيث اتصف من بيان الملك بهذه الصفات التي أيسرها الحرص والاخلاق التي أهونها الطمع فاذا امتثلت أمر الملك وحللت بالمكان الاثيل والمنزلة السامية من دولته فوقوا الى سهام العناد وقدحوا في زناد العداوة ونصبوا في مدارجي حبائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم أعمل الحيلة في دفعهم تهدم ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيهم وابست جنن التحفظ من كيدهم أتعبت فكري وأضعت عمري وقد لا أنفك عن ظهورهم علي وظفرهم بي وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حرم لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولو ابتليت بمعاند لم أجد قلبي مكافئا له على بغيه ولا مضاهيا لكيده وقد قيل المرء أمين على نفسه واللبيب من ترك ما لا طاقة له به فانه أستر لمكنون أمره وأبقى للآمال فيه ورأيت الملك قد استغزر عنده الاستغناء عني في كنفه فاقباله على من طرأ عليه لا ينفك عن ملل واستثقال وذو النفس المهذبة يصونها

عن التعرض لذلك فهذا عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوي دونه كشحا ولا يعرض عنه جانبا وأما ما يبتغيه الملك من حكم رأى يقتدي بها وجواهر عقل ينظمها زينة في أجياد أفعاله فأقول اذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأني فيه أحزم وأحسن من الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خبيرا عالما بامور ولاتك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا الى ذلك فان المسيء منهم والمقصر والمعتدي والخائن يخاف من خبرتك وعلمك بامره قبل أن تصيبه عقوبتك فيرتدع وان المحسن والامين يستبشر بعلمك بحاله قبل أن يأتيه معروفك فيدوم على نصحه ويزداد فيه لا تتركن حراسة الملك ولا تعرضن عن مباشرة جسيم أمره فيعود شأنه صغيرا لا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجمعن الملك بين المحسن والمسيء في منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فان ذلك يحمل المحسنين على التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة لكن يقابل كلا منهما بما يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان في الناس معايب وأحق من سترها وكره كشف ما غاب عنه منها الملك فانما عليه أحكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن اعلم أن رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشياء فاجعله للاهم منها فان ما صرفته من رأيك ووقتك لغير الاهم أزراء بالاهم وعليك بحب العلم وأهله العاملين به ورحمة الضعفاء والرفق بهم والنظر في أمور الرعية والاجتهاد في مصالحهم فهم عباد الله الذي استرعاك لهم وسائلك عنهم وقد قال صاحب الشريعة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا يغفل الملك عن اقامة شعائر الشرع واتباع ما يقوله حملته في تثبيت قواعد العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فان ذلك يحيي الحق ويميت الباطل ويكتفي به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة من خدمه وبطانة من أتباعه وجماعة من جنده يجعلهم محل اعتماده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك في مبدأ الامر أخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويزلف اليه من تحلى بحميدها ويقصي من اتصف بذميمها ولا تركنن الى خائن ولا تعتمدن على شره ولا تثقن بكذوب ولا تسمعن نصيحة جهول ولا تقبلن قول حسود ولا تأخذن

برأى دنىء ولا تمكنن من محادثة سيئ الخلق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقاد الجهبذ أخلاط النقود فينفي الزيف منها ويختص بخالصها وقد جرى على ألسنة العلماء والحكماء السالفين ألفاظ من الحكم المنتقاة من جواهر الكلام ما هو أنفع لمتأمله والمستعمل له من كنوز الذخائر (منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور والقهر لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطالب من يملكها (ومنها) لينظر الملك الى المنتصح له فان دخل من حيث العدل والصلاح فليقبل نصحه وليستثمره وان دخل من حيث مضار الناس فليحذره وليحترز منه (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر يفسد والعادل يصلح والافساد أسرع من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل اذا رضى عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء وان كان عظيما فهو أهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الاحرار فلما سمع الملك مقاله فى الاعتذار وفهم ما تلاه عليه من الحكم العظيمة المقدار النفيسة الاقدار عرضه على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقاه بالقبول والاعذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار واتخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام نهجا يهتدى به آناء الليل وأطراف النهار وفى هذا المقدار بلاغ ومقنع فى حصول البغية للمقتدى به وظهور لعلو رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل ونجز المطلوب من اثبات ما تقرر فى بابه وان الله سبحانه يأخذ ويعطى به وانه مناط التكليف فلنردف بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما افترضه على عباده عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التى يجب العمل بها والوقوف عندها والاعمال التى تلزم المحافظة عليها واتباع طريقتها وهى التى كان الصحابة عليهم رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون الى الله باعتقادها ويحملون على المحافظة عليها والعمل بها أنفسهم بجدهم واجتهادهم وقد صنف أئمة العلماء كتبا فى بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الامة انه لابد من اعتقادها فى حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب وحاول أن يحصر ما قيل فى ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم بما وجب فمحضت أوطاب الاقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت زبدة مقاصد ما قيل ولخصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح فى اعتقاد أهل الصلاح

وهي عقيدة أهل السنة والموروثة اعتقدها ان شاء الله دخول الجنة .

وهي ان الله واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ند له قديم أزلي دائم أبدي لا أول لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ ولا يشبهه شئ مستو على العرش كما قال وبالمعنى الذي أراده والسموات والارض والعرش والكرسي في قبض قدرته وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا تشابه ذاته ذات الاجسام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار في دار القرار على مادلت عليه الاخبار والاثار حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد الكائنات مدبر الحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وكل ماسواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم في أفعاله عادل في قضائه منزه عن الظلم فإنه لا يتصرف في ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما متفضل بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابته لعباده على الطاعات محض كرم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ماذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بان محمدا صلى الله عليه

وسلم

وسلم رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وانه حق وأن الميزان حق وأن الصراط حق وأن الحوض حق وأن الموت حق وأن الحساب حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم وترتيبهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا وموقنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا الله الدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب

فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة وبقيت الاربعة الاخرى فلا بد من التعرض الى ذكرها فان الاسلام بنى على قواعد خمس على ما نطق به الحديث النبوى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان هذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على صحته فالركن الاول هو التوحيد وما يتعلق به والعقيدة المذكورة كافية فيه والركن الثانى الصلاة ولا بد من التعرض للطهارة قبلها لانها شرطها فنقول الطهارة تنقسم الى قسمين طهارة من الخبث وهو النجاسة وطهارة من الحدث وهو ما ينقض الوضوء ويمنع من الصلاة ولا تحصل الطهارتان الا بالماء المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب ازالتها ويجب الاحتراز من مقاربة النجاسة خصوصا من رشاش البول عند قضاء الحاجة للانسان ويجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالحجر وأما طهارة الحدث فتنقسم الى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين

و ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة و يستصحب النية و يتمضمض و يستنشق ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين و يطيل الغرة فوق المرفقين ثم يمسح رأسه يبدأ بمقدمه ثم يمسح اذنيه ظاهرا و باطنا ثم يغسل رجليه مع الكعبين و يطيل الغرة فوق الكعبين و يبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه و يفعل ذلك ثلاثا ثلاثا والوضوء مشتمل على فروض و سنن فاما الفروض فالنية عند غسل الوجه وغسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وأما السنن فما عدا ذلك والبداءة باليمين من السنن لا من الفروض وكذلك الاذكار * وتفصيلها ان يقول عند المضمضة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وعند الاستنشاق اللهم ارحنى رائحة الجنة و يقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود وجوه أعدائك و يقول عند غسل اليد اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم انى أعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى و يقول عند مسح الرأس اللهم أظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك و يقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلنى ممن استمع القول فاتبع أحسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار وان مسح رقبته كان حسنا و يقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال و يقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل الاقدام وعند اليسرى اللهم انى أعوذ بك من أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين * واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء و يقول أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغنى فى حصول المقصود من الوضوء ومعرفته وحيث ظهرت فرائضه وسننه فلابد من شرح ما ينقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب (الاول) ما خرج من احدى السبيلين كيفما كان (والثانى) زوال العقل الا بالنوم قاعدا ممكنا (والثالث) لمس بشرة المرأة بشئ من بشرته (والرابع) مس الفرج من الادمى بباطن الكف ولا ينقض الوضوء بالفصد ولا بالرعاف ولا بالحجامة ولا بالشك فى الحدث بعد تيقن الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له أن يصلى ولا أن يحمل المصحف ولا يمسه وأما الغسل من الجنابة فأول مايعمده ان يغسل فرجه من اذى ان كان عليه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم ينوى الغسل من الجنابة أو استباحة الصلاة و يبتدئ بجانب رأسه

الايمن

الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه ويخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله ويدلك ماتصل اليه يده من بدنه ويكرره ثلاث مرات ويقول اذاتم اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الحدث والغسل مشتمل على فروض وسنن فأما الفروض فالنية وايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى امتثال الاشارة في أعمال الطهارة وفي ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة والغسل تارة يكون واجبا كما ذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان واجبا على ماشرحناه بالجنابة كان أثره جواز ماحرم على الجنب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ القرآن وأن يحمل المصحف أو يمسه وأن يلبث في المسجد فاذا اغتسل جاز له ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيدين وما في معناهما من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا أسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعلها من غير عقاب على تاركها

﴿ خاتمة ﴾

قد تدعو الحاجة في بعض الاحوال الى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلاغنى عن الاشارة الى شئ من أحكامه فان كان في الاقامة فمدته يوم وليلة وان كان في السفر المجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام ولياليهن وأول المدة من وقت الحدث بعد لبس الخف ويشترط لجواز المسح أن يكون الخف ساترا لمحل الفرض من الرجل وان يمكن متابعة المشي عليه وقد لبسه على طهارة كاملة والشك في انتهاء المدة أو في ابتدائها في السفر أو في الحضر يوجب غسل الرجلين واذا خلع الخف وهو على طهارة المسح كفاه غسل رجليه ولايحتاج الى اعادة الوضوء على الاصح ويكفي مسح القليل من أعلاه دون أسفله فهذا مايتعلق بالطهارة وقد قدمنا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على مانطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلاة وأحكامها فالصلوات المكتوبة في اليوم والليلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها وأول الوقت أفضل من آخره فأول وقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شئ مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخر وقت الظهر أدنى زيادة وآخره الى غروب الشمس

وأول وقت المغرب غروب الشمس ويمتد اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب الشفق الاحمر وأول وقت العشاء غروب الشفق الاحمر ويمتد الى طلوع الفجر الثاني وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ويمتد الى طلوع الشمس والصلاة إذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أو في آخره لكن أوله للفضيلة وآخره للجواز وان وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بد في صحة الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سرته وركبته وكذا عورة المرأة المملوكة وأما الحرة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذا لا بد من استقبال القبلة الا في النافلة في السفر وفي المحاربة اذا اشتد القتال وفي الصلاة فروض وسنن فان ترك شيأ من فروضها بطلت صلاته وان ترك شيأ من سننها لا تبطل ﴿والفروض﴾ هي النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدتين والطمأنينة في هذه الاربعة والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه المذكور وما عدا هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعذر المرض بل اذا عجز عن القيام صلى قاعدا وان عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ولا يتركها ما دام عقله ثابتا فقد ورد فيها أحاديث كثيرة خصوصا في صلاة الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها وتلخيص ما نقله الائمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال في الجمعة من تركها وله امام جائر أو عادل استخفافا بها أو جحودا لوجوبها ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا لا صلاة له ألا لا زكاة له ألا لا صوم له ألا لا حج له ألا أن يتوب فيتوب الله عليه

*(الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة)*

فمن جحد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه اخراجها من ماله وصرفها الى مستحقيها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فمن امتنع من اخراجها أخذها منه السلطان وصرفها الى أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة الا في نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب الذهب عشرون مثقالا وزكاته نصف مثقال ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة

دراهم

دراهم ومازاد فبحسابه وهو ربع العشر ويستحب الاكثار من الصدقة تطوعا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله تعالى على الصدقة ثوابا عظيما ﴿ تنبيه ﴾ من جملة الواجب من أنواع الزكاة زكاة الفطر وهي صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول وبطلوع فجره على قول ويجب اخراجها يوم العيد ويجوز تعجيلها في جميع شهر رمضان وهي صاع من غالب قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي

## ﴿ الركن الرابع صوم شهر رمضان ﴾

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو مع عظم ثوابه وفضله لا يرجح على الصلاة بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول في ذلك في المصنف الموسوم بتحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم الى فرض ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فان غم كمل شعبان ثلاثين يوما ويشترط في صحة صوم شهر رمضان وفي كل صوم واجب كالقضاء والنذر تبييت النية من الليل وفي القضاء ينوي أنه يصوم غدا قضاء وينوي في النذر أنه يصوم غدا عن النذر وفي رمضان ينوي كل ليلة انه يصوم غدا فريضة رمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالاكل والشرب والجماع والاحتقان وما في معناها وليس الاكتحال والفصد والاحتجام من المفطرات ولا ما يدخل الحلق من غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا اذا أكل أو شرب ناسيا ويستحب أن يعجل الفطر اذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه صومه عن كل ما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والاذى وان يقول عند الافطار اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ويجتهد في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان وأن يفطر الصائمين على طعامه فقد ورد في هذه الاسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل فكل الايام سوى شهر رمضان والايام المنهي عن صومها محل لصوم النفل وبعضها أشرف من بعض ولا يشترط في صحته أن يكون بنية من الليل والايام التي لها فضيلة الاختصاص بصيامها نفلا يوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد العيد لوداع رمضان

## ﴿ الركن الخامس الحج ﴾

وهو من جملة القواعد الاسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن من مقاصد هذا الكتاب لم نتعرض لشرحها * فهذا تلخيص ما دعت الحكمة الباعثة على تأليف هذا الكتاب الى بيان ما لابد من ذكره في ذلك مما به تحرر ما رمنا بيانه في باب العقل ولوازمه

## *(الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرع)*

قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر وقوله ان الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وقوله وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى الجملة فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفيها قراءتان من التبين والتثبت وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا كل هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة في الامر بالصبر والتثبت وترك الاستعجال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة كقوله عليه السلام النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة ونقل عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون واعلم أن الصبر محمود العاقبة يثمر النجح و يورث المقصود و يكبت العدو و يغيظ الحسود و يقضي لصاحبه بالسيادة و يكسوه فضيلة الحزم و يدفع عنه نقيصة الحرمان فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته

نعم من ذكرتم لولا العجلة فيه وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني على أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح على الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في شئ يؤمله * فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

فحفظته منه وألزمت نفسي بالصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وحسن أثره

ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت تزهق نفسي وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه بزة رثة وله هيئة حسنة وعلى وجهه أثر العبادة فوقف علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر المكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه علي أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه من أراد الفوز فليجر مع الزمان في ميدانه وليصبر على حدثانه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه منه مسلما فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم ثم قال وهو منصرف

أيا والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت من الحبس في ذلك اليوم وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعته منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه بعض الابدال السائحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني

* ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر وبسهل لذوى البصائر سلوك طريقه الوعر افضاؤه بعد مكابدة العسر الى سعة اليسر فانه قلما أخفق مطلب صابر ولا انقلب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر

ولقد قرع أبواب مسامع الاستفتاح ما يشهد لمتدرع الصبر بالفوز والنجاح وهو ما رواه أبو العباس أحمد بن حماد الكاتب بطريقه عن أبي محمد المريمي قال قصدت أبا الجيش خمارويه بن أحمد بمصر ممتدحا له فأقمت ببابه زمانا لا أصل اليه فرثى لي كل من عرف حالي وأرشدت الى كنيز المغني فصرت اليه وسألته أن يشفع لي فقال ما جرت العادة أني أكلمه في أحد ولكن ان قدرت أن تعمل شعرا أغني به بحضرته فان سألني عن قائله عرفته من حالك ما يكون فيه عائدة صلاح عليك فعملت شعرا على البديهة وهو

هم علموني البكا لا ذقت فقدهم * يا ليتهم علموني كيف أبتسم
كتمت حبهم صونا وتكرمة * فما درى غير اضماري بلى وهم

فصاغ لهما لحنا وغنى به فيهما ثم قال من سعادتك أنهما مطربان فكن بالباب ولازمه الى ان أجد الفرصة في أمرك فأقمت بباب أبي الجيش أياما وضاق صدري من مخالطة النفاطين ورجالة النوبة * ثم ورد الي كتاب العجوز تذكر فيه ما لحقها من الضر وزيادة بعدي وما هي عليه وما نالها من الفاقة والضر فتأذى سري بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسهو فأنسيت المديح الذي عملته في أبي الجيش في البيت الذي كنت آوي اليه وترنمت بأبيات من الشعر في معنى ما ورد به كتاب العجوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما هجم الليل ضعفت نفسي عن المصير الى دار أبي الجيش وسئمت من كثرة التردد وهممت بالعود فقلت أصبر لعل الصبر يعقب فرجا فقويت نفسي وراجعت فكري ودخلت دهليزا من دهاليز الدار وبقيت أكثر ليلتي أردد فكري في وجوه المطالب وفيما أنا فيه من عظيم التحير في أمري وأمر العجوز بما ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من حجابه وبين يديه فارس يحمل شمعة والفراش ينادي أين المريمي فقلت ها أنا ذا فقال أجب الامير فنهضت وأنا أعض يدي ندما على تركي القصيدة ثم دخلت الى حضرته فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع معنبر موكبي والخدم محدقون به فلما رآني قال هات يا مريمي فقبلت الارض وقلت أيها الامير ان عظيم

ما أنا فيه أنسانى ما عملته من المدح فى الموضع الذى كنت فيه غير أنى مترنم بأبيات فى معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الامير والدتى فقال هات ما حضر فأنشدت

كتبت تسأل الاياب وتوصينى بتعجيله أشد وصيه
واشتكت علة لفقدى وقالت * صر الينا ولو بغير هديه
قد لبسنا ثوب التصبر من بعدك حتى لم يبق منه بقيه
أتشاغلت أم ملكت بمصر * بضة غضة الشباب طريه
فعلت الجواب مهلا فانى * عن قليل آتيك بالامنيه
بألوف تروق عينك صفر * من جارية ومن أجديه

قال فلما سمعها بكى وقال والله ليصدقن ما وعدتها به وليصدقن ظنها بك ثم أمر الى خادم من خدمه شيأ لم أعلمه فمضى الخادم ومكث غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل منديلا ثقيلا فقال أبو الجيش تسلم يا مرمى الالوف التى وعدت عجوزك الوالدة بها فأخذتها وهى ثلاثة آلاف دينار ثم أمر الخادم بشئ فمضى ورجع عجلا فقال ان مولانا أمر لك بجارية من جواريه فقبلت الارض فقال يا مرمى أردنا أن نحقق ما ظنت العجوز فدعوت له وأخذت ثلاثة آلاف دينار وجارية بجميع حليها وثيابها ورحلها وخادمها وثلاثة آلاف درهم نفقة الطريق وانصرفت الى أهلى فما أمر ما كانت مكابدتى للصبر وما أحلى ما كانت عاقبته فلما وصلت الى أهلى نمت تلك الليلة فبينما أنا نائم واذا بكبير المغنى قد دخل على فقمت اليه وقبلت وجهه وقلت له يا أخى جزاك الله عنى وعن أهلى خيرا فقال لى يا أبا محمد كيف رأيت ثمرة الصبر فى آخر الامر عليك فى أمورك كلها به فانه لا يخفق لك معه مسعى ولا يخيب لك أمل واعتبر قول الشاعر

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا
لا تأيسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستيقظت ولم تزل وصيته والابيات نصب عينى فالصبر لا يحتمله الا من رجا بالصبر حصول ما يتوقعه أو خاف ان لم يصبر من فوات ما يحبه كما نقل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولا يتكلم ويصبر ولا يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى فقال لم لا تصيح فقال ان فى القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبنى بعينه

فأخشى ان صحت أن يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي . أنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك

ومما يعضد ذلك ما حكاه الامام القشيري رضي الله عنه في كتاب التحبير عن عمرو ابن عثمان الزاهد أنه قال كان في أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو يصبر ولا يشكو فدخلت عليه أعوده فقال لي يا سيدي هل لك من يقول شيأ فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل فأنشد

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض عبدكم فأعود

وأشد من مرضي على صدودكم * فصدودكم أهوى على شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المنشد وأخذه الوجد فصاح ورفع طرفه الى السماء وقال الهي علمت صبري على ما قضيت وصدقي في صبري والآن فقد فني الصبر وطالت المدة وطلبت النفس الخروج مع شيخي وأصحابي الى مواطن عبادتك فأزل عني المرض وأعد لي عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السياحة كأنه ما كان مريضا فقلت لاصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرته ومن لم يصبر في مواطن الصبر لابد أن يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن العلوي الهمداني قال كنت تلميذا للشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي يوما يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعد في مراقبة قلبي ومحاسبة نفسي ثلاثة أيام ولياليهن فتصبر معي قلت كرامة فقعد وقعدت معه يومين فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي اشترينا طيرا سمينا وقد عملناه في التنور وتحته جوذاب فتقوم تجيء الى البيت لاجل ذلك فقمت معه فقال لي الشيخ الى أين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما أمكنني أن أصبر عنها ثم تركته ولم أصبر معه وأتيت البيت وبت عند أهلي وقلبي متعلق بما في التنور فلما كان بكرة أخرج الطير من التنور فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وسلب الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فعثرت بالجوذاب فبددته من القدر فقمت بسرعة لاتناول القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي وندمت على ما فعلت فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رآني قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يسلط عليه كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها لأهون من نار الآخرة وفي هذه الواقعة تنبيه على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بها دليلا على تطرق الندم الى من لم يصبر

واحد

ولقد أحسن القائل

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر فيما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل مما يرتجيه نصيبه

*(تذكرة نافعة وتبصرة جامعة)*

قيل ان رياضة النفس بنور العقل تورث التنزه في رياض عاقبة الصبر فمن تفوق من شرابها جرعة أنالته في الدنيا علو القدر وفي الآخرة مرجو الاجر وقد جرت أدوار الاقدار بما يسجل عند حاكم التجربة حقيقة هذا الامر * فإن يوسف الصديق صلى الله عليه وعلى آبائه لما صبر واتقى علا في معارج العلاء ومدارج الآلاء ووصل الى فلك الممالك الفاخرة وظال الارائك بالآخرة في أشرف مرتقى حتى قيل له لما استدت مرامي أمره واشتدت نوامي أزره وامتدت في النواحي والاقطار مؤيدات ذكره وارتدت الاكرة بالمساعي من الجهات الى عمارة ريف مصره بم نلت الملك ودانت لك الامور وذلت لديك العظماء وخضعت لامرك الفراعنة وأطاعك من عصى على سواك فقال ما معناه نلت ذلك بصبري على غيابة الجب وضيق السجن وفراق الاهل والبعد عن الوطن

*(هداية واضحة وبداية صالحة)*

الصبر وان أمرت موارده فستحلو مصادره وان قصرت بوادره فستعلو أواخره وكم من صابر أدرك غاية مأموله وبلغ بصبره نهاية سوله ومن تطرس قوله تعالى حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقف بصفاء بصيرته وضياء معرفته على ما في الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر وما يحصل به من نور النيل الزاهي الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لأصبرن كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها وانما أحسنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه وقاله قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال مقاتل

رضى الله عنه هم ستة نوح وابراهيم واسحق و يعقوب و يوسف وأيوب صلى الله عليهم و بيان ماصبروا عليه حتى سماهم الله بنبيه أولى العزم

أما نوح صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله هكذا حتى اذا يئس من ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال لابنه يابنى هذا الشيخ انظر اليه واعرفه لايغرك فقال له ابنه ياأبت مكنى من العصا فأخذها من أبيه فضرب بها نوحا عليه السلام ضربة شج بها رأسه فسالت الدماء على وجهه فقال رب ترى مايفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من الخشب يجرى على وجه الماء أنجى فيه أهل طاعتى وأغرق أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال انى على ما أشاء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور و بعث الله سبحانه وتعالى اليه جبريل يعلمه وأوحى اليه ان عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فلما تجزت السفينة جاء أمر الله تعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الاب الثانى للبشر وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب موضع بسطه فهذه نبذة صبر نوح وانتصاره

وأما ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه بيت ثم بنوا حيزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجدران

وسدّوا أبواب ذلك الحيز وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستا وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الارض وأخرج له عين ماء عذب * قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم صلوات الله عليه بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وفوّض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى به فقابل أمره بالامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره عليه وقضاه عاوضه عن ذبح ولده وفداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه

وأما اسحق عليه السلام فانه صبر على بلية الذبح وملخصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحق (فان أكثر المفسرين على انه اسحق) انى أريد ان أقرّب قربانا فقم فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش دمي فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع في امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى * قال مجاهد لما امر السكين على حلقه انقلبت فقال له مالك يا أبت قال انقلبت السكين قال اطعن بها طعنا قال السدى جعل الله تعالى حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيه السكين شيأ فلما ظهر منهما صدق التسليم نودى هذا فداء ابنك يا ابراهيم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ومعه كبش أملح فأخذه

وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم حصل لاسحق ما حصل ببركة هذا الصبر على هذا البلاء المبين أن جعله الله تعالى نبيا وبشر ابراهيم بذلك فقال عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين

وأما يعقوب عليه السلام فانه لما ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذا يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما يباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبر وقبول فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة

وأما أيوب عليه السلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وأمواله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فكلمه فى الظلم جماعة من الانبياء وسكت عنه أيوب عليه السلام لاجل خيل كانت لايوب فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب تركت كلامه لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعها فقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زروعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازل أيوب وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب وهو يصلى وتمثل له فى صورة قيم من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد عمت عليهم ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر واحرقت زروعك وانهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى رزقنى ذلك كله ثم قبله منى وقام الى صلاته فرجع ابليس خائبا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخت ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى ان بانت منه أمعاؤه وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوّض أمره الى الله وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته بنت افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قد سلمت فتتردد اليه تتفقده فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة باسمى وقد برئ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله

لاجلدنك مائة جلدة تأمرنى أن أذبح لغير الله وطردها عنه فذهبت عنه فبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس خر ساجدا وقال الهى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمانى عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا الى مخلوق ما نزل به عاد تعالى بألطافه عليه فقال عز وجل فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه لتحلة قسمه وجمع له بين ثنائه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب وأهدى المذاهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية مرامهم ومأمولهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم

*(اشارة مستعذبة المجانى وعبارة مستغربة المعانى)*

قيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب تعقبه الراحة والضيق تعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الامر تنزل الرحمة فالموفق من رزق صبرا وأجزل الشقى من ساق اليه القدر جزعا ووزرا

ربما شنف السمع من نهج هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبره فقلت ما هذا يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فى أضيق حال وأسوإ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرج جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن ان غدا يضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى وقلت اللهم اشتد الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين النائم واليقظان اذ أتانى آت وقال لى قم وصل ركعتين وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات غيوب الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنظر الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أمرى

وا كشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم يختل على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد نفتحت فقمت وخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانطلق بقصد الحجاز

*(خاتمة لهذا الباب في الفقر الموضوعة والدرر المسموعة)*

(منها) من صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوه وسر صديقه (ومنها) من صبر على عدوه الى أن تلوح له الفرصة عليه أمكن نفسه من الانتقام منه واستئصال شأفته وقطع دابره (ومنها) من استعجل في امر يحاوله كان جديرا ان لا يناله وجديرا إن ناله أن لا يدوم له فان الخلل يلازم العجل (ومنها) يجب على الملك ان لا يعجل في الانتقام ممن سعى به اليه حتى يكشف عن اغراض السعاة وما حملهم على السعاية فرب عدو يصنع زورا ويلقيه الى مسامع الملك ليسلطه على المكذوب عليه (ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك احسن والسرعة والاستعجال في الانتقام قبيح وهو من الملوك أقبح لاسيما اذا كان في أمر لا يمكن تداركه (ومنها) كم من صبر أفضى بصاحبه الى جذل وسرور وكم من استعجال أشرف بصاحبه على هم وندامة وعنوان ذلك ان الصابر يتوقع خيرا والمستعجل يتوقع زللا

*(الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه)*

لما كان الشكر عظيم الوقع وافر الخطر وافي المكانة موجبا للزيادة في النعمة المشكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل فاذكروني اذكركم واشكروني ولا تكفرون وقال تعالى واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام في الصلاة حتى تورمت قدماه قيل له ان الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا* والشكر المتعارف بين الناس هو اظهار النعمة والتحدث بها وبسط اللسان بالمحمدة والتعظيم للمنعم بها والتنويه بذكره ورفع قدره وقد انعقد الاجماع على وجوب الشكر للمنعم عقلا وشرعا وأن من أنعم الله عليه وأحسن اليه ولم يمدح المنعم

وشكر المحسن يجدر أن يحكم عليه بلؤمه وخساسته وان سلب النعمة وينقطع عنه مددها واغدا أنصف بعض بني أمية وقد سئل بعد زوال ملككم وانقراض سعادتهم وانقضاء دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل عليكم فقال قلة شكرنا لله تعالى على ما أنعم به علينا واشتغالنا بلذاتنا عن النظر في مصالحنا وتفويضنا أمورنا الى من لا دين له ولا أمانة عنده وظلم نوابنا الرعايا لغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيات واختلف علينا الجند لقلة عطائهم فاستدعاهم أعداؤنا فأجابوهم وأعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لقلة الانصار فآل أمرنا الى ما آل

ومما يعظم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه ويروق لذوي الافئدة المستيقظة سمعه ما قيل في حديث الحديث المعرب عن بعض عظماء أهل المغرب حين عمت نعمته واتسعت بسطته وامتدت مدته ونفذت في دولة مخدومه كلمته فقال له يوما بعض من له الجراءة عليه في سؤاله ومعرفة بقديم حاله واقبالة ما الذي أوصلك الى التقرب من الملك والتقلب في أنواع نواله وافضاله حتى ألحقك في احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال يا هذا اعلم أنه لما أمحل هذا الصقع في تلك السنة التي عمت بها عام القحط واضطرب الناس واشتدت الازمة وضاق الامر وكثر الجوع وقل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكثر ونفدت ذخائر الاغنياء وسحبت المنية ذيل الهلاك على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما في قبضة الحاجة والقلة فدعت الضرورة الى أن كتبت الى الملك ورقة لطيفة وكان ذا ميل الى الفضل ورعاية لاهل العلم وبعثت بها اليه (وصورتها هذه) لقد عرضت فاقة أسقطت رداء الحياء عن منكب الحرية وأنطقت لسان التعفف على خلاف العادة بالمسألة وأحوجت أهل الصيانة الى تحمل ذل الابتذال وقد وقع في النفس أن في رأفة الملك وبره ما يكشف ضرا ويسترق حرا ويستوجب على الابد حمدا وشكرا

فامنن بما يغني ويثمر دائما * حمدا يدوم على مدى الايام

فلما وقف عليها وقعت منه بموقع فأرسل غلاما على يده ما دفع الحاجة وسد الخلة فكتبت على يد الغلام كلاما كثيرا منثورا وأعقبته بهذين البيتين

شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل

فلقد ملأت يدا ما منيت به * كف الرجاء وناظر الامل

فلما وقف عليها أطربته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا شكره للقليل من برنا فكيف يكون اذا أتحفناه بانعامنا وألحقناه بخواصنا فاستدعاني وخصني بلطائف بره وفعل بي ما هذا الذي رأيته بعض أثره فبذلت له ما في وسعي وجهدي من مناصحة وجد وشكر وخدمة وجدير لمن شكر أن يشمله المزيد ومن رعى الاحسان أن يبلغ فوق ما يريد فان رب العزة جلت قدرته وتعالت عظمته مع استغنائه عن العالمين ولا ينتفع بكثرة شكرهم ولا يضره زيادة كفرهم قد بذل المزيد لمن شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فما ظنك بالانسان الذي يحمل له نشر الشكر والدعاء ويطربه ذكر الحمد والثناء وينفره جحود ما جاد به من النعماء ويتأثر تأثرا ظاهرا على بشرته بهذه الاشياء وكما ان الشكر اذا نطق به المنعم عليه من العبيد والاتباع والاماثل والاشياع يقضي لهم بزيادة الحباء وادامة الاحسان على الآناء فكذلك اذا رأى السيد أو المنعم بعض أصحابه وخدمه وحاشيته وحشمه قد اسفر فجر نجحه عن صبحه وأضاء زناد نجحه لقدحه فحمده على حسن صنعه ومدحه بالقيام بما في جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق رقاب الاحرار ويستجد من مناصحتهم اخلاصا في الاعلان والاسرار حتى يهون عليهم في تحصيل مراده ركوب الشدائد والاخطار ويسهل عندهم مكابدة الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاوطار

كما نقل عن المهلب بن أبي صفرة لما كان في قتال الازارقة وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما ومعه بنوه فقال لابنه يزيد يا بني تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاكفني أمرها فاخذ يزيد جماعة وتقدم فلما التقى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن يربوع من وجوه كندة فنكى الحارث في الازارقة نكاية عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من حملات الحارث وفعلاته دون الباقين فلما جن الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد اكرامه وقال مثلك يا حارث من يسدي اليه المعروف ويستندب لدفع الكريهة ولقد بيضت وجه قومك وصدقت بحملتك نعتك وصدقت المخيلة فيك وأرضيت

ربك فى دينه وأميرك فى نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول من المهلب قوى حرصى على القتال وهان على ألقاء نفسى وعشيرتى فى غمرات الموت بين يديه فلما أصبح ركب ابنه يزيد وأصحابه فجمعت عشيرتى وأخذت عليهم مواثيق الموت أو الظفر فلما التقى الجمعان هيجت عشيرتى وحملت بهم فلا والله ما كان الا هنيهة حتى هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب ينتظر فلما أتينا بالغنيمة قال لى المهلب بك و بعشيرتك ياحارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بل بك كسرهم يزيد فقال لى كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذلك الشكر منك بالامس لى والكلام الذى هو عند ذوى الفطنة واللب أعلى قدرا من الملك هو الذى أوجب ما رأيت * ولولا خوف الاطالة لامليت من أمثال هذه الوقائع جملا ولضربت عند كل قضية منها لمن يتأملها مثلا وتلوت من شواهدها ما يدل على أن الشاكر بشكره أكمل معرفة وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتنى نعما لملكت ببعضها * رقى فراقت مدحتى فى شكرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

*(تذكرة وتبصرة)* كما ان شكر المنعم يستدر للشاكر أخلاف الازدياد ويبعث على امداده بمعاودة الاسعاف والارفاد فكذلك كفران النعم يعرضها للزوال والنفاد و يلبس جاحدها لباس سوء السمعة بين العباد وقد علم انحصار الازدياد من شكر وحلول الانتقام بمن كفر وفى قصة مكة حرسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ نعمه وجعلها بلدا آمنا وشرفه فوسمه بحرمه ومنحهم من لطائف رفده فضلا ومننا وأوسعهم غاية مرامهم غنى وأمنا وقال فى كتابه العزيز أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ثم بعث من بينهم محمدا عليه السلام رسولا من أنفسهم فدعاهم الى الايمان وتلا عليهم القرآن وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحضهم على صلة الرحم وحثهم على مكارم الاخلاق فكذبوه وكفروا نعمة الله التى أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لذوى الافهام فقال سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفى

هذا لذ بمان كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نقل من الحكم المطربة والكلمات المأثورة عن ذوي التجربة ان من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى المحسن بالاساءة فقد استفتح باب سخط العزيز ذي الانتقام

ولقد بلغني ان الخليفة المنصور أمير المؤمنين لما أحسن الى عبد الجبار وولاه امرة خراسان وناط بيده أزمة أمرها وفوض اليه حكم قلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه ما شهدت به ألسنة نظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن سبيل شكرها وأغراه باتباع هواه فارداه في مهواة كفرها فكتب صاحب خبر المنصور اليه يخبره بما شامه من برق عبد الجبار ولحه من صفحات وجهه وسمعه من فلتات لسانه فضاق المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا وأثار اضطرابه منه في وجه كيفية عمله نفعا وعلم ان الانتقام نازل عن كفر النعمة وان كان أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر في الحال اليه من هو موثوق بدينه من الكبراء ومرموق بعين الاصابة عند اشتباه الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمتابعة الاهواء ومطلع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقد يماقل من استضاء بنور الآراء في ظلمات الخطوب هدى الى الظفر بالمرغوب والنجاة من المرهوب فلما أطلعهم الخليفة المنصور على ما طولع به من كفران عبد الجبار لاحسانه وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة واذعانه وتنكره على من عنده من أنصار المنصور وأعوانه واستشارهم في كيفية استدراجه الى الحضرة بعسيره وانيانه قبل أن يجاهره بمجال الفتنة وعصيانه فمنهم الامن استنزل من سماء فهمه صيب صوابه ونشل بدلو فكره ورويته خبايا جعابه والخليفة مصغ الى كلامهم لا يزيد على أن يسمع ويرى ويجمع سهام أفهامهم ليختار أسدها في اصابة مقتل ما قد عرى فلما انثلوا كنائن الافكار وخرجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار جهدهم على نصحهم وأذن لهم في الانصراف وقد علق بقلبه مقال واحد منهم يعرف بأبي أيوب الجوزي فانه استصوب تدقيق فكرته واستعذب تحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه بوادر عقيدته فلما حضر استعاد منه مقاله وسأله عما كان ذكره في ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين بادر الآن بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بأنك تريد غزو الروم وقد استدعيت الجنود من جهاتها مره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا

منها وانفصلوا منها سير من شئت الى عبد الجبار بحضره فما يقدر على الامتناع وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا بتلك الصورة فأجابه عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد جاشت وهي مجاورة لخراسان فان فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استحضر المنصور أبا أيوب وألقى اليه كتاب عبد الجبار فقرأه وعلم ماقصده فقال يا أمير المؤمنين الآن أمكنك الله تعالى منه اكتب الآن اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت من الترك أنهم قد جاشوا فحفظ خراسان معين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان عندك تستعين بهم على حفظها ثم يجهز أمير المؤمنين الجنود ويسيرها الى خراسان فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوا بعنقه فكتب المنصور الكتاب وسيره فلما وصل كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره وكتب الى المنصور ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها الضيق ماهم عليه من غلاء السعر فلما أتى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب فقرأه وعلم مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا الرجل قد أبدى صفحة الخلاف وتقمص بلباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمدا المهدي وأصحبه العساكر وقدم لمحاربته حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدي بالعساكر فنزل نيسابور وتوجه حازم بن خزيمة الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو الروذ فبلغ ذلك أهلها وعلموا كفران عبد الجبار لنعمة المنصور ومخالفته له فخاف منهم فهرب واختفى فطلبوه حتى ظفروا به وأسروه وسلموه الى حازم فألبسه مدرعة صوف وأركبه على بعير وجعل وجهه الى ذنبه وسيره الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فلما وصل هو وولده وأصحابه المساعدون له على كفران النعمة وجحود الاحسان والمجاهرة بالمخالفة والطغيان صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام ثم آخر الامر أمر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه واشهار ذلك ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران وجازى بالاساءة على الاحسان

﴿خاتمة﴾ لهذا الباب في الحكم الحسان النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان (منها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعمة اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت (ومنها) شكرك من أولاك ماتستقل ببعثه على ان

ويمحق ما استكثر في حق أمثالك (ومنها) من خطب النعمة بالشكر نكحها بالدوام والعاقل يرغب في الشكر ويبذل امكانه في اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤنة شكره وأراحهم باهماله من تلاوة حمده فقد يئس من مكارم الاخلاق كما يئس الكفار من أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدي اليها العقل والعقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عناية ربانية يمنحها الله من يشاء من خلقه فمن زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه فهذه فقرفائقة ودرر رائقة

*(الباب الرابع في المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها)*

من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بها مع استغنائه عنها فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وقال تعالى يمدح من وصفهم في كتابه العزيز بصفات جيدة لا يحوزها الا الموفقون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك في فضيلة المشورة دليلا والى نهج فضلها سبيلا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة لاصحابه أشيروا علي وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال ان تسترشد وقال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام ما شقي عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه وفي التوراة من لم يستشر في أمره يندم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر استشارة لاصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعددة (منها) لما أراد مصالحة عيينة بن حصن والحارث بن عوف حين قصده الاحزاب يوم الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معهما من غطفان قال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعود يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن زرارة فشاورهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيأ فعمل بمشورتهم (ومنها) استشارته في أسارى بدر فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء وأشار عمر رضي الله عنه بالقتل فعمل صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر (ومنها) لما نزل صلى الله عليه وسلم ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت هذا المنزل

منزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا عنه متقدم ولا متأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا ليس بمنزل فانهض يا رسول الله بالناس حتى نأتى أدنى منزل من القوم فننزل على مائه ثم نغير ماوراءه من القلب والآبار ونعمل لك حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المشورة سبع خصال استنباط الصواب واكتساب الراى والتحصن من السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الاثر وقال لقمان لابنه يا بنى اجعل عقل غيرك لك فيما تدعوك الحاجة الى فعله فقال ابنه كيف أجعل عقل غيرى لى قال تشاوره فى أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه و يقضى الله فى أمره ما يحب وقيل للاحنف بن قيس بأى شئ يكثر صوابك ويقل خطؤك فيما تأتيه من الامور وتباشره من الوقائع قال بالمشورة لذوى التجارب ومخض زبدة الآراء

تهذيب واضح وتنبيه لائح من واردات الحكم ومسندها عن أكبر أساطين الحكمة وموردها وقد سئل ما بال العاقل ذى اللب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفره بذلك فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى وقديما قيل سبعة لا ينبغى لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما يتضح بصحة هذا المقال وصدقه و يطلع أنوار تحققه من مطالع أفقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد منهما صارفا عن الحق المبين وواقفا وجه السنن المستبين

*( اشارة عزيزه وعبارة وجيزه )*

لابد فى أهلية المشورة من صفاء فكرة وضياء حس وجودة فهم وقوة نفس وسبق

تجربة وصحة حدس واطلاع على مختلفات الامور واجتماع ديانة ومروءة تمنع من مقارنة المحذور ومقاربة قول الزور فاذا حصلت هذه المزايا باطلعه الله بنور بصيرته على ما وراء الحجاب المستور فأصاب عند مشورته بصدق فكرته مواقع المقدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من الظلمات الى النور وشفاء لما في الصدور

ومما قرع المسامع وأطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهتدي بنور الاستشارة مصيب لسواء السبيل وكيف يضل من بين يديه من اتباع الشرع وضياء العقل أوضح دليل وتلخيص القضية بعد افراغها في قالب الاختصار وابلاغها مستخفها من البيان مع مجانبة الافراط والاقتصار ما أورده معناه ذوو الاستبصار من فضلاء الامصار ان الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحجاج في الواقعة التي أخذت فيها شيعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكل من مال اليهم حين خرجوا عليه فظفر بهم فسفك وقتل وهتك وانتهك واستباح المحظور وارتكب من النكال ما جاوز حد الانتقام وكان من يعتذر اليه في موافقتهم وليس منهم فقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحجاج صديقا لي فقال ياشعبي اعتذر اليه عساك تنجو من أذاه فحدثتني نفسي بأن أختلق أعذارا يقبلها فلما كان الليل طفت على أقوام لي على عقولهم اعتماد وفي رأيهم حسن ظن فقلت لهم ما تشيرون على فغدا أبدأ بي الحجاج في أول مجلسه فاتفقت اشاراتهم مع اختلاف عباراتهم على ان الصدق أولى ما نطقت به فاعتمدته فلما أصبحت ودخلت عليه سلمت عليه بالامرة وقلت له أصلح الله الامير ان الاعتذار بغير ما يعلم الله انه الحق لقبيح عند من هو دون مكانتك وايم الله لا أقول في مقامي هذا الا الحق والصدق لقد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فضحك الحجاج بعد سطوته وسكن بعد ثورته وقال والله أنت أحب الينا قولا واصدق ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويعتذر ويقول ما فعلت ولا شهدت أنت آمن ياشعبي فقلت أيها الامير اكتحلت بعدك السهر واستشعرت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد بعدك خلفا فقال صدقت فطب نفسا وانسه أملا فخرجت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال

الصدق وقد قيل ما أمرض أحد من قبول قول المشير الا واستغشى لباس الندم على التقصير وقد قيل ماضل من استخار ولا زل من استشار

وقد نقل ان ابن عباس رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الواقعة المشهورة خرج علي رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تبين في وجهه فقال رحم الله عمي العباس كأنما كان يطلع على الغيب من وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيأ الا بعد شر لا خير معه فقلت يا أمير المؤمنين لو قبلت مشورته لاسترحت فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسألني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت قعد العباس وعلي رضي الله عنهما في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن أخي كنت أشرت عليك بأشياء ولم تقبل مني ورأيت في عاقبتها ما كرهت وها أنا الآن أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت والا نالك ما تكره كنت أشرت عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله ان كان الامر فينا أعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت ان منعناه لم يعطناه أحد بعده فمضت تلك ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت ابسط يدك نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك منافي وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان بايعتك قريش لم تختلف عليك العرب فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل وان يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عم فقلت لك ما دعوناك اليه ثم لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عليك ان لا تدخل معهم في الشورى فانك ان اعتزلتهم قدموك وان ساويتهم لم يقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت وها أنا أقول لك الآن ارى هذا الرجل يعني عثمان رضي الله عنه يأخذ في أمور وكأني بالعرب وقد سارت اليه حتى ينحر كما ينحر الجزور والله لئن كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيأ الا شرا لا خير معه فهذا كان رأى العباس ومشورته ولكن حاجز القدر منع من العمل بهذه المشورة ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضي الله عنه يشاور في كثير من الوقائع حتى قال يوما لاصحابه أشيروا علي ودلوني على رجل استعمله في أمر قد دهمني فقولوا ما عندكم في أريد رجلا اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم فقالوا نرى لهذه

الصفة الربيع بن زياد الحارثي فنشير على أمير المؤمنين به فاحضره وولاه فوفق في عمله وقام فيه بما أربى على رجاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيه وزاد على أمله فشكر عمر رضي الله عنه من أشار عليه بولاية الربيع وكان يحث على المشورة في الامر الكبير الرفيع والحقير الوضيع وقد قيل في ذلك من استشار فقد اعتصم من الرأي بالعقل المنيع ومن استبد فلا يأمن ان يختل مراده أو يضيع وعلى الجملة فشل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ولطالما ادرك المستشير بغيته فانقلب بقدح الفائزين ولولا الاستشارة لكان عن ادراك مأموله من العاجزين

وقد ورد من مستحسنات مايطرب عن بعض ساكني يثرب ويعرف بالاسلمي قال ركبني دين أثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى مالابد منه فضاقت على الارض ولم أهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والرأي فاشار على بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له يمنعني بعد الشقة وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله مازادني على ماذكره لي الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت أصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهنا وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على ذوو الحجا والرأي بقصدك لقضاء حاجتي فقال لي هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشيرة فقلت لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان قمت بها فانت أهل لذلك وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فأخذني معه فوجد في خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الي قال الاسلمي فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا وسرورا واعادني اليه مسرعا فقال هل وصلك مايقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتصديق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمي فلما سمعت كلامه وقد احرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود

من استشار فباب النجح منفتح * لديه في مبتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجزيت المشير بن علي خيرا وعاهدت الله تعالى انى لا اترك الاستشارة في جميع أمري ما عشت * وكم من نديه دهمته حادثة أظلم من الليل اذا يغشي فهدته الاستشارة الى كشف كربته بها أوضح من النهار اذا تجلى فامن سربه وزال كربه اذ أسمعته المشورة لا تخف انك أنت الاعلى * وقد ورد من عجائبات القصص ومستغربات القصص ما يصف هذا القول بالصواب ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارتياب ويقذف في نفس سامعه أن حدس واصفه قد أصاب وان سحاب فهمه ورباب علمه قد تنزل بالحكمة وصاب

فانه قيل في مسطور السير ومزبور وقائع العبر ما معناه ان الخليفة المنصور كان قد صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور موذة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك والايالة فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساءظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وترادف خوفه وحزنه وقديما قيل من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف كان ألمه أشد ونكايته قرحه أعظم ومن خامر قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطلع القلوب الى تدبير دماره وهلكه كان جديرا به مجانبة الرقاد ومخالفة السهاد ومجافاة جنبه عن المهاد واعمال فكره وحيله في اصلاح ما عرا أمره من الفساد فادت فكرة المنصور الى أمر دبره وفكر كتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه وأخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه يا ابن عم اني مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مسعدا لي على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد ما في بعضه ما يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله ليقودوه به ويقتلوه قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وافكرت في قتله رأيت من الرأي ان أشاور في قتله من

له رأى عمى ان أصيب الصواب فى قضيته فاحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الى عمه وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فى ذلك وما تشير على به فقال لى يونس أيها الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك أن تدخله الى مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وتجعل بين كل من هو من بطانتك و بين المعرفة بهذه الحال حجابا وأظهر لامير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنى به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره أنكر أمره لك وأخذك بقتله وقتلك به قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وادخلت عمى الى خزانة فى داخل دارى وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أياما وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مفاتيحها معى وأظهرت لامير المؤمنين انى أنفذت امره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته إخوة عبد الله وحثهم ان يسألوه فى عبد الله ويستوهبوه منه وأطمعهم فى اجابتهم فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم حقوقكم تقضى باسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحج عبد الله عمى وعمك ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى قال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به قال عيسى بن موسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو أردت قتله لسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد اعترف وأقر بقتل أخيكم مدعيا انى أمرته بذلك وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين ادفعه الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذونى الى الرحبة واجتمع على الناس فقام واحد من عمومتى الى وسل سيفه ليضربنى فقلت له يا عم أفاعل أنت قال إى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخى فقلت لهم لا تعجلوا ردونى الى أمير المؤمنين فردونى اليه فقلت له يا أمير المؤمنين انما أردت قتلى بقتله والذى دبرته

على من عصى الله من فعله وهـذا عمك باق حى سوى فان أمرتنى بدفعه اليهم دفعته فاطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارن خسارا وقد يقـال من اتبع هواه وشرع فى ابهواءه وقطع نظره عن عواقب ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه أقرب اليه من ادراك ما أمله ورجاه فقال المنصور لعيسى اتدنا به فمضى عيسى وأتى بعبد الله فلما رآه قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا فقال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحى وزالت كربتى وكان ذلك ببركة المشورة ليونس وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور اسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن فى مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مرامها البعيدة وقد وضح من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعانته بأنوار الافكار وآرائها قطع عنه مواد مراده وفت فى قوى قصده واعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشفائها ولا زال عنها ما خامرها من أدوائها بما اعتمده من طرق دوائها وان استسقاء عيسى ماء المشورة واستنزاله من سحائب سمائها واستضاءته بنور مشكاتها فى دجى الحيرة وظلمائها أروى صداه وأهدى اليه هداه فجرت له الاقدار بسلامة نفسه وبقائها وقلما رغب فى المشورة أحد وعمل بها الاغنم ولا زهد فيها وأعرض عن قبولها الا ندم بلغنى ان أمير المؤمنين محمد الامين لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون وحصر ببغداد واشتد عليه الامر وضاق بين يديه المسالك الى النجاة قال من استشار ذا رأى ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على النفر بطاقاته لما حصل عندى من أخى المأمون حالة أحضرت الشيخ أبا الحسن القطبى وكان ذا رأى ومعرفة بموارد الحوادث ومصادرها فحادثته فى أمر أخى المأمون وما الذى أعتمده حتى يقع فى يدى وأطلعته على حقيقة الحال واستشرته فى كيفية العمل فى ذلك فقال لى ان استعجلت لم تنتفع برأى ولا فعل وان تمهلت وقبلت مشورتى وعملت بما أقوله تمكنت من أخيك وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو حجاج خراسان اذا قدموا بغداد وتجلس لهم مجلسا عاما وتقول لهم ان أخى كتب الى يحمدكم ويذكر حسن طاعتكم وجميل انقيادكم وجميل مذاهبكم وتجزيهم خيرا ثم تقول لهم قد أطلقت عنكم الخراج سنة وأخوك فى خراسان وهى بلاد رجال بلا مال وليس له فى رد قولك حيلة وسينااله من ذلك خلل

عظيم حتى ينتقض عليه أكثر أمره ثم تفعل فى السنة المقبلة مثل ذلك وتسقط عنهم خراج سنتين فان لم يؤت فى السنة الثالثة بأخيك فى وثاق والافاضرب عنقى ان كنت حيا في القته وماقبلت مشورته وعجلت الى خلع المأمون وعقدت الامر لابنى حتى وقع ماوقع فمن خالف المشير ندم على التقصير (قيل مامعناه) ان بعض صدور العراق كان له رواء وروية ومكانة فى دولة الخلافة علية وعليه من ملابس النباهة حلة سنية وتحمله من الولاية مطية وطية ففوقت اليه الايام من حوادثها سهاما وأقامت له من الحاسدين القاصدين خصما فأبرم له حبل احتياله ليسومه باغتياله ظلما وهضما وكان قدعلم ان التوفيق مهد بالاستشارة لكن فنسى ولم نجد له عزما فاعرض من الاستشارة فيما عراه استكبارا ولم يرض لنفسه أن يقلد فى أمره مستشارا فأهواه تيهه فى مهواة الحيرة عثارا ولم يجد له على دفع ما كاده به الحاسد القاصد أنصارا قال فخشيت ظهور المرامى لاسهم الرامى وضاقت على فى المدافعة فسحات المرامى فأغفيت اغفاءة فرأيت فى منامى انسانا واقفا أمامى وهو يقول لى عليك بشعر الازدى فقلت وماقال الازدى فقال قوله

تمسك بأهداب المشورة واستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولاتجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى قوة للقوادم

فاستيقظت وقد حفظت البيتين فسألت عنهما لمن هما فأخبرت انهما للجعاع الازدى كما قال لى ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيما حدث لى واعتمدت العمل بالمشورة فاندفع عنى ما كنت أتوقعه من الاذى المردى والتلف المتوقع فعاهدت الله تعالى بعدها أن لاأترك مشاورة أهل الرأى وذوى المعرفة فى جميع مايعرض لى ولزمت ذلك فربحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم فى مباشرة ماتأتونه ومجانبة ماتعرضون عنه فقال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد حازم ذو رأى ومعرفة فنحن نشاوره فى الجليل والحقير ونعمل برأيه فكأننا اذا صدرنا عن رأيه ومشورته فى ألف حازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقد قيل

اذا ماعرى خطب ورمت وروده * فشاور فكم نجح هدية المشاور
وأنفع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فابصر بعده من تشاور

## ﴿خاتمة لهذا الباب فى الحكم المقولة والالفاظ المنقولة﴾

(منها) لامعين أقوى من المشورة ولاعون أنفع من العقل فالمشورة تقوى العزم وتمنح

النصح وتوضح الحق وترشد الى الاصابة وتبسط العذر وتزحزح عن مواقف الندامة والعقل يهدى صاحبه الى اجتناء ثمرة المشورة (ومنها) من استشار ذوى الرأى والمعرفة فى فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بآرائهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم نهجها قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلبه فان أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم (ومنها) من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار هدفا لسهام الملام ومضغة فى أفواه العاذلين (ومنها) من فضل المشورة انها تكشف لك طباع الرجل فتى طلبت اختبار رجل فشاوره فى أمر من الامور يظهر لك من رأيه وفكره عدله وجوره وخيره وشره (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعدم عند الاصابة مادحا وعند الخطا عاذرا

﴿الباب الخامس فى الانصاف والعدل فى الرعية والظلم والاجحاف فى البرية﴾

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقبل الشروع فى مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن وجه المطلوب فيه لابد من الاشارة الى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الصفات الجميلة والخلال الحميدة * فأقول نقل عن قتادة رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى أمر عباده فى هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفساف الاخلاق ومذامها وقال أيضا انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويستونه الا أمر الله تعالى به وليس من خلق سئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه * وبلغنى ان الشعبى قال جاء شتير ومسروق فقال شتير اما أن تحدث ما سمعت من عبد الله بن مسعود فأصدقك واما ان أحدث فتصدقنى فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك قال سمعت عبد الله يقول ان اجمع آية فى القرآن لخير أو شر آية فى النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالسا اذ مر به عثمان بن مظعون فكشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجلس فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبينما هو يحدثه اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فنظر ساعة وأخذ يضع بصره حتى وضعه عن يمينه فى

الارض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره وأخذ ينغض رأسه حتى كأنه يستفقه ما يقال له ثم شخص رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة ثم أقبل على عثمان كجلسته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وآتيك فما رأيتك تفعل فعلتك هذه قال وما رأيتني فعلت قال رأيتك قد شخص بصرك الى السماء ثم وضعته عن يمينك فتحرفت اليه وتركتني وأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيأ يقال لك قال أوفطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتاني رسول الله جبريل وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي واذا أحببت محمدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد بن المغيرة وكان كبيرا في قريش فقال له يا ابن أخي أعد علي فاعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمورق وما هو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل ونصفة والمراد بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بايتاء ذي القربى صلة الرحم فلا تقطعها والمراد بالنهي عن الفحشاء ما قبح من الافعال والاقوال وبالمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغي الظلم والعدوان وفي هذه الآية مقنع وبلاغ في فضل العدل وعلو درجته وكمال منقبته والحث على اجتهاد الانسان في التحلي بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فأعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وقال صلى الله عليه وسلم حد يقام في الارض خير من أن تمطر أربعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا وروى بلفظ آخر ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ولاه الله تعالى

أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرّم الله عليه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال يتعدى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان كسرى أنوشروان يسمى بالملك العادل ويكفيه في الشرف والفخر وعلو الذكر والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال ولدت في زمن الملك العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك هذه الصفة قال لاني جعلت العدل أكبر همي وجاني عليه قول الحكيم الفاضل لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد وأثمرت الاموال فكثر الجند وآل الأمر الى ما ترى * وقد نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في هذا المقام ما هو أفصح وضعا وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ لانواع البلاغة والفصاحة جمعا وهو قوله العالم حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان تجب له الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس قوام العالم

## ﴿اعتبار واستبصار﴾

بلغني ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة كتب الى الحسن البصري أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق الحازم الرفيق الذي يرتاد لغنمه أطيب المراعي ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكفيها من أذى الحر والقر والامام العادل يا أمير المؤمنين كالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا ويكسب لهم في حياته ويذخر لهم بعد وفاته والامام العادل يا أمير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر لسهره وتسكن لسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى تفرح لعافيته وتغتم لشكايته والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده والامام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله ويريهم وينقاد لله ويقودهم اليه فلا

تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وان الله تعالى أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المقالة فلما قدم كتاب الحسن البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه موقع وعظه وحل أيقظه

*( ومن متداول الالسنة على طول الازمنة )*

قولهم عدل السلطان يقوم مقام خصب الزمان زعمت الفرس ان فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور كان ملكا عادلا واتفق ان الناس قحطوا في زمانه سنوات متوالية حتى غارت الانهار والعيون وقحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة من الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تطيق حملا لشدة القحط وقلة القوت فبسط من احسانه ونشر من آثار عدله وكف من جباية الحقوق واستخراج الخراج والمستحقات وأخرج من بيوت الاموال ما فرقه وأمر باخراج ما في الاهراء والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وساوى في ذلك بين غنيهم وفقيرهم وأخبر رعاياه انه متى بلغه ان انسانا مات جوعا عاقب أهل تلك البقعة ونكل بهم فقيل انه لم يمت في تلك المجاعة العظيمة الا رجل واحد من كورة ازدشير فقام عدله في الرعية مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فيقول سوسوا الناس بالعدالة واحملوهم على النصفة واحذروا أن تلبسوا جلودهم أو تطعموا لحومهم أو تسقوا دماءهم * قيل ان قيصر ملك الروم سير رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشاهد أحواله ويكشف أفعاله ويسمع أقواله فلما وصل الرسول الى المدينة قال لاهلها أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس على الارض فوق الرمل وقد وضع درته كالمخدة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الارض لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم لا يزال خائفا ساهرا أشهد ان دينكم لدين الحق ولولا انني رسول لاسلمت ولكني سأعود

بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبته للعدل ومن علامة محبته للعدل مخالطته لاهل العلم ذوى الدين ورغبته فى محادثتهم ليذكروه بما يجب عليه من العدل الذى به سعادته فى الآخرة ودوام ملكه فى الدنيا وحسن سمعته فى العالم وميل القلوب اليه وجريان الالسن بالدعاء له كما نقل عن أمير المؤمنين هرون الرشيد انه أحب أن يرى شقيقا البلخى رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت شقيق الزاهد قال أنا شقيق ولست بزاهد فقال أوصنى قال عليك بالعدل فانه أول ما يطالبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أجلسك فى موضع أبى بكر الصديق وهو يطلب منك الصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأحلك محل عثمان بن عفان وهو يطلب منك مثل قيامه فى الرعية وأقعدك موضع على ابن أبى طالب وهو يطلب منك العدل والعمل به كما يطلب منه فانظر لنفسك يا أمير المؤمنين قال الرشيد فانتفعت بكلامه ورسخ فى نفسى منه ما نفعنى الله به وقديما نقل انه قيل ليزدجرد ملك الفرس ما الذى أوجب الملوككم انتظام الامور ودوام السرور فقال ما معناه انا استعملنا العدل والانصاف فعمرت بلادنا واستعملنا تأديب الخائن وتقريب المشفق الامين فنما ملكنا واستعملنا الاحسان الى رعايانا فملكنا قلوبهم واستعملنا الصدق فدانت لنا ملوك الطوائف واستعملنا مكارم الاخلاق فاكتسبنا حسن السمعة وبقاء الذكر ولم يختلف علينا من نكره خلافه لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى البسيط بهذا القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده الله بتوفيقه ولكن التوفيق عزيز

﴿ اعتبار نافع وتذكار جامع ﴾

قرع المسامع ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما آل أمر الخلافة اليه بذل جهده فى اقامة العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم بالانصاف فكتب اليه عدى بن أرطاة كتابا مختصرا مضمونه أما بعد فان قبلنا ناسا لا يؤدون ما فى جهتهم من الخراج الا أن يمسهم شىء من العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله تعالى أو كأن رضاى ينجيك من سخط الله تعالى فاذا أتاك كتابى

هـذا فمن أعطاك ما قبله عفوا فاقبله ومن أنكر ما قبله فاستحلفه فوالله لأن
يلقوا الله بخطاياتهم أحب الي من أن ألقى الله بعذابهم
ونقلت الرواة الثقات والنقلة الاثبات ان مالك بن أنس امام دار الهجرة
رضي الله عنه قال بعث الي أبو جعفر المنصور والى ابن طاوس فدخلنا
عليه وهو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه أنطاع قد بسطت
وجلاوزة بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس فأومأ الينا بالجلوس وأطرق
عنا طويلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في حكمه فادخل الجور في عدله قال مالك فضممت ثيابي مخافة
أن يملأني دمه ثم التفت اليه أبو جعفر فقال عظني يا ابن طاوس قال نعم أما سمعت
الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد الى قوله إن ربك لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابي أيضا
مخافة أن يملأني دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة
فامسك ابن طاوس ولم يناوله اياها وهي في يده فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال
أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك المنصور قال
قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس
بعدها فضله * وقد قيل فيما نسب الى سقراط الحكيم ينبوع فرح الانسان
وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع
حزن الانسان القلب المختلف المزاج وينبوع حزن العالم وفساده السلطان الجائر
وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما انقضى
المجلس رأى رجلا جالسا فقال ألك حاجة قال نعم تدنيني اليك فاني مظلوم قد
أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فاذكر حاجتي
قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك
وفصاحتك واطراد حجتك فقال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك
غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها
فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم
فقال له محمد هذا قول يحتاج الى بينة وشهود واشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير

من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شئ آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء (اش هذه الاشياء الا العى والحصر والتغطرس وعدولك عن العدل) فضحك محمد وقال قد صدقت والبلاء موكل بالمنطق وانى لارى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له كر حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه وكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته اليه يقال له يافلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينتصر وظالم لا ينصف فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد أعتمد معهم الانصاف ودفع عنهم الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب

(قيل) ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن هرمز نائبك قد ظلمني فأنصفني منه وأذقني حلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد ووقف له مرة ثانية ثم عاد ووقف له مرة ثالثة فلم يلتفت اليه فقال اليهودى يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره شركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك قوله فزع منه وأنفذ فى الحال الى هرمز وعزله وأخذ حق اليهودى منه *ومن الوقائع المستحسنات ما رواه محمد بن صفوان الضبى قال كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك فدخل عليه يوما رجل من حضرموت من عقلائهم فقال له سليمان تكلم بحاجتك فقال من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الارادة اوفى بكلامه على السلامة وانى أعوذ بالذى اشخصنى اليك من أهلى وأوفدنى عليك أن ينطقنى بغير الحق وأن يذلل لسانى لما فيه سخط على فان اقتصار الخطبة أبلغ فى أفئدة أولى الفهم من الاطالة والتشديق فى البلاغة ألا وان من البلاغة يا أمير المؤمنين ما يفهم وان قل وانى مقتصر على الاقتصار مجانب لكثير من الاكثار أشخصنى اليك والعسوف ورعية ضائعة وانك ان تعجل تدرك مافات وان تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعا فخذها اليك قصيرة موجزة فقال سليمان لمحمد ادع رجلا من الحرس فاحمله على البريد وقل له اذا أتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تعزله ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال

انى احتسبت سفرى هذا على الله بأمير المؤمنين وانى أكره أن آخذ عليه أجرا من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثر لنا من يوقظنا لاقامة العدل من أمثالك فلما ولى الرجل خارجا قال سليمان لاصحابه ما أعظم بركة المؤمن فى كل شئ

ولقد بلغنى عن أحمد بن طولون قضية يؤثر فى النفس الزكية سمعها ويحسن عند ذوى المعرفة والتوفيق وقعها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية نافذ الحكم فيها مهيبا مخوفا يقوم بسياسة الملك ويحلى كلمة العدل ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان يجلس للظالم ويحضر مجالسه القاضى بكار بن قتيبة وجماعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعى رضى الله عنه وكان ابن طولون اذا جلس للظالم يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ويكشف ظلامته ويجلسه بين يديه مقربا منه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة فاحتجت الى الدخول اليه والتظلم مما جرى لى وأنا يومئذ شاب الا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بسطنى على الكلام والتمكن من الحجة فخاطبته فى أمر الضيعة فاحتج على بحجج كثيرة وأجبته عنها بما لزمه الرجوع اليه ثم ناظرنى مناظرة الخصوم بغير انتهار ولا سطوة على وأنا أجيبه وأحل حججه الى أن وقف ولم يبق له حجة فامسك عنى ساعة ثم قال لى الى هذا الموضع انتهى كلامى وكلامك والحجة قد ظهرت لك ولكن أجلنا ثلاثة أيام فان ظهرت لنا حجة والا سلمت الضيعة اليك فقمت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجى للحاضرين ما أقبح ما أشهدتكم على نفسى أقول لرجل من رعيتى ظهرت لك حجة اجلنى ثلاثة أيام الى أن أطلب حجة وأبطل الحكم الذى قد أوجبته حجتك من عندى اذا وجبت لى حجة أن أحضره وألزمها ياهاهدا والله الغصب وأنتم رسلى اليه بانى قد التزمت حجته وأزلت الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها وتقدم بالكتاب له وعرف الطحاوى الحال من الحاضرين فذهب الى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل واقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل واقامته وتأييده الحق

وسلوك طريقته يميل الى كل من كان ذلك من صفته ويقرب اليه من علم أن التحقيق من خليقته حتى انه فى بعض الايام أراد أن يحمل ما اجتمع عنده من المال الى حضرة الخليفة فاحضر القاضى ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضى فكتب الشهود خطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار فلما بلغ الكتاب الى سليم وهو بعض الشهود ألقاه الى الخادم من يده وقال أيها الامير است أشهد حتى يوزن المال بحضرتى فغاظه ذلك منه لتأخر الانفاذ ثم قال للوزانين زنوه فلما فرغوا من وزنه قال اشهد قال بقى لى النقد فدعا بالنقاد فنقده وسليم جالس معهم حتى فرغ وختمت الاكياس وتسلمها حاملوها فكتب شهادته وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغى أن يعتمد عليه ويمال اليه فان من لادين له لا أمانة له ومن لا أمانة له جدير بالابعاد وأن لا يولى شيأ من أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سببا لتقريبه لسليم واعتماده عليه وتفويض أموره اليه

ومما تضمنته أخبار الاخيار مارواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عذت بمجيب فما شأنك قال سابقت على فرسى ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعنى بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشى ان آتيك فحبسنى فى السجن فانفلت منه وهذا حين اتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصرى أقم حتى يأتيك فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرى فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة قال أنس ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلعة عمرو فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى قال أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل يعتذر ويقول انى لم أشعر بهذا * فتعين على كل عاقل أن يكف يده عن الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله تعالى فى السر والعلانية

وعلم ان الله سبحانه وتعالى يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم
وفيما نقل من الآثار الاسرائيلية فى زمن موسى عليه السلام ان رجلا من ضعفاء بنى
اسرائيل كانت له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته
فخرج يوما للصيد فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى الى السوق
ليبيعها ويصرف ثمنها فى مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه
فأخذها منه فمنعه الصياد فرفع خشبة كانت فى يده فضرب بها على رأس الصياد
ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه فقال الهى
خلقتنى ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لى حقى منه عاجلا فقد ظلمنى ولا صبر لى الى
الآخرة ثم ان الغاصب انطلق بالسمكة الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها
ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فاها ونكزت اصبعه
نكزة أطارت بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فرآها فقال
دواؤها أن تقطع الاصبع لئلا يسرى الى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الوجع
الشديد الى اليد وزاد الالم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغى أن
تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما
زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى الذى يليه فخرج هائما على وجهه
مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم فنام
تحتها فرأى فى منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع أعضاءك امض الى
خصمك الذى ظلمته وأرضه فانتبه من النوم وفكر فى أمره فقال ضربت الصياد
وأخذت السمكة منه غصبا ظلما وهى التى نكزت يدى فصاحبها خصمى فدخل
المدينة وسأل عنه فوجده فوقع بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيأ
من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات على
فراشه تلك الليلة وأقلع عن خطيئته ونام على توبة خالصة ففى اليوم الثانى تداركه
الله بلطفه ورحمته فرد يده كما كانت ونزل الوحى على موسى عليه السلام يا موسى
وعزتى وجلالى لولا ان ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته

*( تذكرة وتبصرة )*

من استمسك بحبل حب العدل ومال اليه سهل الله سبحانه وتعالى سلوك سننه عليه
وأوضح بدايل التوفيق والهداية مناهجه لديه وجعل له من عدله يوم القيامة

نورا يسعى بين يديه وأكنفته عناية ربانية تسدده فى أحكامه وتبصره بمرامى العدل لاصابة سهامه حتى يبلغ به الى أن يرى الوقائع فى منامه ويؤمر باقامة شريعة العدل والانصاف فى أحلامه * مثل ماقرع الاسماع وكما اشتهر وذاع من قصة الخليفة المعتمد على الله أبى العباس أحمد بن المتوكل رضى الله عنه فانه كان يحب الارتداء بجلباب الانصاف ويأخذ نفسه بنشر شعار العدل فى الجهات والاطراف فاطلع الله منه على صفاء سريرته وصدق ميله الى المعدلة فى ولايته فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه فأمره باقامة شريعة معدلته وحذره من تأخره فيها وغفلته

وهو مانقله الثقات ورواه النقلة الاثبات عن أبى محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون قال انصرف جلساء المعتمد على الله ليلة عنه فانصرفت الى حجرة مرسومة لى فى الدار فلما انتصف الليل اذا أنا بالخدم يدقون باب حجرتى فانزعجت فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت فلما صرت بحضرته قال على بصاحب الشرطة الساعة فلما حضر قال فى حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال قال نعم قال أحضره الساعة فحضر فقال له من أنت قال فلان بن فلان الجمال قال منذ كم حبست قال منذ كذا وكذا سنة قال فى أى شئ قال مظلوم لاجرم لى قال فاشرح لى قضيتك قال أنا رجل من أهل الجبل وكان يتقلدنا فلان الامير فسخر جمالى فتظلمت اليه فلم ينفع فخرجت أشى خلف الجمال الى قريب من حلوان فاستل الاكراد من الجمال جملا فجملا فضربنى وقيدنى وقال أنت سرقت الجمل وماعليه فقلت غلمانك يعلمون ان الاكراد أخذوه فقال ذلك بمواطأة منك ثم قيدنى وطرحنى فى الحبس وأخذ الجمال فقال لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير فاقعده لى دماغه ولاتبرح الى أن ترد جمال هذا أو قيمتها وقال للخادم ادفع الى هذا كذا وكذا دينارا وكسوة جميلة وادخله الحمام وأطعمه ثم قال لصاحب الشرطة وفى حبسك فلان بن فلان الحذاء قال نعم قال هاته فأحضره فقال ماقصتك قال حبست ظلما وقص عليه قصة طويلة فقال للخادم خذه وغير من حاله وادخل به الحمام وأطعموه واكسه وأعطه كذا وكذا دينارا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى وفقنى لهذا الفعل قال أحمد بن حمدون فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر فى هذه الساعة بنفسه فى مثل هذا الامر وانزعج من نومه فقال لى ويحك رأيت الساعة رجلا من صفته كذا وكذا فقال فى حبسك

رجلان مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الحداد فأطلقهما وأنصفهما من خصمهما وأحسن اليهما فانتبهت مذعورا فلعنت ابليس وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وتحولت الى الجانب الآخر ونمت فما استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه فقال آمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك ولا تفعل وكاد يمد يده الى فقلت من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأني قد قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فعجل في أمرهما الساعة فانتبهت وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه باقامة الحق والحكم والفصل وكذلك ابن أخيه المعتضد بالله المتولى من بعده بذل في العدل غاية جهده وقصد في سلوك جدد الانصاف أعز قصده فأيده الله تعالى في كشف القضايا باقامة الحق فيها بعناية من عنده فقد رسخ في الاذهان ما سطره الرواة في منقولاتهم ورواه الثقات في مقولاتهم .

وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحي قال أخبرني أحد خدام الخليفة المعتضد بالله المختصين به قال كنت حوالي سريره ذات يوم نصف النهار وقد نام بعد ان أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة اقبضوا عليه وجيؤني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سميرية منحدرا وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بالسميرية وأصعدناه اليه فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب معها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك قال فتلعثم وقال نعم كنت اليوم سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وقتلتها وأخذت جميع ما كان عليها وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى بيتي لئلا يفشو الخبر علي فعملت على الهرب والانحدار الى واسط وصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء الخدم وحملوني فقال وأين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتضد علي به الساعة فمضوا وأحضروه فقال خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم امر أن ينادي ببغداد كلها على امرأة خرجت الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب وحلي فيحضر من

يعرفها ويعطى صفة ما كان عليها ويأخذه فقد تلفت المرأة فحضر فى اليوم الثانى أهلها فاعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم بعد أن علم استحقاقهم قال فقلت يا مولاى أوحى اليك بهذه الحالة فقال رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التى قتلها اليوم وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم

وله قصة مع بعض أتراكه الامراء تشهد له برغبته فى العدل والانصاف وانتقامه من ذوى الظلم والاعتساف وهو ما حدثه القاضى أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمى ان شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل فطاله به مدة وجحده واستخف به قال وجملت على التظلم منه الى المعتضد بالله لانى كنت استشفعت اليه وتظلمت الى الوزير فما نفعنى فقال لى بعض اخوانى أنا أدلك على من يأخذ لك المال ولا تحتاج الى أن تتظلم الى المعتضد قم معى فقمت معه فجاء بى الى رجل خياط فى سوق الثلاثاء وهو جالس فى مسجد يخيط و يقرأ القرآن فقص عليه صاحبى قصتى فقام معنا فلما صار بباب الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقى انك قد عرضتنا ونفسك وهذا الشيخ الى مكروه فقال لا تخف وامش على بركة الله تعالى قلت انه لم يفكر فى شفاعة أحد من الكبراء ولا فى كلام الوزراء فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت فلما رآنا غلمان الرجل تلقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فنهم فقالوا ما جاء بالشيخ فسألهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان كان امر فأمرنا بفعله نبادر اليه والا فادخل واجلس الى حين وروده فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط أعظمه إعظاما تاما وقال لا أنزع ثيابى أو تأمرنى بامرك فخاطبه فى أمرى فقال والله ما عندى الا خمسة آلاف درهم فسله أخذها وأخذ رهن على ما يبقى له الى شهر واحد فقلت السمع والطاعة فاحضر الدراهم وأحضر حليا قيمته زيادة على الباقى فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديقى بان الرهن على البقية الى شهر واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل فى بيع الحلى لايفاء الباقى فشهدا عليه بذلك وخرجا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له أيها الشيخ ان الله قد رده على هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ منه ربعه أو ثلثه و يطيب قلبى فقال لى يا هذا ما أسرع ما كافأتنا على الجميل بالقبيح انصرف بمالك ما أحتاج الى شئ منه

قالت قد بقيت لي حاجة قال قل قالت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل لك مع تهاونه بأكثر
أهل الدولة قال يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه فألححت
عليه فقال اعلم أني رجل أؤذن وأؤم الناس من سنين كثيرة ومعاشي هذه الخياطة
لا أعرف غيرها فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجتزت بتركي
كان في هذه الدار وأومأ إلى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران
ليدخلها إلى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول في جملة
كلامها إن زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت إلا عنده فإن عاقني هذا خرب
بيتي مع ما يرتكبه من المعصية فجئت إلى التركي ووقفت عنده وسألته تركها
فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجني ولكمني وأدخل المرأة داره فصرت إلى منزلي
وغسلت الدم وشددت الشجة واسترحت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغنا منها
قلت لمن حضر قوموا معي إلى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا نبرح حتى نخرج المرأة
فجئنا على بابه فخرج في عدة من غلمانه فأوقع بنا وقصدني من بين الجماعة وضربني
ضربا شديدا كدت أتلف معه فحملني الجيران إلى منزلي كالتالف فعالجني أهلي
ونمت قليلا وأفقت قبل نصف الليل وما جاءني النوم من شدة التألم والفكر في
قصة المرأة وقلت هذا قد شرب إلى الآن ولا يعرف الأوقات فلو قمت وأذنت سمع فظن
أنه قد طلع الفجر فأطلق المرأة ومضت إلى بيتها في الليل فخرجت إلى المسجد متحاملا
من الضرب وصعدت إلى المنارة وأذنت وجلست أتطلع إلى الطريق وأرتقب خروج
المرأة فإن خرجت وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت إلا ساعة
والمرأة عنده وإذا بالشارع قد امتلأ رجلا وخيلا ومشاعل وهم يقولون من هذا
الذي قد أذن الساعة ففزعت وسكت ثم قلت أكلمهم لعلي أستعين بهم على إخراج
المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت فقالوا انزل فنزلت فقالوا أجب أمير المؤمنين فقلت
جاء الفرج وإذا ببدر الحرمي وعدة من الغلمان معه فحملني وأدخلني على المعتضد
بالله فلما رآني ورأيته هبته وارتعدت فلما سكن روعي قال ما حملك على أن تغر
المسلمين بأذانك في غير وقته فيخرج ذوو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم
في وقت أبيح له فيه الأكل وينقطع العسس عن الحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين
لأصدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتي وقصة التركي وأريته آثار الضرب التي
فيّ فقال يا بدر علي بالغلام التركي والمرأة الساعة فجاء بهما فسأل المرأة فأخبرته

بمثل ما قلت فقال يا بدر بادر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها القصة ويأمره عنى بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعانى وجعل يخاطب التركى وأنا أسمع فقال له كم جرايتك قال كذا وكذا قال كم صلاتك قال كذا وكذا فقال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال فما كان لك من صبر وأنت فى هذه النعمة على ارتكاب القبيح ومعاصى الله عز وجل وخرق هيبة سلطاننا واعتمادا الظلم والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت الى الوثوب على من أمرك بالمعروف قال فسقط فى يد الغلام التركى ولم يدر ما يقول فقال هاتوا جوالق ومداق الجص وقيودا فقيدوه وأدخلوه الجوالق وأمر الفراشين أن يدقوه بالمداق وهو يصيح حتى انقطع صوته ومات وأمر به فغرق فى الدجلة ثم أمر بحمل ما فى داره ثم قال لى أى شئ رأيت من أجناس المنكر فأنكره صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا وأومأ بيده الى بدر وان جرى عليك شئ أو لم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان فى ذلك الوقت فدعوت له وانصرفت فانتشر الخبر فى الغلمان والاولياء والبلد فما خاطبت أحدا بعد ما جرى ذلك فى انصاف أحد أو كف عن قبيح الا طاوعنى وكف خوفا من المعتضد وما احتجت الى الآن أن أؤذن فى ذلك الوقت

*(شفاء وموعظة وأشباه وقظة)*

قد قيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها بيد تقواها ساقته الى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما يظلم به نفسه فكيف لا يظلم سواها فسبيل من أيقظه الله من رقدة هواه وأفاض عليه من أنوار هداه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم ان الظالم يؤاخذ بظلمه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فان أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على أن مرتع الظالم وخيم والصحيح به سقيم والغنى منه عديم والسالم فيه سليم والمساهم عليه مليم وقد ورد فيه من صوادع الآيات وصحيح الاخبار ما فى بعضه أعظم باعث على الانزجار وأقوى صارف عن الظلم لذوى الاستبصار فان الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين طرق الاعتذار وجعل جزاءهم ان لم يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقيل ان الظلم على شقاوة متعاطيه أوضح علامة وسم وجه عاقبته بسمة الخسارة والندامة ويسلكه لقم النقم ويعدل به عن نهج السلامة وهو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم

القيامة فكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أويأمن بيات البلاء وتأخير عطبه شئ عجاب أو يطمع في النجاة وعليه بما اجترمه شاهد وكتاب وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وهو من أجل الصحابة حين بعثه الى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها و بين الله حجاب وقد ورد في الاحاديث النبوية التي أخرجها الامامان مسلم والبخاري رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد

(ومما نظم) في عقد العبر وزين بذكره تيجان السير وجرى به قلم القضاء والقدر ما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة من غبر ودثر فقال ما معناه ان جبارا بنى قصرا فشيده في أرضه وأعلاه وجعله قيد القلوب والنواظر فما رآه راء الا اشتهاه فجاءت عجوز من السائحات الى ظاهر القصر فعملت كوخا في مكان مباح تتعبد الله تعالى فيه فركب الجبار يوما من الايام وطاف بفناء القصر فرأى الكوخ فقال ماهذا فقيل له امرأة ههنا تأوي اليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن العجوز حاضرة فجاءت فرأته قد هدم فقالت من هدم هذا فقالوا لها الملك ركب فرآه فهدمه فرفعت طرفها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن ههنا فأين كنت أنت قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة للناظرين

ومما حوته بطون الاوراق وأوضحته الرواة في الآفاق من القضايا التي فيها معتبر ومزدجر بالاتفاق قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ما ذكره سليمان بن أبي جعفر قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذاكروا زوال ملك بني أمية فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت له قضية عجيبة مع ملك النوبة فابعث اليه واسأله عنها فقال المنصور يامسيب علي به فأخرج الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل فمثل بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته فقال له يا عبد الله إن رد السلام أمن ولم تسمح نفسي لك بذلك بعد ولكن اقعد فجاؤا بوسادة فثنيت وقعد عليها فقال له بلغني انه كان لك قصة عجيبة مع ملك النوبة فما هي قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة ما أقدر على النفس من ثقل الحديد ولقد صدئ قيدي من رشاش البول وصب الماء

عليه

عليه في أوقات الصلوات فقال المنصور يا مسيب اطلق عنه قيده ثم قال نعم يا أمير المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين الينا كنت أنا المطلوب أكثر من الجماعة لأني كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت الى خزانة لنا فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار ثم دعوت عشرة من غلماني وحملت كل واحد على دابة ودفعت اليه ألف دينار وأوقرت خمسة أبغال مما احتاجه وشددت على وسطي جوهرا له قيمة مع شيء من الذهب وخرجت هاربا الى بلد النوبة فسرت فيها ثلاثا فوقعت الى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعدلوا اليها فكنسوا منها ما كان قذرا ثم فرشوا بعض تلك الفرش ودعوت غلاما لي كنت أثق به وبعقله فقلت انطلق الى الملك واقرئه عني السلام وخذ لي منه الامان وابتع لي ميرة قال فمضى وأبطأ عني حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كفر لي ثم قعد بين يدي وقال لي الملك يقرئك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادي أمحارب لي أم راغب في أم مستجير فقلت ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فمعاذ الله وأما راغب في دينك فما كنت لابغي بديني بدلا وأما مستجير بك فنعم قال فذهب ثم رجع الي وقال ان الملك يقرأ عليك السلام ويقول أنا صائر اليك غدا فلا تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذ شيأ من ميرة فانها تأتيك وما تحتاج اليه فاقبلت الميرة فأمرت غلماني بفرشون ذلك الفرش كله وأمرت بفرش نصب له ولي مثله وأقبلت من غد أرقب مجيئه فبينا أنا كذلك اذ أقبل غلمان يحضرون وقالوا ان الملك قد أقبل نقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر اليه فاذا برجل قد لبس بردين اتزر باحدهما وارتدى الآخر حاف راجل واذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه الي جنبه فاستصغرت أمره وسولت لي نفسي قتله فلما قرب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ما هذا السواد قيل الخيل فوافى يا أمير المؤمنين زهاء عشرة آلاف عنان فكان موافاة الخيل الى الدار وقت دخوله فاحدقت بها فدخل الي وقال لترجمانه أين الرجل فلما نظر الي وثبت اليه فاعظم ذلك وأخذ يدي فقبلها وجعلها على صدره وجعل يدفع البساط برجله فشوش البساط فظننت ان ذلك شيء يجلونه أن يطؤا على مثله حتى انتهى الى الفرش فقلت لترجمانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذي وطئ له فقال قل له اني ملك وحق الملك أن يكون متواضعا لله سبحانه وتعالى اذ رفعه الله ثم أقبل

ينكت فى الارض طويلا باصبعه ثم رفع رأسه فقال لى كيف سلبتم نعمتكم وزال عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلبنا وطردنا وقتلنا فخرجت اليك مستجيرا بالله تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمور وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت فعل ذلك عبيد واتباع وأعاجم دخلوا فى ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم تركبون على دوابكم مراكب الذهب والفضة والديباج وقد حرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع وأعاجم قال ولم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقحمتم على القرى وكلفتم أهلها مالا طاقة لهم به بالضرب الموجع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا فى زروعهم فتفسدوها فى طلب دراج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشئ والفساد محرم عليكم فى دينكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع وأعاجم قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وفعلتم مانهاكم الله عنه وأحببتم الظلم وكرهتم العدل فسلبكم الله العز وألبسكم الذل ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد وانى أتخوف أن تنزل النقمة بك اذ كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت شملت فاخرج بعد ثلاث من أرضى فانى ان وجدتك بعدها قتلتك وقتلت من معك وأخذت جميع مامعك ثم وثب وخرج فمكثت ثلاثا ثم خرجت الى مصر فأخذنى واليك فبعث بى اليك وها أنا الآن بين يديك والموت أحب الى من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة له قال فماذا ترى قال يترك فى دار من دورنا ويجرى عليه ما يليق به ففعل به ذلك

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ فى الحكم الواردة والالفاظ الحاكمة بحصول الفائدة (منها) العدل يزيد فى الملك ويريح السر ويذهب الخوف ويرضى الرب ويعمر ما أخربه الجور (ومنها) اذا جار الملك فى رعاياه كثر ارجاف الناس بزوال ملكه وأحوالهم وأعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك عن التطلع الى أحوال أعوانه مع رعاياه وقضاياه بنوابه فى اطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشئ أسرع من اصلاحه (ومنها) لا يزال الجائر ممهلا فى جوره الى أن يتخطى الى أركان العمارة من مبانى الشريعة فاذا قصدها اقرب دماره وشارفت الزوال مدته

## ﴿ الباب السادس في الاتفاق والائتلاف والشقاق والخلاف ﴾

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب المنع والانتقاض الحاكمة لدى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكمل الاغراض ما ورد في الكتاب العزيز في آيات متصفة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام متعددة في مواضع من التنزيل المتلو بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطبا النبيه المصطفى من الدوحة الهاشمية المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعيا الى الدين القويم وهاديا الى الصراط المستقيم هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله عز وعلا وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكقوله تبارك وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية المأمور بالاعتصام به هو القرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه بما روى الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف فاتيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال أوقد فعلوها فقلت نعم فقال أما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة فقلت يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل الذي ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به القلوب ولا تلتبس به الالسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الترداد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضي لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا رضي لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال

واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضح بذلك ان الحبل المعتصم به والقرآن الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والائتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف وذكر قبيصة بن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى دمشق نزل بباب الجابية وقام خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامى فيكم وقال من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وهذا صريح فى التمسك بعروة الموافقة والتجنب لعرة المخالفة وقديما قيل ما من قوم وان قل عددهم وضعف مددهم فارتضعوا حتى أفاويق الاتفاق ونزعوا مخاريق شقاشق الشقاق وقطعوا مواد خلاف الاختلاف وأثمر بوادى قلوبهم محبة الائتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد دب بينهم الخلاف وعمهم التنازع الا أظهرهم الله تعالى مع قلتهم ومكنهم منهم وان كانوا أكثر عددا وأشد قوة ومددا

وفى قصة الخليفة الراشد بالله أبى جعفر المنصور بن المسترشد بالله أوضح دليل وأبين حجة وأتم برهان على ذلك وتلخيصها أن أباه المسترشد لما قتل وهو فى معسكر السلطان مسعود وأراد الراشد وقد بويع له بالخلافة وهو ببغداد أن يأخذ بثار أبيه ويقصد السلطان مسعودا فأخذ فى جمع العساكر وحشد الجيوش فارسل الحاشرين واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسير فاحضر زنكى بن آقسنقر من الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبوزابه من بلاد فارس فاتت اليه العساكر واجتمعت الجيوش لديه وتكمل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه فلما عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس سير السلطان فى الباطن أشخاصا يثق بمعرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر الراشد ومقدميهم وقد دبوا بينهم زناد الخلاف فورى وأوقدوا بينهم نار التنازع فدب احراقها وسرى وشحذوا أسياف الاختلاف والتباين حتى قطع عرى الائتلاف وبرى فلما أحس السلطان مسعود بتبلج وجه نجح سعيه المسفر من أساريره وتأرج ريا إصابة صنعه بنفحات انتاج تدبيره وبرج مخدرات رأيه المصيب فى حلى الملابس الموشاة بتحبيره أماط عن محيا حزمه مسدل نقابه وناط بصائب عزمه نهج صوابه واستعذب فى نيل مرامه وبلائه من مشاق أوصابه مستكره صابه واستصحب فى انصاره وأعوانه انفاق أصحابه فاركبهم وقد ضرب الليل برادف ظلمائه ممتد أطنابه ورتبهم ترتيب من فضت التجربة من الاستيقاظ بتكميل نصابه وعرفته الوقائع والحروب

كيفية ترتيب اطلابه وسياق وقد جمعت قلوب جنده في سلك المسارعة المتسق نظامها والمتابعة المتفق بيد الالفة التامها والطاعة المفوقة لاصابة الاغراض سهامها والضراعة اليه في البدار الى نفوس أعدائه فقد استجابهم حسامها فأجاب بسرعة داعي البدار واصاب بمبادرته مواقع الاقدار وصاب بذلك سحاب صوابه المدرار واستجاب له كمين الانتصار وضمن الاستظهار وساق مجدا سوقا حثيثا واتخذ من اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه معينا ومغيثا فقرب من ذلك الجمع الجم والعسكر الذي طم وعم اضطربوا اضطراب امواج اليم واشربوا الخوف ولكن لم تنزل عليهم أمنة من بعد الغم فأكثروا الخلاف واظهروا الانحراف واستنصروا الانصراف فولى زنكي بن آقسنقر طالبا طريق الشام مسرعا في ذهابه واقتفاه داود بن محمد راكبا طريق اذربيجان راكضا فرسه خيله وسبق ركابه ونلاه بورابه سالكا سنن السلامة الى بلاد فارس في زمرته وأصحابه ولم يبق عند الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف فارس من خواص حضرته وخدم سدته فبقي بعد هؤلاء المنفرقين أشتاتا المتمزقين بيد المخافة رفاتا المعدودين في حال حياتهم لاختلافهم أمواتا الشار بين من الملام لفشلهم مع كثرتهم ماء احاج الاماء فراتا وبات تلك الليلة راكبا مطايا حيرة اعترته لتفرق الانصار طالبا وطأ قدرة تخمد بها اضرام هذه النار فلم يجد له أحزم من مجانبة المقام والاستقرار ولا أسلم من الاقتداء بموسى صلى الله عليه وسلم فيما اعتمده عند المخافة من الخروج والفرار فلم يبت سوى ليلة واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق ثم رحل متوجها الى الموصل فركب من طريقها وعرض نفسه لنزع الخلافة بعد تطويقها فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد وأجرى الناس على السنن المعتاد وخلع الراشد من الخلافة خلعا سلك طريقه وشدد اليه تفويقه وأخرج أبا عبد الله محمد بن المستظهر بالله أمير المؤمنين وبايعه بالخلافة وجمع الناس لبيعته وشد وسطه بنطاق اخلاص عبوديته وقام بين يديه بمفترض طاعته وواجب خدمته ولازم نصرته وهو الامام المقتفي لامر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنجد بالله أمير المؤمنين والد الامام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين والد الامام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد الى قضايا لا يجري شرحها في مضمار مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيعابها

واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخرها انه قتل بباب أصفهان بعد تقلبه بيد الاقدار فى أطوار الزمان وفى ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا مختلفين أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر وان طالب الموافقة أبدا لا يعذل وطالب المخالفة أبدا لا يعذر

*(زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان)*

مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منثور الفضل الموهوب أن نور التأليف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون ستراً من هجوم الحوادث وسدا فى وجه الخطوب وقد طالما شبت نار العداوة فى القبائل والفصائل فاحرقت وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت فيهم سيوف الاحن والبغضاء ففرت ومزقت وأسبلت عليهم سحب الشحناء فلمعت بروقها بالتقابل والتقاتل فتألقت فهبت عليها رياح التألف فأطفأت ضرامها وصرفت صرامها وشمت سقامها ونفت عنها ملامها وآلامها فاستبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة أمانا وبالمنافرة اذعانا وبالنقيصة رجحانا فعادوا بعد التباين صنوانا وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ومن ارتاب فى صواب هذه المقالة ورغب فى اجتناء جنى هذه الحالة وأحب أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فلينظر فى سير السلف الغابرين وآثار الأولين والآخرين ويعتبر أحوال الغائبين والحاضرين ومآل الواردين والصادرين يجد فى وقائعهم أنهج سبيل وأنجح دليل لاسيما فى أظهر الوقائع شنارا وأكثرها اشتهارا وأكبرها اعتبارا وأعظمها عتوا واقتسارا وأقدمها تنازعا ونفارا وأدومها علوا واستكبارا حتى بلغ الشيطان بهم ومنهم أغراضا وأوطارا وأثار باثارة الفتن والاحن بينهم أحقادا وأوتارا وأوقد من شواظ رحاء حربهم الدائرة عليهم نارا الى ان نظمهم الاتفاق فى سلك التساعد والتعاضد اعلانا واسرارا فأصارهم ذلك التألف لله ولرسوله أعوانا وأنصارا وهى قضية الاوس والخزرج

وتلخيص كنهها بحذف اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعد ما أطلعه الاختلاف من فسادها أن هاتين القبيلتين قبيلة الاوس وقبيلة أخيها الخزرج كانت سوق الحرب بينهما جامعة لا تشاب بكسادها وبروق الصوارم فيها لامعة لا تحجب بأغمادها ودماؤها فى لوامع الاسنة كمحمر العصائب على رؤس صعادها ووحوش الدو وطيور الجو تتبعها لاعتقادها انها كفيلة أقواتها الاعتيادها تناول ذلك من جثث

اجسادها

أجدادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار أثرا فى وجه الدهر وخبرا الى يوم الحشر ولم يسمع بقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من الضغن والوتر حتى أزال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الاحقاد وذلك العناد منهم وكان سبب تألفهم وارتفاع عداواتهم ان سويد بن الصامت قدم مكة حرسها الله تعالى وكان رجلا شريفا فى قومه ونسبه وكان شاعرا جلدا يسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى سمع بسويد فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى والاسلام فلم يبعد عنه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم سويد المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج فى حربهم يوم بعاث وكان رجال من قومه يقولون انا لنراه قتل مسلما ثم قدم أنس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم فى خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم أن لا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم والله هذا خير مما جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فى الموسم كل من لقيه من قبائل العرب يعرض عليه نفسه ويدعوه الى الله سبحانه فبينا هو عند العقبة فى الموسم اذ لقى رهطا من الخزرج وهم ستة نفر سعد بن زرارة وجابر بن عبد الله وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم فقالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم

القرآن وكان من صنع الله تعالى أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان هؤلاء أهل أوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمع بينهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء و رافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت و يزيد بن ثعلبة وعبادة بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر ورجلان من الاوس أبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أن لا يشركوا بالله شيأ ولا يزنوا الى آخر الآية المعروفة ببيعة النساء في سورة الممتحنة ثم قال لهم ان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان سترعليكم فأمركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل أن يفرض عليه الجهاد فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم وكان مصعب يسمى في المدينة المقرئ وكان أول مقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد ابن زرارة المذكور أولا فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى أسعد ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء

بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما في أنفسكما حاجة قال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال فوالله لقد عرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله فقال ما أحسن هذا وأجمله وكيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد بشهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد بشهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما وجدت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغاضبا مبادرا للذي ذكره فأخذ الحربة منه وقال والله ما أراك اغنيت شيأ فجاءهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة أبا امامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في ديارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك منهم أحد فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قال تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد بشهادة الحق وتصلي ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثيابه وشهد بشهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عائدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نقسم بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا واعيننا نقيبة فقال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار من دور بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب وأسعد بن

زرارة الى منزل أسعد فأقاما يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون خلا نفر يسيرا تأخروا ثم أسلموا ثم ان مصعبا رجع الى مكة ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام بن جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا وكلمناه وقلنا يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون غدا حطبا للنار ودعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا من النقباء فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسللنا مستخفين تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس ابن عبد المطلب عمه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب أن يحضر مع ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب انما تسمى هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لربك ولنفسك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب ونحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني العهود ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم

اظهرك

أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى من بينكم اثنى عشر كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجنا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس * وقال العباس بن عبادة الانصارى يامعشر الخزرج هل تدرون على ماتبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الابيض والاسود والاحمر فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة واشرافكم القتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير فى الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاولاد والاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت ماسمعته قط يا أهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدوّ الله هذا ازب العقبة اسمع اى عدوّ الله والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة والذى بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارفضوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اذا أصبحنا غدت علينا أجلة قريش فجاؤنا فقالوا يامعشر الخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله مامن حى من العرب أبغض الينا ان ينشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شدّدوا العقد فلما قدموا أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا ومنزلا وبلدا تأمنون به فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأخذوا فى الهجرة الى

المدينة وتتابعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام فجمع الله تعالى أهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم ورفع من بينهم العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا واذكروا نعمة الله عليكم معناه يامعشر الانصار اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وفي هذه القصة مقنع وبلاغ عن الاطالة بذكر غيرها من وقائع العالم وحوادث الايام

## ﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾

مما قيل في الاتفاق من الحكم وماورد فيه من جوامع الكلام (منها) اتفاق الايدي سلاح عتيد وعون حاضر وقوة تصول بها النفوس على المخالف لها (ومنها) عليكم بالاتفاق والتعاضد فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع واجتنبوا الاختلاف والتباين فان الذل والخذلان في التنازع والافتراق (ومنها) كم من قوم عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا لبسوا عزهم ووهى ركنهم وكل حدهم وذاقوا وبال أمرهم

## ﴿ الباب السابع في مدح الوفاء وذم الغدر ﴾

ان أرجح دليل يتمسك الانسان به لمبتغاه وأوضح سبيل يهدي سالكه الى بلوغ مناه كتاب الله الذي من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه وقد دل بمنطوقه أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يرعاه ويحرم عليه أن ينقض عهده ويفصم عراه فقال عز وجل ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وبعهد الله أوفوا وقال تقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدس اسمه وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فهذه الآيات مع اختلاف محالها وتعدد أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بحبالها والتجنب مهما أمكن لنقضها وأبطالها ولو لم يكن في الوفاء فضيلة الا أن المتصف به يعد في زمرة الصادقين وينزه نفسه عن التحلي بسمة المنافقين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صفات المنافق قال اذا وعد غدر فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق

فيه

فيه خطرات الظنون و يحل بين الناس فى رتب أهل الكرامة و يحل أن يفارق مواقف الندامة وأن ينصب له لواء الغدر يوم القيامة ومن نظر بعين الاعتبار وأبصر بنور الاستبصار وأصاخ سمعا الى ماورد من الاخبار عن السلف الاخيار وجده لابس المحامد والثناء مفاضة على من سلك سنن الوفاء و رأى ذكرهم مخلدا فى الاحياء بعد ركوبهم مطايا الفناء والعفاء

وقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما اذا قرع أبواب المسامع تحقق به كل سامع أن الوفاء فى اكتساب المكارم من أنفع الوسائل وأنجح الذرائع كقصة الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر من قرب عسره و بعد يسره بما أنساه جميل صبره وأغراه بشكوى ضره هذا الى أطفال وعيال محتهم من النحافة سقم وجباههم عليها من أثر الطوى أقبح وسم وقدودهم كالقسى من الضعف ومالها فى شعبة سهم ولا فيما يسد به الاجوفان قسم ولا قسم فأحوجته الحاجة الى مزايلة قراره وأخرجته الفاقة من محل استقراره فخرج يرتاد نجعة لصغاره و يحاول معادب ودرج شبعة يخمد بها من الجوع شعلة ناره * فبينما هو فى اضطراب تطوافه واغتراب مرتبع الانتجاع ومصطافه وقد فتح له من القوت ما هو حامله فى جرابه على أكتافه اذ أوقعه القدر فى شرك النعمان فى يوم اهلاكه من رآه واتلافه فلما بصر به الطائى علم أنه مقتول وان دمه مطلول فقال حيا الله الملك ان لى صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهى فى طلب هذه البلغة الحقيرة لهم وأعلم أن سوء الحظ أقدمنى على الملك فى هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحى لئلا يهلكوا ضياعا وعلى عهد الله انى اذا أوصيت بهم أرجع الى الملك مساء وأسلم نفسى بين يديه لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له وقال لا آذن لك الا أن يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وشريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائى الى شريك وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انهزامى
بل لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان حدلى * بضمان والتزام
ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائى مسرعا والنعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتى المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجوا أن يكون الطائى فان لم يكن فأمر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا الطائى قد أقبل يشتد فى عدوه مسرعا فقدم وقال خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائى فما تركت لاحد فى الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء فلا أكون أنا الام الثلاثة ألا وانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قولهم من الاضلال
انى امرؤ منى الوفاء خليقة * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه تلف نفسك قال دينى فمن لا دين له لا وفاء له فاحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده الى أهله

﴿تنبيه﴾ يفى لذى الوفاء بغرضه ويكفى عمله به فى القيام بمفترضه وينفى فؤاده باستعماله من بقايا مرضه قيل فى قلائد المحامد المنظومة فى أجياد الامجاد وفرائد الفوائد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الآباد وحسنة مستحسنة الآثار بلا افناء ولا نفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة منجية من الاتصاف باحد القبيحين امابدناءة الهمة وامابفساد الاعتقاد وسجية تستميل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستنطق له أرباب الفصاحة والسن

بالاجداد وقد تبلج فجر الاسناد الى السلف فاسفر وتأرج زهر النقل الى الخلف فعطر بورود ما قد رقم القلم وسطر وتحقيق ما شرح من ذلك وذكر بما خط وزبر ان العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لى ياعباس خذ هذا اليك واستوثق منه واحفظه لا يفتك وبكر به الىّ واحذر عليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب أن يكون الا معى فى بيتى فلما تركوه فى مجلس لى فى دارى أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال لا تريد أن تسألنى فقلت له أتعرف فلانا فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لى معه قصة قال ما أنا من يعرفك خبره حتى تعرفنى قصتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فشغب أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر حجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى الجملة وأنا فى بعض الدروب اذا بناس يعدون خلفى فما زلت أعدو قدامهم وفتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت امرأته ادخل الحجلة فدخلتها ووثبت الرجل على باب الدار فما شعرت الا به وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الحجلة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف فى الحجلة خائف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا ثم ما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها يطعمنى معه وأفرد لى مكانا من داره ولم يحوجنى الى شئ وما يفتر عن تفقد حالى فدمت عنده فى أتم عيشة أربعة أشهر لا أظهر الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال شرها وأثرها فقلت له تأذن لى فى الخروج حتى أتعرف حال غلمانى فلعلى اقف منهم على خبر أولهم على أثر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع ذلك لا يعرفنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية

فقال لى غلام تعزم فقلت قد عزمت على الشخوص الى بغداد فان القافلة بعد ثلاثة
أيام تخرج وقد تعطلت عنى هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذه
اليد على ولأكافئنك بها مهما استطعت وأسألك أن تتم فعلك بأن تعطينى
ما أنفقه الى بغداد وما ألبسه الى أن أصل موضعى فقال صنع الله خيرا ثم قال لغلام
له اسود أنعل الفرس الفلانى وتقدم الى من فى داره بأعداد سفرة فقلت فى نفسى
ما أشك فى أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فوقعوا يومهم
ذلك الى غد فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى ما أعطانى وما وثق
بى ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان لى خفين جديدين ورانات معمولة وآلات السفر
ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين
وفوقهما مفرش ودفع الى نسخة ما فى الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم وقدم
الى الفرس الذى أنعله بسرجه ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك
ويسوق مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران من التقصير فى أمرى وركب معى
يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته
وتواصلت الايام بخدمات باب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لكثرة التنقل مع
أمير المؤمنين من مكان الى مكان فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال
قد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومجازاته على فعله ومكافأته بصنعه بلا كلفة
عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه
غير عليك ما عرفته منى ثم لم يزل يذكرنى تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الى حتى أثبت
معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه وقلت له فما الذى أصارك الى ما أرى
فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير
المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت وضربت الى أن أشرفت على الموت
وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده غليظ وهو قاتلى لا محالة وقد
أخرجت من أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو
نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى تبعث تحضره لى حتى
أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصيتى لأهلى فان فعلت ذلك فقد جاوزت
حد المكافأة وقمت بوفائك بعهدك فقال العباس بصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى

الليل وأمره فحل قيوده وأزال ما كان عليه من أنواع الانكال وأدخله الى الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم صير وأحضر غلامه فلما رآه جعل يبكي و يوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال على بفرسى الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم من الصناديق والكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة (عشرة آلاف درهم) وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة بين يديه خذه واعبر به الى حد الانبار فقلت له ان أمرى عظيم وذنبى عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأردوا فاقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان انا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت كنت قد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله ما قيمته درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك وقم قال فاتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال أعطى الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم أنت اعلم وما تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أنى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعل معى وأعبرته الى جهة الانبار وقلت أنا وسيدى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عنى فأكون قد وفيت وكافات ووقيته بنفسى كما وقانى بنفسه واما ان يقتلنى فقد تحنطت وها كفنى فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير الا عرفتنى خبره فكنا كافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتى فان احتيج الى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه حتى

تطيب نفسه وتسكن روعه وتعبر به الى حتى أتولى مكافأته فصرت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة تخوت وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى العامل بدمشق بالوصية به وأطلق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى يا عباس هذا كتاب صديقك

﴿تقرير بيان وتحرير برهان﴾

كان الخليفة المأمون المتقدم ذكره قد ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه فدخل على المأمون يوما بعض اخوته فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذا كان أبوه قبله فحصل عند المأمون من كلام أخيه شئ من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا ووضعه فى زى النساك الزهاد الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال تمضى الى مصر وتخالط جماعة من الكبراء فى السر وتستميلهم الى القاسم بن محمد بن طباطبا العلوى وتذكر مناقبه ثم بعد ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وائتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة الى عبد الله بن طاهر ودفعها اليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قاعد وحده فقال له قد فهمت ما قصدته فهات ما عندك قال ولى الامان وذمة الله تعالى قال نعم لك ذلك فاظهر ما أراد ودعا الى القاسم ابن محمد فقال له عبد الله أتنصفنى قال نعم قال فهل يجب شكر الله تعالى على العباد قال نعم قال فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فتجئ الى وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والامر والولاية ولى خاتم فى الشرق وخاتم فى الغرب وما بينهما أمرى مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت عن يمينى وشمالى

فاجد نعمة هذا الرجل غامرة لي قد ختم بها رقبتي فتدعوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول لي اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة ما انا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما أيس الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه جاء الى المأمون فاخبره بصورة الحال فسره ذلك وأردف احسانه اليه وضاعف انعامه عليه وفي هذه القضية بيان شاف وبرهان كاف في أن الوفاء يحسن النعمة ويؤمن الصرعة

*(تأكيد لإيضاح وتجديد لافتتاح)*

مما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود والذمم ما رواه حمزة بن الحسن الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطقي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفاذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فاحضروه وان كان توفي فاسألوا عن أولاده واكشفوا أمره قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما مزوجة والاخرى عاتق فعدنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا واعطى لكل واحدة منهما ثيابا وكسوة وذهبا كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأشهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا نعلم فقال اعلموا أني مررت يوما بأبيهما المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلسني وقال أنت تصير الى رجل جليل وتبلغ مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا وطلب مني شيأ فاعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما الي وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرني اذا ما صرت الى ما وعدتك به ولا تنسني فقلت له ذلك وقلت نعم فقال عاهدني انك تفي لي ولا يشغلك الملك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة

ونسيت ذلك فلما كان اليوم وغمت رأيته في المنام قد دخل على وقال أين الوفاء بعهدك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم فنمت هذه القصة بمصر واشتهر احسانه الى بنات المنجم لوفائه لوالدهما فتضاعف الدعاء له والثناء عليه

*(تنبيه واستبصار وتذكير واعتبار)*

الوفاء للكريم شعار ولصاحبه في مقام الافتخار اشتهار والغدر ان اعتمده عار وشنار ونقض العهد عاقبته نار وبوار ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق واخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال في الوفاء بالاتفاق

*(حديث السموأل بن عاديا)*

وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم اودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوي جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سير ملك كنده يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فقال السموأل لا أدفعه الا الى مستحقه وأبى ان يدفع اليه منه شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتي ولا اخون اماناتي ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فاخذه أسيرا فلما أخذ في الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلى الحصن قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت واصررت على اباءك ذبحت ولدك هذا فاختر منهما ما شئت فقال السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال بالوفاء تضرب بالسموأل واذا مدح أهل الذمام بين الانام ذكر السموأل في الاول

(وقد قيل) رب غادر لم تظفر يداه بما ذر وضاقت عليه من موارد الهلكة فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة

حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب ويحكم بها عند اولى الالباب ويقطع عنها طارق الشك والارتياب ويمنع منها وقوع محذور الاختلاف والاضطراب المجتنب من هذا الباب

*(قضية ثعلبة بن حاطب الانصاري)*

وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاء يوما فقال يا رسول الله ادع لي أن يرزقني الله مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي باقي الصلوات في غنمة فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله عز وجل آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما أسباب الصدقة وأسنانها وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة ابن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي

قال فأقبل فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكلما قال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله عز وجل قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل ثعلبة يحثى التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل مني صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان فهذا تلخيص قصته بفصها وشرح زبدتها بنصها فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا فخزيه يوم فاقته وفقره وأي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الاخلاق

﴿ افادة تهذيب وزيادة تقريب ﴾

كم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنه بالاحسان اليه فانه داع من واردات المجالس ونادرات المجالس وواردات المؤانس ونادرات العرائس وسافرات العرائس

ان الخليفة المنصور كان متطلعا الى الاحاطة بأمور الناس عموما والى معرفة أحوال بني أمية خصوصا فبلغه أن من مشايخ أهل الشام شيخا معروفا كان بطانة لهشام بن عبد الملك بن مروان فأرسل اليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير هشام في خروجه مع الخوارج فوصف له الشيخ ما دبر قال فعل رحمه الله كذا وكذا وصنع رحمه الله كذا وكذا ودبر كذا وكذا فقال له المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال الرجل وهو مول يريد الخروج ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا الغاسل فلما سمعه المنصور قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس لؤما من لم يجمل دعاءه لمن أحسن اليه وثناءه عليه وجحده لمعروفه عنده ووفاءه له ولو أمكنني القدر وأقدرني القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لوجد في أمير المؤمنين وافيا له به فقال له المنصور ارجع يا شيخ الى تمام حديثك أشهد انك لنهيض حرة وولد رشدة ثم أقبل المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور بمال وكسوة وقال خذه صلة منا لك فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من حاجة ولقد مات عني من كنت في ذكره فما أحوجني الى وقوفي على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين ولزوم طاعته وايثاري أمره ما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم ذكرا مخلدا ومجدا باقيا ووفاء لمن أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه وصار يذكره في خلواته ويستحسن ما صدر منه

ومما أجنته بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسن من الاوائل والاواخر وعد من جواهر الجواهر وصوادر المصادر ونوادر النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما علي ابن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه أصحاب الاخبار قد أكثروا في أن شيخا يحضر ليلا الى آثار أماكن البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا جميلا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتر وا خلف جدار من هذه الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الخرابات

واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووصاف فجلس يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف حل بجعفرا * ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت أنه * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

أجعفران تهلك فرب عظيمة * كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى

مع أبيات رددها وأطالها قال فتراءينا له لما فرغ وقبضناه فجزع وفزع وقال من أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون مني قال فأعلمته ما أمر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذروني أوص وصية فاني لا آمن العطب ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدي أمير المؤمنين زبره وقال له من أنت وبماذا استوجبت منك البرامكة ان تفعل في خراب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين للبرامكة عندي أياد خضرة أفتأذن لي ان احدثك حالي معهم قال قل قال أنا يا أمير المؤمنين المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك فزالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الديون واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يرهن حتى دخلنا الى بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها لاستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا اقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا الخادمين فدخلوا وأزعجوا القوم فقاموا وأنا معهم فادخلونا دار يحيى بن خالد فاذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يدي يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمرد حين عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مقرطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب ومرفع لها من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بمثله من

العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوج وشهدت أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مل‌ء كمى ونظرت واذا نحن فى الدكة مابين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها ألف دينار شامية فوضع بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت فجعلت ألتفت الى ورائى مخافة ان أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى فقال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بسكب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم احضر موسى فأتى به فقال يا بنى هذا الرجل غريب فخذه اليك واخلطه بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدى وأخذنى الى دار من دوره فأكرمنى وعاشرنى يومى وليلتى أكلا وشربا فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل فلما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولوننى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الاحياء فلما كان فى اليوم العاشر دفعت الى يد الفضل فعطف على وزاد فى الكرامه فلما كان فى اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد هلكت ثيابى واخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما رأيت قد بقى من حوائجك فتقدم الى به فأنا مأمور بقضاء جميع ما تأمر به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا استقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى يتقلبون فى الحرير والديباج واذا قد حمل الى ألف ألف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبالتين بضيعتين وتلك الصينية

التي كانت هي فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل قصدني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي ووفاءهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال رد عليه كل ما استأديته منه في مدته وأوغر ضيعتيه يكونان له ولعقبه من بعده فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما طال قال له المأمون أحسنا اليك فلم تبكي فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فابكهم وأندبهم حتى اتصل خبري بامير المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم ابن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه على القوم وقال هذا العمري من صنائع البرامكة فعليهم فابك وا ياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر

ولنجعل لهذا الباب من القضا بالحسنى ختاما هو أوجزها كلاما وأحرزها مراما وأحسنها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهي قضية جمعت الأمرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واطلاقا وحجرا واشتملت على حال شخصين وفي أحدهما بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا واستنشق من نسيم الاسعاف بمبتغاه نشرا وأرجا وساعفه التوفيق فعلم ان من يتق الله يجعل له من أمره مخرجا وغدر الآخر فاغرى به غدره من أعوان العطب همجا وأخاضه من أبحر التلف والهلاك لججا ولم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه ان أحمد كان يرى من يطرح على الطرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات رغبة في الثواب وتقربا الى الله تعالى بهذه الاسباب فوجد عند سقايته بالمعافر طفلا مطروحا فالتقطه

ورباه وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم رواء وصورة فصار يرعاه ويعله وهو يعرف بأحمد اليتيم فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فبعد موت ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك لها ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء من أموري أنه لايخونني فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المهام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن أحمد بن طولون يحسن اليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح فركن اليه واعتمد في أسباب بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس بحيث أجلس سبحة جوهر فجئني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع حدث من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما رآياه خرج الفتى فجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلم اليه السبحة وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد لئلا يذكر حالها للامير فبقيت أياما ولم تجد من الامير ما تكره من اقباله ولا ظهر لها ما توهمته في أحمد من تسرعه في مقاله وانهاء حاله فاتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على جميع حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغوفا بتلك الجارية الجائرة الخائنة الخائرة الفاشة الغادرة العاتية العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجديدة المجيدة المسعدة السعيدة الوادة المودودة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة الراشفة المرشوفة العارفة المعروفة وصرفت لبهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها فهجر حظايا مقاصيره واقتصر عليها في طويل تنعمه وقصيره وكانت تلك الاولى لحسنها متأمرة على تأميره مطرحة حكم أمره لاتخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها وركبت وجهها في صورة حزن اقتادها

بزمام فكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ونكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه الخواص من شربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمنا في سربه جار باعلى عادته في اجتنابه حتى قربه لم يخطر بخاطره ولا تقلب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به فلما تمل الامير وأخذ منه ما كان يتناوله قال له يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملأه مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى واجتاز في مضيه بالمغنين وباقي الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم ساعة فقال أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وأدخلها الى الامير فأدار عينه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأه مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره مع الندماء وقعوده مع المغنين وإمساكهم اياه وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذه الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفتعرف لهذا الفراش ذنبا يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة فدعا الامير بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه ولم يجعل لاحد من عظماء تلك الدولة حكما يتسلط به عليه فانظرا الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد انتضاء القواضب وتفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب وتقضي على مريد رداه بسعيه الخائب وأمله الكاذب وترمي شيطان حاسده

ومقتل

ومقتل نفسه من انتقام الله تعالى بشهاب قدره الثاقب وسهم قضائه الصائب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس فى الحقيقة بعبده واطلع الله جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا فى طاعته بعهده باذلا فى واجب عبادته واجتناب معصيته مستطاع جهده فالله تعالى وتقدس يفيض عليه من ألطافه مواهب بره ورفده ويمنحه من رأفته ما يتجل به انجاز وعده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده

﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾ فى الحكم المنثورة فى الوفاء والالفاظ المذكورة بين اخوان الصفاء (منها) الوفاء من كرم السجايا والغدر من لؤم الطباع فمن عرف بالوفاء خصته القلوب بصدق الوداد وكسته الالسن مطارف الاحماد ومن عرف بالغدر عومل بالمقت والابعاد واتسم بأقبح السمات بين العباد (ومنها) من اتخذ الوفاء شعارا آمنه عقوبة الغادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقى له سوء ذكر فى الآخرين ومن عامل الناس بالوفاء قولا وفعلا فقد استخدم ألسنة الشاكرين (ومنها) من غدر فى عهده وأخلف فى وعده ونقض عرى عقده فقد قضى على نفسه بخسة أرومته وسوء عقيدته وقلة مروءته وترك له بين الناس ذكرا قبيحا وسمعة سيئة وزهد الناس فيه ونفرت القلوب عنه ورتعت ألسنة الذامين فى عرضه

﴿ الباب الثامن فى التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التوانى والغفلة ﴾

لما كانت اليقظة فى الامور والمسارعة الى احراز قصباتها والمسابقة الى نيل المقاصد بانتهاز فرصها قبل فواتها ومجانبة أسباب الغفلة والتحرز عن آفاتها من أكمل مزايا النفس المؤيدة وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده فى السور المنزلة بمحكم آياتها فقال جل وعلا تارة وسارعوا وتارة وسابقوا تنبيها على ان يقظة النفس ومبادرتها الى مصالحها من حسناتها وغفلتها وتوانيها من واجب ذلك من شقاوتها وسيآتها فمن سمت نفسه الى تسنم رتب المعالى وترامت همته الى استخدام بيض الايام وسود الليالى وأحب انتظام الامور لديه فى سلك مطلوبه الدائم ومرغوبه المتوالى تسربل بجلابيب اليقظة المغنية عن استعمال قواضى القواضب وعوامل العوالى لينكشف له بها موارد الخطل والخلل ومقاصد أهل الزيغ والزلل ويعلم المفسد من المصلح فى القول والعمل فتهون لديه

عظائم الامور وتعظم مهابته فى الصدور و يتحامى الناس أن يعاملوه بشئ من المحظور والمحذور ومتى آثر على تعب التيقظ راحة الاهمال وركن الى دعة التوانى والاغفال وسكن فى مساكن الغافلين عما تؤول اليه حال المغترين بالمحال فى الاستقبال كان جديرا بانتقاض مبرم ماركن اليه واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه و يؤل أمره الى ندامة يعض منها على يديه و يكفى فى تقبيحة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان فى أمر الدنيا خسر خسارة لا يجد دليل على دفعها معينا وان كان فى حال الآخرة فقد خسر والله خسرانا مبينا وقد أنفذ الله عز وجل حكمه بذلك وأبرمه وقصه فى كتابه العزيز الذى أنزله وأحكمه فقال عز من قائل فى حق من سبق قضاؤه فيهم بدمارهم وجرى القلم فى القدم ببوارهم أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ثم صرح بخسارتهم معللة بغفلتهم فقال تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون وكما أن الخسارة من لوازم الغفلة فكذا الربح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصرى رضى الله عنه التوانى رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ما هو ضياء يهدى المتمسك به نهج النجاة ان أعانته العناية الالهية بالتوفيق انتهز الفرصة فانها خلسة وثب عند رأس الامر ولا تثب عند آخره واياك والعجز فانه أوضع مركب واحذر التوانى فانه يجلب أنواعا من البلاء

*(وقد قيل)* من افترع مطية اليقظة فى جلباب العزم فأوضعها وادرع جنة الحزم التى ما انفاها عنه ذو دراية ولا خلعها وأحرز قصبات السبق فى انتهاز الفرص عند امكانها فجمعها وزحزح عن المسارعة الى ارتياد المراد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا بأن يجنى مقترحات الامانى مجنوبة له بزمامها وتجبى اليه ثمرات المطالب مستخرجة من اكمامها وتذل لديه صعاب الدول وجوامح أيامها وتحل له عقائل المعاقل فيملكها بعد استعصامها هذا كسرى عظيم ملوك الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بمحبتها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك يسره الله تعالى له بما ألهمه اياه من كمال التيقظ الذى لم يسبقه أحد مثله ولم يلحقه غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تطلعا الى خفايا الامور وأعظم

خلق

خلق الله تعالى تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول مامعناه متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته ولا يأمن دخول خلل عليه فى ملكه وانبسطت أيدى حاشيته وغاشيته باتباع هواها وتسلطت أطماع عماله على اقتطاع أمواله وإفنائها وصارت رعاياه فوضى لارتكابها نهج غلوائها فلاجرم علم كسرى أن سلوك سبل اليقظة يهدى الى الصلاح فصلح ملكه باتباعه وانتهاجه وفهم ان اقتراب التوانى والغفلة ينتج الفساد فسادعلى العالم باجتنابه مخافة انتاجه وهكذا كل من اقتفى فى اليقظة طريقة وأثرة وارتقى فى نهج معراجه يأمن على نظام ملكه من اختلاله وعلى ظل حاله من اعوجاجه

ومما أدركته أبصار البصائر وأهدته ألسنة الاوائل الى أسماع الأواخر وحملته بطون الدفاتر من نطف مياه المحابر أنه لم يكن فى ملوك الامم ومقدميها من ملأ قلوب رعاياه فرقا ووجلا وكشف عن وجه ولايته صدأ الغفلة وجلا وبسط فى أيام إيالته لكل محق أملا وضبط أقسام دولته بيقظته حتى أمن من جنده فشلا وفى ملكه خللا وفتح من المعاقل ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على عمال بلاده واجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا ﴿ مثل أزدشير ﴾ بن بابك ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام *(ومثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)* رضى الله عنه أما ازدشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهى أربع عشرة سنة وعشرة أشهر أظهر من آثار يقظته ما هو مذكور فى سيرته ومشهور بين الأعاجم مفصله ومجمله وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه بذل جهده فى تسديد الامور وسد الثغور وسياسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التى فيها شفاء لما فى الصدور حتى قيل ان عمله كان بمن نأى من عماله ورعيته كعمله بمن بات معه على مهاده فلم يكن له فى قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من النواحى وال ولا عامل ولا أمير الا وله عين عليه لا تفارقه فكانت أخبار الجهات كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم فى أقرب الخلق اليه وأخصهم به انه عين عليه فساس سياسة ازدشير فى الكشف عن الاسرار والتطلع الى حقائق الاخبار و سيرته

رضي الله عنه في تفاصيل هذه الاسباب يغني اشتهارها عن الاطناب في هذا الباب حتى كان يطوف في كثير من الليالي في سكك المدينة ليقف على قضايا الرعايا خوفا من ان تتجدد حالة لا تصل اليه فيؤاخذ بالتقصير فيها

ولقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة من الليالي في الظلمة يطوف لافتقاد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع منه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال من أهل البادية قدمت الى أمير المؤمنين أصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها احد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل لك في أجر قد ساقه الله اليك فقالت وما هو قال امرأة تمخض وليس عندها احد قالت ان شئت قال خذي ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وجيئيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة وجاء حتى قعد الى الرجل وقال أوقد لي نارا ففعل فجعل عمر رضي الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا أمير المؤمنين واخجلتاه منك أهكذا تفعل بنفسك فقال يا أخا العرب من ولي شيأ من أمور المسلمين ينبغي أن يتطلع الى صغير أمرهم وكبيره فانه مسؤل عنه ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من النار وجاء بها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غداة الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه وانصرف وكان من شدة حرصه على تعرف الاحوال وإقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي

حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فتسور على السطح فنزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فأمسك الاسود فقال له يا أمير

المؤمنين

المؤمنين انى قد أخطأت فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطئك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فانت أيضا قد أخطأت فى ثلاثة أشياء أولها قال الله تعالى ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيتنا من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه بهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أنى لا أعود فتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه تشهد على حرصه على معرفته بالامور

وكان معاوية بن أبى سفيان قد أخذ نفسه بالتطلع الى استعلام بواطن أمور الرعايا وسلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه سلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة وجعل يتعرف اليه وهو يظن أن زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك وأمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذى عليك وهو لفلان وقد أعارك اياه فبهت الرجل وارعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم عبد الملك ابن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك الى أن ولى المنصور فنصب العيون وأقام المتطلعين ورصد المخبرين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق القضايا وخبايا أمور الرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى أيام خلافته بأقوام لا يبرد شرارهم ولا ترد أشرارهم ولا تفل شفارهم ولا تقل أنصارهم ولولا أن الله تعالى أعانه بيقظة لا يهجع جفن سدادها ولا ينقطع عزائم امدادها لما ثبتت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم بأسيافهم وصار بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب

فمن آثار يقظته وفطنته ما رواه بدبل بن حبيب قال دخلت يوما على المنصور والسلام عليه مع الناس فأهوى بيده الى فقبلتها فوضع فى يدى شيأ لطيفا فقبضته بيدى وخرجت وتأملته فاذا هو ورقة لطيفة مطوية ففشرتها واذا فيها اذا قرأت كتابى هذا

ودخل الناس غدا فادخل معهم واطلب منى اذنا فى سفرك الى ضياعك بالرى وقل قد اختلت أحوالها ولى حاجة الى اصلاحها قال بديل فدخلت مع الناس وقلت يا أمير المؤمنين ضياعى بالرى قد اختلت أحوالها وفسدت أمورها وبى حاجة الى مطالعتها فقال لا كرامة لك فى ذلك ولا اذنا فخرجت ثم دخلت اليوم الثانى وعاودته فقال ذلك الجواب وأغلظ فى القول فقلت يا أمير المؤمنين انما أريد صلاحها لاتقوى بها على خدمتك فقال مبارك اذا شئت فاذهب فقلت يا أمير المؤمنين ولى حاجة اذكرها فقال قل قلت أحتاج الى خلوة فنهض القوم الجلوس وخرج الوقوف وبقى الربيع وحده فقلت أخلنى قال ومن الربيع قلت نعم قال فنهض الربيع فلما لم يبق أحد هناك سواه قال يا بديل ان جدت بمالك ونفسك كنت فى موضع ظنى بك قلت يا أمير المؤمنين هل أنا ومالى الا من نعمتك فان حقنت دمى ورددت على مالى وآثرتنى بصحبتك فأنا واقف مع أمرك قال يا بديل قد حدث فى نفسى ان مرارا قد عزم على خلعى وترك طاعتى وليس لى من يكشف باطن أمره غيرك لما بينكما من الالف فاذا صرت اليه الى الرى فاظهر الوقيعة فى والتنقص بى حتى تعرف ما عنده فاكتب الى به ولا تكتب على يد بريد ولا مع رسول ولا تركن الى من لا عمدة لك عليه ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم وقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن بالرى فى الدكان الفلانية فهو يوصل كتبك على أيدى من رتبتهم عنده قال بديل فمضيت حتى دخلت الرى فدخلت على مرار فقال أفلت وخلصت قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت عليه أؤانسه بالوقيعة فى المنصور واظهار السرور بالخلاص منه حتى أظهر ما كان المنصور قد ظنه به فكتبت الى المنصور بذلك فلما وصلت الكتب ووصلت الى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت الى ضياعى ثم رجعت اليه بعد أيام فقال نجاك الله من الفاجر فقلت نعم وارجو أن لا تقع عينه على أبدا وكنت أعرض به فيزيدنى مما عنده ثم قال هل لك أن تخرج الى منتزه طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتساير حتى وصلنا الى موضع مشرف بنيت له عليه فيه قبة حسنة فاخذ ينظر الى ما هنالك ثم قال يا بديل أترى الفاجر يظن انى أعطيه طاعة أبدا ما عشت اشهد على انى قد خلعته كما خلعت خفى هذا من رجلى قال بديل فرجعت الى منزلى وأنا فى كل يوم أكتب بخبره وكنت قد أعددت عشرة أنفس من الفرسان الاجلاد تسعة من بنى يربوع وواحدا من بنى أسد وواطأتهم على ان نبطش به وكتبت الى المنصور بذلك

ثم

ثم ان مرارا حصل له حاجة الى شرب دواء في ذلك اليوم فسبق اليه ذلك الرجل
الاسدي وقال له خذ حذرك من بديل فقد عزم على قتلك قال بديل فدخلت عليه
فعرفت الشر في وجهه والمنكر في نظره فقال هيه يا بديل مع اكرامي لك تريد أن
تقتلني قال بديل فتضاحكت ثم قلت بلغ من مكر الخبيث انه دس اليك هذا الاسدي
يغريك بي لمنافسته لقد عملت حيلته فيك ثم ان بطنه حركته فقام الى الخلاء وقال
لا تبرح فلما ولى قمت وخرجت مسرعا فقال لي الحاجب أسرعت قلت نعم في حاجة
للامير ثم ركبت فرسي فرأيت ابن بوعين فاخذتهم وانصرفنا ولم أر الاسدي
فعلمت انه صاحب السعاية بي اليه فلما خرج لم يجدني فوجه خيلا في طلبي فلقيتهم
ومال عليهم ابن بوعين فدفعوهم وأسرعت الى الصيمان فكنت عنده وكتبت
كتابا ظاهرا الى المنصور فسير حازم بن خزيمة بجنود كثيرة أخذوا مرارا
ومما نظمته يقظته في عقدها وشهد لها بمضاء حدها وعلاء جدها ما نقله عقبة بن
سالم الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فلما خرج الجند ردني وقال من أنت
فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص
فقال اني أرى لك هيئة وفيك نجابة وأريدك لامر أنا به معني فان كفيتنيه رفعتك
فقال اني لأرجو أن يصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضرني في
يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا وقال ان
بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا
يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فاخرج بكتب وألطاف
وعين من عندي حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتقدم
عليه متخشعا والكتب عن ألسنة تلك القرابة والالطاف والعين من عندهم اليه
فاذا رآك فانه سيجبهك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر له وعاوده وقل قد
سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكلما جبهك وأنكر فاصبر له وعاوده واكشف
باطن أمره قال عقبة فاخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى
قدمت على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فلقيته
بالكتب فانكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته
القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك وان معي منهم ألطافا وعينا فانس بي
وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما

كتاب فلا كتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرئهم السلام وخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فشخصت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته الخبر وباشياء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا فتلقاني بنوا الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغت من أكله ونظرت اليك فامثل بين يديه وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف وراءه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم انصرف عنه واياك ان يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنوا حسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه وطلب الطعام للغداء فاكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبتغيني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا امير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن حسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهامي فرفع رأسه إلي وملأ عينه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب عذابه دعاني المنصور يوما واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني والله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لاصلن رحمه ولاتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه فامر بعذابها فلما بلغ العذاب منها واغمي عليها قال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال مادوا عليها فقالوا اله ثم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وتسقي السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت وحدثها وعاودها المسئلة عنه فقالت لا أعلم فلما رأى أصرارها على الجحود قال لها اتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتخدمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي

ومضاربي ودنانيري عنده أمرته أن يبتاع بها ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوايج فقال لها ما تصنعين به فقالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا لتتخذ منه النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور أرعدت خوفا واذعنت له بالحديث وحدثته كما أراد وكان المنصور يشتهي صلاح حال محمد بن عبد الله بن الحسن ويود له البقاء وان لا يثير فتنة ولا يخرج عن طاعته فابت الاقدار الا ان محمدا جمع خلقا وقصد المدينة ودخل السوق وقصد السجن وكسره واخرج من فيه من المسجونين وخرج عن الطاعة وسب المنصور ودعا الى نفسه فلما اسرع الخبر الى المنصور كتب كتابا اليه بالاطافة فيه ويعده بكل ما فيه صلاح حاله ويحذره من الفتنة وسفك الدماء فاعاد عليه الجواب مجاهرا بالشقاق ومتظاهرا بادعاء الخلافة لنفسه فعاوده بكتاب آخر يحذره ويخوفه فلم يزدد الا شدة فجهز المنصور اليه ابن اخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وجهز معه جيشا فمضى اليه وحاربه وقتله وحمل رأسه الى المنصور وخرج ابراهيم اخو محمد المذكور بالبصرة ومعه جمع فقصد دار الامارة وقتل وفتك واستولى على بيت المال بالبصرة وأخذ منه ألفي ألف درهم ودعا الى نفسه فجهز اليه المنصور عسكرا ومازال يعمل فكرته ويستعمل فطنته ويستحضر يقظته حتى قتل ابراهيم واحضر رأسه اليه قال عبد الله بن راشد دخلت على المنصور في ايام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لاسلم عليه وأنا اظن انه لا يقدر يرد السلام لتتابع الفتوق والخروق عليه وكثرة الاعداء القاصدين خلعه من الخلافة وان بالكوفة مائة ألف سيف كامنة ينتظرون به صيحة واحدة فيثبون عليه فلما دخلت عليه رأيت منه أسدا مشمرا قد قام الى ما نزل به من النوائب يعركها عرك الاديم ويفتهات الهشيم ونهض بها ولم تقعد به نفسه فيها واوساط عليها سيوف يقظته وعزمه وكان يتمثل في تلك الايام بهذا البيت

تفرقت الظباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

*(تهذيب واعتبار وتقريب واستبصار)*

قيل من استثقل مؤنة اليقظة فاطرحها واهملها واستقبل راحة الغفلة فاستصلحها

واستعمالها وكحل أبصار التحفظ والتحرز بمرود العمى فعملها استفتح عليه من أبواب النصب والعطب مقفلها واستطلع من نجوم النحوس في البروج الثوابت آفلها وقد توقع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرحه وتقطع عليه مما يحاوله سبل سعيه فلا يؤمل نجحه فقصده ويتوانى من أحكام أمره فيحصل به خسره ويفوته ربحه

وفي قضية أبي جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة لمعتبر وتذكرة لمزدجر فإنه لما تواطأ جماعة من مقدمي الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يلبث إلا أياما يسيرة وصار يسترسل في مجلسه غافلا ويهمل ما يوجبه التيقظ والتحفظ قائلا وفاعلا ويصدر منه في حق أولئك القاتلين أباه حركات منطوية على اضمار قتلهم ويقول لهم أنتم قتلتم أبي مجاهرا بإنكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره في أقواله وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز اعلانا واسرارا وأغفل انتهاز الفرص توانيا لا استكبارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعه بها إخبارا أثار عندهم بالتوعد الصادر عنه داعية إعمالهم الحيلة في سرعة الخلاص منه فاجتمعوا وهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة إلى إهلاكه ومبادرته وأن يسبقوه قبل أن تسبق إليهم سيوف نقمته فاستحضروا طبيبه جبريل بن بختيشوع وتلوا عليه من أمرهم سورة سورته ولما ألقوا عليه من ذلك قولا ثقيلا وأفضوا إليه بسرهم ليوضح لهم إلى نجح سعيهم سبيلا وبذلوا من المال له ما أحضروه لديه قدرا جليلا ومبلغا جزيلا اجتلب لشرهه عطاءهم وأجاب نداءهم واستصعب داءهم واستصوب آراءهم وحاز المال الذي بذلوه والتزم انجاز ما سألوه وافترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيما سألوه متحققين لما علموه من اغفال المنتصر التيقظ والتحفظ وعقلوه أنهم قد خلصوا من شر كيده وضر يده وقتلوه فلم يلبث المنتصر إلا أياما حتى احضر جبريل ليفصده ففصده بمبضع قد سمه فمات من ليلته فانظر إلى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ من استحالة الأحوال واختلالها ولم يبق المنتصر بعد أبيه إلا أياما قليلة فاقتنصته الأقدار بنوائبها بشباك حبالها وأشراك احتيالها

﴿ ايقاظ واتعاظ ﴾

هذا جبريل بن بختيشوع المسوّد وجه أمانته المفسد عقيدة ديانته الخائن من ائتمنه على مهجته الشائن أبناء جنسه بوصمة خيانته القائل من لم يقصد أذاه الخاتل من كساه من وارف نعمته وحذاه وسقاه من طارف ثلاثته وغذاه لما كفر نعمة مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبت العدلة الربانية الا مقابلته على ما أتاه ومجازاته على سوء ما قدمت يداه فعاجله الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة بعقوبته وجزاه من غير اهمال بمثل سيئته وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحوجته الى فصد وتنقيص دم فأحضر تلميذا له ليفصده وأخرج دست المباضع الذي له وقد ختم الله على قلبه وفهمه لانفاذ قضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المبضع المسموم الذي فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به فمات من ساعته فسبحان الحكم العدل الذي لا جور في حكمه وامضائه ولا ظلم في قدره وقضائه ومثل هذه الواقعة قيل اياك وتقريب من استعبده الشره وملكه الطمع واقتاده الحرص واستحوذ عليه الشح فان هذه الخلال ما جمعها الا من فارق الدين وفقد الامانة وعدم المروءة وتحلى بسوء العقيدة وذلك يبعثه على اجابة من بذل له محبوبه وعجل له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفرا بالله تعالى أو سفك دم أنبيائه فيجب على ذي الايالة العظيمة والولاية الحاكمة على الخليقة أن يختبر كل مقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره

﴿ تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء ﴾

قد شرف نور اليقظة من مطالع التوفيق وتألق ضياء الفطنة فيهدى الى سواء الطريق فيسلكه اليقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار الى الرفيق ويحميه عن أن تهوى به ريح الغفلة والتوانى في مكان سحيق ولهذا يقال من جرى بجواد اليقظة في حلبات الاعمال أحرز قصبات الآمال ومن اهتدى الى جواز الفطنة في مقامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال فكم من فكرة تناولت بيد يقظتها ثمر مرامها وطاولت بعزم فطنتها من الافلاك أوج كيوانها وبهرامها فأدركت غاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها ومحت على آثار الاحتيال التي محوها سبل ذيولها فتم مرامها وكمل ووصل مرادها وحصل ودام لها ما حاولته واتصل

كما نقلت ألسنة السلف الى أسماع الخلف من قصة الحجاج بن علاط السلمي في حسن تلطفه واحتياله وكمال يقظته في توصله الى تحصيل آماله وتلخيصها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول من قدم أسلم تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق في تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أن أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فأذن لي لعلي أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أحتاج ان أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال أبو العباس احمد بن ابراهيم أحد رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال والتوصل الى الحق لانه من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر وقد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتحسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد بلغني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي على غرمائي بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار هنالك فقاموا معي فجمعوا مالي كأحث جمع سمعت به قال وجئت صاحبتي فقلت مالي لعلي ألحق خيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاء عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قال قلت له فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى أفرغ قال حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس

فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب واكتم على ثلاثا ثم قل ماشئت قال أفعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية ولقد افتتح خيبر وانتثل جميع ما فيها وصارت له ولاصحابه قال ما تقول يا حجاج قال إي والله فاكتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا لآخذ مالي فرقا من ان أغلب عليه فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله اما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن قال ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل بيقظته واحتياله الى تخلصه وتحصيل ماله

## ﴿ تجديد بيان وتأكيد برهان ﴾

لما تجمعت الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم ابن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وأولادهم بغيره فليسوا مثلكم

فان هم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب وكان قائد المشركين من قريش ولمن معه من كبراء قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعن منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان قال يا معشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على ما أقول لكم قالوا نفعل ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى لرسوله أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم فى جوابهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تتشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قال بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا لا ندفع اليكم والله رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقال بنو قريظة حين أنهت اليهم الرسل هذا الكلام إن الذى ذكره نعيم لحق ما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وأرسل الله عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم

نعيم بن مسعود وهذه الفطنة وهداه الى هذه اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ من جواهر الحكم المنثورة ونوادر الكلام المأثورة (منها) من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به (ومنها) اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن فيما استيقظ له من الاختلال والضياع وان يجار فيه عليه (ومنها) ما استظهر عدو المرء عليه بأعظم من توان دائم يجده فيه وغفلة مستمرة يأنس بها واستثقال أعباء التحرز والتحفظ واهمال الفرص فى أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن وفود اليقظة اذن فى ورود الندم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم ومن استقرب شقة التوانى فسيستطيل مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال فسوف تزل به القدم

*(الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف)*

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز باقالة العثرات والحلم عن مقترفى الزلات والصفح عن ذوى الهنات واسداء الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف لاسيما الى أهل الديانات كل ذلك معدود من محاسن الحسنات ومكارم الاخلاق التى هى صفوة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات وصرحت به السنة النبوية على ألسنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقال تقدس اسمه مخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال أبو هريرة رضى الله عنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له فى ذلك مم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقى من حسناتى

شئ فقال يارب فليحمل من أوزارى عنى ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك اليوم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال الله تعالى للطالب بحقه ارفع بصرك الى الجنة فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يارب فقال لمن يعطينى ثمنه قال ومن يملك قيمته يارب قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه قال فخذ بيده وادخل به الى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وقال تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونقل أيضا أبو هريرة رضى الله عنه ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فجاء رجل فوقع فى أبى بكر رضى الله عنه وهو ساكت والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد عليه أبو بكر رضى الله عنه بعض الذى قال فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض الذى قال فغضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت ساكتا كان ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكن لاقعد فى مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاثة حق انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا أعزه الله ونصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة الا زاده الله بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من كان له أجر على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العبادة أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بمكارم الاخلاق فى الدنيا والآخرة قلنا ماهى يارسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن كيف حبك لعلى بن أبى طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حلمه اذا غضب وعلى صدقه اذا قال وعلى وفائه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر واذا رضى لا يخرجه رضاه الى الظلم وان غضب لا يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له وكان معاوية

يقول

يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى

*(بداية وهداية)*

فى جواهر الآثار وخبايا الاخبار ما يشنف أسماع ذوى الاستبصار ويزلف الى ارتقاء منازل أهل الفخار فانه يقال من اقتدى بعلوم الحكماء فى اقتناء الخلائق الرضيه واهتدى بنجوم العظماء فى اقتفاء الطرائق المضيه كان خليقا أن يوصف بالنفس الزكية والشنشنة الاخزمية وجديرا ان يعرف بالسيرة السوية والهمة العلية كما نقل عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه متنقبا مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة ومن تناوله الاغترار بما مدله من أسباب الرجاء أمن عادية الدهر على نفسه وهجمت به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والتفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة و بينهما عفو الله وهو أعظم مما تحاول وأكبر مما تؤمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه والخلع عليه ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

ردت مالى ولم تمنن على به * وقيل ردك مالى قد حقنت دمى
فان يجدتك ما أوليت من كرم * انى إذا الأوم أولى منك بالكرم

*( تأكيد بيان وتجديد برهان )*

من قابل المكروه بالعفو والزلة بالحلم والاساءة بالاحسان والسيئة بالغفران فقد أوطأ أخمص قدمه قمة أوج السيادة وأعطى نفسه بشراها بأن لها الحسنى وزيادة وكان فى أول جريدة الاعتبار اذا عد أهل السعادة وقد صدع لسان النقل فأسمع وفرع فنن الرواية فأينع وطلع نجم الاسناد فأمع وتتابع طريق الاخبار فما انقطع *(ان معاوية)* لما ولى الخلافة وتفوق حلب اخلافها وتطوق نصب انصافها ومزق سرب أخلافها وفرق عصب اشرافها وانتظمت لديه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعفه فى مراده القدر المقدور استحضر ذات له خواص أصحابه المنتظمين فى سلك مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة فيها من المعروفين وانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وسلكوا شعبه فى اليفاع والحضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب على مسمعة اياهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية فأيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال معاوية بئس ما أشرتم به وقبح ما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى انى بعدما ظفرت وقدرت أقتل امرأة وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا بزائغة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل الاختيار الى لم أبرح من مكانى وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة له فحملها فى هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ياخالة وكيف مسيرك قالت خير مسير كأنى كنت ربيبة بيت أو طفلا فى مهد فقال بذلك أمرتهم فهل

تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألست الراكبة الجمل الاحمر يوم
صفين وأنت بين الصفين توقدين نار الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما
حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير
ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيأ من
كلامك قالت لا والله قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس انكم في فتنة
عمياء غشيتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء
لا يسمع لقائلها ولا ينقاد لسائقها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان
الكوكب لا ينير مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا الحديد
ألا من استرشد أرشدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها
فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأن قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة
العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون فنزال نزال والصبر الصبر فمن كتب يمدح الاقدام و يذم الاحجام
ولا يهجن أحدكم يقول كيف ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا ان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة إيها الى الحرب غير
ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان
ذاك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك
يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال لها وقد
سرك ذلك قالت نعم والله سرني قولك وأنى لي بتصديقه فقال معاوية والله لوفاؤكم
له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته اذكري حاجتك لتقضى فقالت يا أمير
المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا أعتب عليه شيأ قال قد أشار علي
بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشركته قال كلا بل نعفو
عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت كرم منك يا أمير المؤمنين فمثلك من قدر فعفا
وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسئلة وجاد من غير طلب فقال صدقت ثم أعطاها
كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى
وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاة بها وبعشيرتها (وقيل) كان لعبد الله بن
الزبير أرض وله فيها عبيد يعملونها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها عبيد له يعمرونها
فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول

فيه أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال يا بنى ماترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال أو خير من ذلك يا بنى ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير فقال وقفت على كتاب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ماساءه والدنيا باسرها عندى هينة فى جنب رضاه وقد كتبت على نفسى صكا بالارض والعبيد وأشهدت على نفسى بذلك فليضفها مع عبيدها الى أرضه وعبيده والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه اسفر وجهه فقال له يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب فاذا منيت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء

﴿استبصار مهتد واعتبار مقتد﴾

قد تعظم جريمة المسيء فى القلوب ويتفاقم ذنبه فى النفوس فلا يرجى له عفو ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتحكمت فيه يد الاقتدار عليه انطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه فى العفو عنه وربما يزيد على العفو والصفح عن جرمه بالاحسان اليه والرعاية له كما جاءت بطون الصحائف الى الخوالف من أخبار من سلف من الخلائف فان الرشيد بن المهدى خرج عليه خارجى رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وأنهض الناس والجند للخروج لقتاله فلما توجه الجيش اليه وظفروا به أحضروه الى دار الخلافة فلما دخل على الرشيد قال له ما تريد أن أصنع بك قال له اصنع بى ما تريد أن يصنع الله بك اذا وقفت بين يديه وهو أقدر عليك منك قال فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وأمر باطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتفنى أموالك وتظفر بهذا الذى خرج عليك وأفسد فى بلادك وتطلقه بكلمة واحدة تأمل يا أمير المؤمنين هذا الامر فانه يجرئ عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده فلما عاد ومثل بين يديه علم انه قد سعى به وأشير على الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين لا تطع فى مشيرا نعك عفوا تدخره عند الله يدا ويبعثك على الانتقام الذى ليس

من مكارم الاخلاق واقتد بالله تعالى فانه لو قبل قبلك مشيرا لما استخلفك طرفة عين وأحسن كما أحسن الله اليك فأمر باطلاقه وأحسن اليه وقال لا تعاودونى فيه

ومن قبيل ذلك مما ينتظم فى سلك هذا الاستبصار ويندرج تحت هذا الاعتبار ما نقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا اربط جاشا ولا أثبت جنانا من رجل رفع عليه وسعى به الى المنصور ان عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره اليه فأحضرته ودخلت به عليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى لبنى أمية عندك فاخرج الينا منها واحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور يفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه واجعله فى بيت المال قال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة على أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ ولا يسعنا الا ان نعفو عما قيل عنه ثم قال له هل لك من حاجة قال نعم حاجتى أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلى ليسكنوا لسلامتى فانهم راعهم اشخاصى اليك وقد بقى لى حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال قل نقضى لك قال تجمع بينى وبين من سعى الى بى فوالله ما لبنى أمية فى يدى مال ولا وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى قلته أولا فرأيت ذلك أقرب للخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف منى الطلب له فسعى بى فشدد المنصور على الغلام وخوفه فاقر بانه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه خوفا من أن يقع فى يده فقال المنصور للشيخ سألتك أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار التى أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى يا أمير المؤمنين ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول

مارأيت مثل الشيخ يارب يسح

﴿ موعظة بليغة لبعض الحكام على تطلع أحوال رعاياهم ﴾

ومما يطرب لفظه ويجتذب رفضه ويتعين على ذوى الدراية واليقظة حفظه ما يجمع أشتاتا من الفوائد ويسرع أسبابا الى المقاصد ويطوق أجياد العبر بفرائد القلائد ويحقق لذوى الفكر أن نصح أولى الامر من أعظم القواعد وهو ما جرى للخليفة المنصور المذكور بمكة حرسها الله تعالى وتلخيص ذلك ان المنصور كان يطوف بالكعبة ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور وجلس فى ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه فصلى ركعتين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور ما الذى سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى بما أرمضنى قال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى انبأتك الامور على جليتها وأصولها والا أجادل عن نفسى قال له المنصور أنت آمن على نفسك فقال ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغى والفساد أنت قال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى قال وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ان الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم الاسلحة وأمرتهم أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بايصال المظلوم والملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال فلا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها قالوا هذا خان الله فمالنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على ان لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما اشتهر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول

عليك فان أراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك واوقفت رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى الرجل وبلغ أولئك الذين هم بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته اليك فان المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدافعه ولا يقبل عليه واذا جهد واضطر وأخرج وقف وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر فما بقاء الاسلام على هذا وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا فعزاه جلساؤه فقال اما اني لست أبكي على مانزل بي من ذهاب سمعي ولكنني أبكي لمظلوم يقف بصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما اذا ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ثم صار يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله تعالى غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبك شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله جل وعلا يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذي يعطي بل الله عز وعلا يعطي من يشاء بغير حساب وان قلت انما أجمع المال لتشديد السلطان وتقويته فقد أراك الله تعالى بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والكراع والسلاح حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما أجمعه لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها فوالله مافوق ما أنت فيه منزلة الا منزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل والصلب قال المنصور لا قال فكيف تصنع يا أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده وعمل بخلاف ما أمر به في كتابه بالقتل ولكن يعاقبه بالخلود في العذاب الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه قدماك هل يغني ما شححت عليه من مالك ومن ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب على ما خولك فلما أتم الرجل كلامه والمنصور يتململ منه بكى بكاء شديدا ثم قال ياليت المنصور

لم يخلق ثم قال الرجل يا ويحك كنت أفكر في الانتقام منك على ما جبهتني به والآن فقد رأيت العفو عن مقالتك لصدق مقصدك أولى وشكرك على نصحك أجدر فكيف احتيالي لنفسي والسلامة من مؤاخذة الله تعالى على ما أوضحته فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلاما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بآرائهم وأقوالهم يسددوك قال المنصور قد بعثت اليهم فهربوا مني قال الرجل خافوا منك ان تحملهم على طريقتك فلم يرضوا بها ولكن افتح باب مجلسك وسهل حجابك وأنظر في أمور الناس وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والاموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الامة فبينما هو والرجل في الحديث دخل المؤذنون فسلموا عليه للصلاة فقام وصلى فلما فرغ من صلاته وعاد طلب الرجل فلم يجده فما زال المنصور بعد ذلك يذكره ويقول اذا ذكره كرهت كلامه ثم حمدته وانتفعت به

*( تذييل لشارة وتسهيل عبارة )*

اذا أراد الله تعالى أمرا هيأ أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنح اكتسابه وقلب له القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب اليه النفوس الحاذرة منه فباشرته حتى يصدر ذلك المقدور على خلاف طباع مصدره ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق الانكار عليه في نظره كل ذلك لانفاذ الله تعالى في عباده حكم قضائه وقدره

هذا الحجاج بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلالا قبيحة ظاهرة وباطنة من دمامة الصورة وقبح المنظر ولؤم النفس وقساوة القلب وشراسة الاخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين والاقدام على انتهاك حرمات الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق وبالنفط والنار وأباح الحرم فسفك وهتك وقد قيل ان في مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف انسان وكان لا يرجى عفوه ولا يتوقع خيره وكانه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلاظة وقساوة ومع ذلك فقد رفق الله قلبه وألان عريكته وألهمه ما خالف سجيته وباين عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج في أيام عبد الملك بن مروان بالعراق وظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدور

عليه منهم فلما كان آخر الامر قدم اليه رجل منهم له سمت ورواء وطلاقة فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب فقال لحاجبه ما هذه الضجة قال نسوة فى الباب يسألن الدخول على الامير فقال الحجاج ائذن لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة كلهن أهل بيت هذا الرجل الذى هم الحجاج بقتله فقال لهن الحجاج ما حاجتكن فتقدمت امرأة منهن فقالت أصلح الله الامير ان رأيت أن تجود باستماع ما أقول فقال لها قولى ما أحببت فقالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا

أحجاج لو تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل أجمعا

أحجاج لا تفجع به من نسائه * ثمانا وتسعا واثنتين وأربعا

فمن رجل دان يقوم مقامه * علينا فهلا لا تزدنا تضعضعا

فرق الحجاج لقولها ووجد رقة عليهن وعفا عنه وأطلقه وزاد فى عطائه مائة دينار وكتب كتابا الى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها وانه قد رق لهن وأطلقه وزاد فى عطائه مائة دينار فكتب اليه عبد الملك يحمده على ذلك وأمره أن يزيده مائة دينار اخرى فى عطائه فصارت له زيادتان زيادة الحجاج وزيادة عبد الملك وصار الحجاج يرعاه ويسأله كل وقت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن الحجاج من غرائب أخباره وعجائب آثاره لكن جذبه الله تعالى الى فعلها بازمة أقداره * وحيث انتهى القول فى العفو والحلم والتجاوز والصفح الى هذا المقام فلا بد من اتمام وظيفة هذا الباب بذكر نبذة من القول فى اصطناع المعروف والدفاع عن الملهوف فان خير فعله فائض وخير ثوابه مستفيض وحوض نفعه مفعم وروض فضله أريض ومقام مكتسبه يفاع ومقام مجتنبه حضيض وفى الآيات والاحاديث من الدلائل المرغبة ما فيه باعث وحث وتحريض فان اسداء المعروف واغاثة الملهوف من أحسن الاحسان وأى عمل خير من عمل يكتب فى صحيفة الانسان وقد قال الله عز وجل وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وقال تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال تعالى ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وانه قال صلى الله عليه وسلم

اصطناع المعروف يقي مصارع السوء وانه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد أخلف الله عليه في دنياه وضاعف له الاجر في الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه استكثروا من شيء لا تأكله النار قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب الاحبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال له كعب يا أمير المؤمنين ان هذا الذي قلته فيما أنزله الله في التوراة على موسى بن عمران عليه السلام فان في التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني و بين عبدي

*( تمهيد قاعدة وتجديد فائدة )*

من مد يد تطلعه الى اقتطاف ثمار الاخبار وجد بجد يقظته في استعراف أسرار الآثار ورود دانسان ناظره الى استجلاء ما أسفرت عنه وجهات الاسفار وشد وسط عزمه لاجتناء الفوائد الملتقطة من جهات الاسفار كان خليقا أن يحصل منها على غرائب تفتح لها أبواب المسامع وجديرا أن ينقل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل سامع لاسيما فيما يستعيد حمدا ويخلد ذكرا ويستجد شكرا ويستوفر اويبيد عسرا ويفيد يسرا ويعد الى اكتساب مكارم الاخلاق جسرا فمن ارتدى بجلبابها واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها فمنح معروفا وأفرج ملهوفا وكشف مخوفا وصرف عن أبناء جنسه حتوفا فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله المعروف في زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما آتاه الله من فضله ولا بد لمن أحب الارتداء برداء السعداء والاقتداء بما أعتمدوه من الاسداء والاهتداء بنور أعمالهم في الإعادة والابداء من أن يقف لهم على وقائع كرم اعتمدوها وصنائع معروف رفدوها وطرائق خيرات قصدوها وحقائق مروآت أوجدوها ومنن نظموها في قلائد الاعناق وقلدوها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن انتهج قصد مثال حذاه فما خاب وهذه نكت صنائع أنتج الفكر الاستدلال بها في هذا الباب وصور وقائع برزت من حجابها لتذكرها أولو الالباب

(فمنها) واقعة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فان الحجاج أخذه وعذبه وقصده

واستأصل وجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه ودخل فيما جعله الله نجاة من تلفه وأرغب السجان وتحدث عليه واستماله اليه وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وأمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى انما أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى مستجيرا فاجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فعل منعما فكتب اليه الوليد انه لابد أن تنفذ الى يزيد مقيدا مغلولا فلما ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد فقيده ثم شد قيده هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وحملهما الى الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فانى قد وجهت اليك يزيد وابن اخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وايوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرق واستحيا وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد يتكلم ويحتج عن نفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فصار يزيد الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وأقام عنده في أعلى المراتب وأفضل المنازل وينتظم في سلك هذه القصة ويقرب منها واقعة الكوفي مع معن بن زائدة

وتلخيص معناها ان الخليفة المهدي بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه يسعى في فساد دولته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أو جاء به مالا جزيلا فأقام الرجل مدة

متواريا لا يظهر مخافة الهلاك فلما طالت الايام عليه ظهر يوما ببغداد فبينما هو يمشي في بعض نواحيها بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثوبه وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال اذ سمع وقع الحوافر من ورائه فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فانه قد أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مالا جزيلا فقال معن لغلام من غلمانه انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل به بالناس أيحال بيني وبين طلبة أمير المؤمنين فقال له معن اذهب واخبره أنه عندي فانطلق الرجل الى باب دار المهدي وأخبر الحاجب فدخل الحاجب وخبر المهدي فأمر باحضار معن فأتته الرسل فاحضر أهل بيته وقال لا يخلص الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب وسار الى المهدي فدخل عليه وسلم فرد سلامه وقال يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين قتلت في اليمن في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر ألفا الى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فما رأيتموني أهلا لان يوهب لي رجل واحد استجار بي فأطرق المهدي طويلا ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال قد أجرنا من أجرت ووهبناه لك فقال معن ان رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال فيأمر أمير المؤمنين بتعجيلها فأمر بذلك فأحضرت فانصرف معن الى الرجل بالمال وأضاف اليه من عنده كسوات ودفع الجميع اليه وقال خذ هذا والحق بأهلك واياك ومخالفة خلفاء الله تعالى

*(ومن غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الاسلوب)*

ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني قال فخليت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار فانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب

خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقينيه قال نعم وقام فأخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يتلمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فأردت ان ألقي اليك شيأ فقلت قل قال أترى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كانت فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار أسأله شيأ يصلني به وأتوصل به الى سوار فانه كان صديقا لابي قلت ومن أبوك قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له يا هذا فان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان غد فصر الى منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدث أمير المؤمنين المهدي بشئ أظرف من هذا فاتيته فاستأذنت عليه فاذن لي فلما دخلت عليه وحدثته أعجبه فامر لي بالفي دينار وقال ادفعها الى الاعمى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألف درهم فامسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت إلى منزلي واذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت ذلك منه فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فقبضتها ثم انصرفت فجاءني الاعمى فدفعت اليه الالفين وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وحسن معاملته باسداء المعروف اليك بأضعاف ذلك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي وجهزته وانصرف

ومما يلتئم مع هذه القصة ويشفعها ويأتم بها ويتبعها قضية عبد الله بن مالك قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الي في ندماء ولده موسى الهادي ان أضربهم وأحبسهم صيانة للهادي عنهم فيبعث الى الهادي يسألني الرفق بهم والتخفيف في أمرهم فلا ألتفت الى ذلك وأمضي لما يأمر به المهدي فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلاف فبعث الي يوما فحضرت ودخلت عليه متكئا

متخنطا واذا هو جالس على كرسي والنطع والسيف بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك تذكر يوما بعثت اليك في أمر الحرامي لما أمر أمير المؤمنين بضربه فلم تجبني وفي فلان وفلان وجعل يعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولي قلت نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن أن أتكلم قال نعم قلت أنشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك انك وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث الى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لابيك فاستدناني فقبلت يده فأمر بخلع أفيضت علي وخرجت من عنده وصرت الى منزلي مفكرا في أمره وأمري وقلت في نفسي يحدث القوم بالامر الذي عصيته فيه وهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأني بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه في وحملوه في أمري على ما كنت أتخوفه قال فاني لجالس وبين يدي خبز من رقاق مشطور بكامخ وأنا أسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت هاوالله قد جاء ما ظننت واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا وأمير المؤمنين الهادي في وسطهم فلما رأيته وثبت من مجلسي مبادرا فقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال لي يا عبد الله اني فكرت في أمرك بعد انصرافك فقلت يسبق الى قلبك اني اذا جلست وحولي أعداؤك الذين أساءت اليهم أنهم يزيلون ما حسن من رأيي فيك فاقلقك ذلك وأوحشك ومنعك القرار فصرت الى منزلك لا وانسك وأعلمك ان الوحشة قد زالت من قلبي فهات فاطعمني مما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل حتى تعلم ان الوحشة قد زالت وقد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فلا تستوحش وليزل خوفك ووحشتك فادنيت منه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها الكامخ فأكل ثم قال هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله من مجلسي فادخلت بغال كثيرة موقورة دراهم وأطعمة وقال هذه لك فاستعن بها وهذه البغال أيضا وقد وليتك ما كان ولاك اياه والدي المهدي ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات والدراهم والملابس ما لا حصل لي في طول مدة خدمتي المهدي وصرت بعد ذلك أعد نفسي من صنائعه

ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما قاله القاضي يحيى بن أكثم قال دخلت يوما على الخليفة الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت بصيحة عظيمة في القافلة الحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترى ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع يخور كخوار الثور و يرغو كرغاء الابل فهالني أمره و بقيت لا أهتدي الى ما أعمل في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم يقرب به واذا رمي بسهم نبا عنه ولم يعمل فيه فقلت في نفسي أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسلت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وأنا متوقع منه وثبة يزدردني فيها فلما رأى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في اناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت سطيحة من ماء وعدلت الى ناحية من الطريق فقضيت حاجتي وفرغت من صلاتي وجلست مكاني والقافلة على حالها فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا فلما لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أعمل أخذتني حيرة وبقيت أضطرب واذا بصوت هاتف يقول ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا فاركبه * و بكرك الميمون منا فاجنبه

حتى اذا الليل أزيل غيهبه * فحط عنه رحله وسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي و بكري الى جانبه فأنختة و ركبت فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي عنه فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فياف تضل المدلج الهادى
ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغت مأمننا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت الى البكر وسمعت الصوت يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكادى
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع

*( خاتمة لهذا الباب )*

فى كلمات من الحكم المرقومة ببراعة الفصاحة واشارات من الكلام المنظومة من براعة الملاحة (منها) ليس من عادة الكرام اسراع الانتقام فلا تأخذ بالنميمة ولا تنتقم مع القدرة ولا تزهد فى العفو وارحم من دونك يرحمك من فوقك (ومنها) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه (ومنها) من أحب أن يعفو الله عن سيآته ويتجاوز عنه فليعف عن هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيآتهم مالم يكن فيه اسقاط حد من حدود الله أو حق من حقوق الاسلام أو تجاوز الى الوقوع فى حمى الحرام (ومنها) الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه فضل ومحل الفضل أعلى والتحلى به أولى وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب فى الحظ الأوفر والنصيب الأكثر (ومنها) اصطناع المعروف يقى مصارع السوء ويزرع المحبة فى القلوب ويكتب الشكر على الالسنة وينشر حسن السمعة فى الدنيا ويستميل الناس الى مدح فاعله عند استغنائه عنهم والى تلبية دعائه واجابة ندائه عند استغاثته بهم والى الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جزيل الاجر ويخلد جميل الذكر

*( الباب العاشر فى مدح الصدق وذم الكذب )*

مراتب المزايا فى مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجايا عند ذوى التحصيل تتفاوت بمقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف بأقدارها

ومطالب القضايا عند ظلم الشبهات تعرف بأنوارها ولما كان الصدق من أجل المزايا وأكمل السجايا وأشرف العطايا وأتم القضايا وانه من أعلى الاوصاف محلا وأعظمها قيمة وأحسنها سمعة وأنفعها أثرا ووجه صاحبه الابيض وباعه الاطول لاجرم كرر الله تعالى ذكر الصدق ومدحه في مواضع من كتابه وأثنى على من اعتمده وأتى به فقال جل وعلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال تعالى الصابرين والصادقين وقال تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وقال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال تعالى في حق المؤمنين بعد مناقب عددها لهم وصفات وصفهم بها أولئك هم الصادقون وقال تعالى أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون وقال تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم والآيات في هذا الباب كثيرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأما الكذب فقد صرح القرآن الكريم في محكم آياته والحديث النبوي على ألسنة رواته بما يشهد بقبح الكذب اما للازمه واما لذاته وانه معدود في حق مباشره من أوزاره وسيآته ويكفي في ذلك قول الله سبحانه وتعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صفوان بن سليم قلنا يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل أيكون المؤمن كذابا قال لا

﴿ ومما فيه زيادة استبصار وافادة اعتبار ﴾

انه كم من سبب دمار وعطب وبوار واتلاف من ذي اقتدار واشراف على شفا جرف هار عارضه الصدق فأبطل حكمه ومقتضاه وأزال أثره ومحاه وزحزح صاحبه عن التلف ونجاه والبسه لباس سلامة وسعادة وكساه وفي القصص التي جمعت الصحة بين متنها واسنادها وأجمعت أئمة العلم على نقلها وايرادها ما فيه غناء عن كثرة الوقائع

وتعدادها اكتفاء عن مقدمات استدلالها واستشهادها

(فنها) واقعة أصحاب الغار وتلخيص معناها وذكر ما أسدته اليهم يد الصدق من حسناها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل واحد منكم بما يعلم الله انه صدق فيه فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا فتأخرت مرة فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح على يدي أرقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم أحب الناس الي راودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس الي وتركت لها الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم اني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد الي أجري فقلت كل ما ترى من الابل والبقر والغنم والرقيق من أجرك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا أستهزئ بك فخذه فأخذه كله فاستاقه ولم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون

ومنها قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتلخيص معناها ان كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة بدر في غزاة غزاها حتى كانت غزاة تبوك وهي آخر غزاة غزاها وآذن النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل ليتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار وكان صلى الله عليه وسلم قلما أراد غزوة الا وارى غيرها

ويقول الحرب خدعة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبتهم وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ وأنا مع ذلك اصغو الى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غاديا بالغزاة وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غاديا فقلت أنطلق غدا الى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم فانطلقت الى السوق من الغد فعسر على بعض شأني فرجعت فقلت غدا ان شاء الله أرجع وألحق بهم فعسر على بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الاسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أن لا أرى بالمدينة أحدا الا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف الا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل كعب بن مالك قال رجل من قومي يا رسول الله خلفه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه الا خيرا فبينما هم كذلك اذا برجل يزول به السراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج من سخط النبي صلى الله عليه وسلم وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى اذا قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم بالغداة راح عني الباطل وعرفت انني لا أنجو الا بالصدق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فصلى في المسجد ركعتين وكان اذا جاء من سفر فعل ذلك ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف فيحلفون له ويعتذرون اليه فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فدخلت المسجد فاذا هو جالس فلما رآني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال لي ألم تكن ابتعت ظهرا فقلت بلى يا رسول الله قال فما خلفك قلت والله يا رسول الله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه على بعذر لقد أوتيت جدلا ولكنني قد علمت يا نبي الله أنني ان أخبرتك اليوم بقول تجد على فيه وهو حق فاني أرجو فيه عفو الله وان حدثتك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب أوشك الله أن

يطلعك علي والله ما كنت أيسر ولا أخف حاذامني حين تخلفت فقال أما هذا فقد صدقكم الحديث قم حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبونني فقالوا والله ما نعلمك اذنبت ذنبا قبل هذا هلا اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي من وراء ذنبك ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت ان أرجع فأكذب نفسي فقلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين شهدا بدرا فقلت لي فيهما أسوة وقلت لا والله لا أرجع اليه أبدا في هذا القول ولا أكذب نفسي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا ولبثت كذلك حتى طال على الامر وما من شئ أهم الي من أن أموت فلا يصلي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة ولا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي قال فجعلت أخرج الى السوق فلا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ماهم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ماهي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الارض حتى ماهي بالارض التي نعرف فكنت أقوى أصحابي وكنت أخرج فأطوف في الاسواق وآتي الى المسجد فادخل وآتي النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه فاقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا قمت أصلي الى جنب سارية نظرا الي بمؤخر عينيه فاذا نظرت اليه أعرض عني واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار لا يطلعان رأسيهما قال فبينا انا أطوف في السوق اذا رجل نصراني جاء من الشام بطعام له يبيعه يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون الى فأتاني بصحيفة من ملك غسان فاذا فيها أما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك فقلت هذا أيضا من البلاء فسجرت لها التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني فقال اعتزل امرأتك قلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان أخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك فقلت يا نبي الله والله ما به حركة لشئ ما زال مكبا يبكي الليل والنهار مذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال على البلاء اقتحمت

على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت حتى قلت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا بالمنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا اذ سمعت نداء من ذروة سلع أن ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعلمت ان الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس له يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين قال وكانت توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله ألا نبشر كعب بن مالك قال اذا يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليلة وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بحزني فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال ابشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند الله ثم تلا عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا وأن أنخلع من مالي كله صدقة لله عز وجل ولرسوله فقال أمسك عليك بعض مالك فانه خير لك قلت فامسك سهمي الذي بخيبر قال فما أنعم الله على نعمة بعد الاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صدقته أنا وصاحباي وأن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلك غيرنا واني لارجو أن لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذب بعد واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي فلو لم تكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكروه لكانت له شرفا فكيف وفيه من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك وكفى فما أعظم بركته وأعمها وأكمل النعمة به وأتمها ولهذا يقال من صدق نجا ووجد من التهلكة فرجا وأدرك به ما أمل ورجا وجعل الله له ببركته من كل

ضيق مخرجا

## ﴿زيادة وافادة﴾

كما أن الصدق مجلبة لنجح كل طلب ومرتبة تنيل مفترعها مرغوب كل أرب وهو على التحقيق الى كل خير أقوم سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل دمار وعطب ويسوّد وجهه في العاجلة ويورده في الآجلة شر مورد ومنقلب وفي القضية التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالصحة اجماعا المسعود بها من رزق تيقظا وانتفاعا المقصود منها معرفة شقاوة الكاذب وسعادة الصادق عيانا وسماعا ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك ويشير اليه ويقيم للصدق زيادة وللكذب نقصا ويسجل عليه وهي قصة الاقرع والابرص والاعمى وصورتها على ما ورد بها الفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ثلاثة في بني اسرائيل أبرص وأعمى وأقرع أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أى شئ أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها وأتى الاقرع فقال أى شئ أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال البقر قال فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها وأتى الاعمى فقال أى شئ أحب اليك قال يرد الله الى بصري فابصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الغنم فأعطاه شاة والدا فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادمن ابل ولهذا وادمن بقر ولهذا وادمن غنم ثم انه (أى الملك) أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري فقال له ان الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال لقد ورثت كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وأتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وأتى الاعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيرا فقد

أغنانى فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته لله فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك ولهذا يقال من شيمته الصدق يجتلى عروس السلامة ويجتنى غروس الكرامة ومن شيمته الكذب يحتسى كؤس الملامة ويكتسى لبوس الندامة

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ فى الحكم التى ضاع نشرها وفاح وماضاع نشرها وطاح (منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم وسجية النفس المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب مكيال الجور ومعدن اللؤم وقرين سوء العقيدة وشاهد على النفس الباعثة عليه باتصافها بالرذائل (ومنها) لولم يكن الصدق سبب الثواب والثناء لتعين على العاقل فعله لحسنه ولولم يكن الكذب سبب العقاب والذم لتعين على العاقل تركه لقبحه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب المرهوب (ومنها) الصدق عز والكذب ذل والنفوس الزكية تميل الى العز وتنفر عن الذل فلهذا يؤثر الصدق ويجتنب الكذب (ومنها) لا مروءة لكذوب ولا أمانة لغادر كما انه لا وفاء لملول ولا رياسة لفجور (ومنها) الصدق لصاحبه سيف قاصل وجاه كم فاصل وعز حاصل وجد متواصل والكذب لصاحبه لوم عاجل وعار شامل ووسم قاتل وذم آجل

## ﴿القاعدة الثانية فى السلطنة والولايات﴾

ومقصود القاعدة يشتمل عليه بابان ﴿الباب الاول فى السلطنة وما يتحلى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة لوازمها الموظفات﴾

*(الباب الثانى فى الولايات التى مدار المملكة عليها وزمام مصالح الدولة بيديها وبيان طبقاتها التى مرجع أمورها اليها)*

### *(الباب الاول)*

فى السلطنة وصفات من خصه الله بها فأكرمه وأعلى قدمه على رؤس العباد وقدمه

السلطنة سر من أسرار الربوبية يناط بها المراد ويماط بها الفساد ويحاط بها العباد ويحفظ بها البلاد ويقطع بها العناد وتجمع بها المواد وقد اختصت من جميل المزايا وشرف السجايا بما أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقد أمتن الله تعالى على كليمه موسى حين استضعف نفسه عن اداء رسالة ربه وخشى اعتراض مقدورات معجزة عن

تبليغ رسالاته وكتبه وخاف ان لا ينهض منفردا بثقل ما أمره الله تعالى به فسأل الله
جل وعلا اسعاده فى ذلك باخيه هرون فقال وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله
معى ردأ يصدقنى انى أخاف أن يكذبون فأجابه الى مسئوله وأجناه من شجرة سؤاله
ثمرة سوله ومنحه سلطنة يقصر عن تأميل ادراكها الطالبون ولا يقدر على منالها
بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما
سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالسلطان فى الحقيقة
قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ
أحكام الله فدارتضاه الله من خليقته وأمرهم بطاعته وناط أزمة الامور نقضا وابراما
بقبضته وجعله الآمر المطاع بين رعيته فى أقضيته فهو المشرف فى التنزيل بالذكر
المقترنة طاعته بطاعة الله ورسوله فى السر والجهر المعنى بقوله تعالى أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الامر وهو بالاتفاق ظل الله فى أرضه وبه تقام شعائر سننه
وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها عميم
ومن أراد كشف الحجاب عن بصر بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نيلها ويستوضح سبلها
ويكون أحق بمعرفتها وأهلها فلينظر الى آثار السلطنة وثمرتها ويعتبر لوازمها التى بها
يستدل على شمول منفعتها اذ الاشياء تعرف بآثارها ويستدل بعظم نتائجها على
خطر أقدارها وثمرة السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الاموال وادرار
الارزاق واقامة المعايش ونشر العلم واظهار الدين وذلك بقمع الظلمة وردع البغاة
ومنع المعتدين والانتقام من المفسدين فتأمن السبل وتتوفر الدواعى على مصالح
الدين والدنيا فاى منقبة أنفع وأفضل وأى مزية أرفع وأكمل وأى مرتبة أجمع
للمزايا وأشمل من حالة بها انتظام مصالح الدنيا وهى قوام الآخرة والاولى فانه عند
التحقيق لولا السلطنة لما قدر طائع على أوراد طاعته ولا خاشع على اقامة عبادته ولا
زارع على القيام بزراعته ولا مباضع على استرباح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمرة
صناعته ولا راتع فى رياض الجنة بتلاوة الذكر على تحصيله ودراسته ولا قاطع مفاوز
الفلوات لبلوغ مطالبه وحاجته فقد وضح بتفصيل هذا القول وجملته ما للسلطان من
النفع فى عاجلته وآجلته وأنه بتأييد سلطنته ينال كل انسان مقاصد حركته ويبلغ
كل عامل بسعيه غاية أمنيته ويدرك خاطب الدنيا منها نهاية أربته ويحصل
الراغب فى طلب العلم على مطلوبه وبغيته فكأن السلطان قد عبد الله تعالى

بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامد واذا كانت هذه فضيلة قد أفاض الله تعالى على السلطان سابغ لباسها ورزقه يانع غراسها وأدرك أخلاف نعمتها بإبساسها واصطفاه لهذه النعمة والموهبة من بين أنواع الأمة وأجناسها فجدير به أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى بإقامة شعائرها في مواقفها ويحلي نفسه النفيسة مهما استطاع بصفات عوارفها ويعلم ان الله تعالى قد فرض عليه أمورا لابد من القيام بوظائفها من عقيدة صالحة ونية وطريقة هادية مهدية وسيرة جيدة مرضية وأخلاق طاهرة رضية وأعمال صالحة زكية وهمة موفقة علية وقد استقصينا تفاصيل الاخلاق والخلال المرغوب بها المستحسنة والشيم المستقبحة المستهجنة وشرحنا ما يتعين اكتسابه وما يجب اجتنابه وبسطنا القول في أقسام ذلك في القاعدة الاولى غير أنه لابد في هذه القاعدة من الاشارة الى ما يخص السلطان كان الله له عونا وعضدا وأقام له من ملائكته المقربين مددا وسلك به الى بلوغ كل سعادة وزيادة جددا لا تنقطع أبدا * فأقول ان الله تعالى خلق الانسان وجبله على أخلاق قل أن يحمد جميعها أو يذم كلها بل الغالب كون بعضها محمودا وبعضها مذموما ولهذا قيل قديما

وما هذه الاخلاق الا طبائع * فمنهن محمود ومنهن مذموم

غير ان من علت همته وانصرفت الى معالي الامور عزمته ورغب في أن تكون أخلاقه كلها جيدة تعرف بها سمته راض نفسه رياضة تأديب وتدريج وتكليف فلم يلبث الا هنيهة حتى تستقيم له أخلاقه بعضها طبعا وبعضها تطبعا ويعلم ان شريف الاعمال لا يتصرف فيه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعالى على ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فان النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق ندب لها من قد حاز فضائل أشرف الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولما كانت السلطنة عالية المقام معدودة من الرتب العظام مضبوطا بها مصالح الانام مرفوعة القدم على قمم الخاص والعام كان جديرا بمن تسربل أثوابها وتفوق شرابها وأحرز نصابها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها في أفعالها وأقوالها ويعلم انه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر واذا أهمل أمر نفسه كان باهمال غيره أجدر وقديما قيل لا ينبغي لذي لب وعقل أن يطمع في طاعة غيره

وطاعة نفسه عليه ممتنعة كما قيل

أتطمع أن يطيعك قلب سعدى * وتزعم أن قلبك قد عصاكا

وقد تزين نفس الانسان له حسن الظن بها فيعتقد انه متصف بمحاسن الاخلاق فيعرض عن مراعاتها وينقاد بزمام الرضا عنها الى متابعتها في شهواتها فيبقى وهو لا يعلم في أسر هواه مرتهنا معدودا ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فتقوى نفسه عليه حتى تغلب عقله ويلعب به هواه حتى يستنفد في شهواته قوله وفعله وتكتنفه صوارم غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه فينسيه فرعه وأصله فلا يشعر الا وقد أشرف به الصلف على التلف فأفسد أمره كله فتى استظهر على هذه الحالة من مبدأ أمره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة بالسوء ببصيرة فكره وحصر أسباب التزيين فقطعها بشبا اصبره وزجر قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانقادت طوع عقله في سره وجهره كان خليقا ان تنقلب خلائقه الذاتية جيدة وطرائقه الآتية سعيدة ونظراته في تصاريف الحركات والسكنات سديدة فلاجرم أن تكون مملكته دائمة ومدة سلطنته مديدة ولا يدرك هذا الاستظهار بعين اليقين الا اذا أحاط علما بأسباب التزيين فقطعها بحد عزمه المبين ودفعها بجد ذي القوة المتين وها أنا الآن أنبه عليها ليقرب اجتنابها وأشير اليها ليجتنب اقترابها فاولها الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح وخامسها الكذب فهذه الاسباب الخمسة هي أم التزيين لكل صفة ذميمة وأصل التحسين لكل خلة قبيحة فاذا أبعدتها النفس عنها وأزالتها منها استعدت للاتصاف بشرف الخلال والتحلي بصفات الكمال والارتقاء الى محل الفخار والجلال

## ﴿ السبب الاول الكبر والتجبر ﴾

وهو جالب لسخط الله تعالى قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى الكبر ياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شيأ منهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ويقال من تكبر بغير الحق وتجبر على الخلق فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى ونفر عنه قلوب الناس واستجلب العداوة والبغضاء منهم وقلما اتصف ملك بصفة

الكبر الا اختلت أحوال مملكته واضطربت قواعد دولته وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله لسهام أعدائه

*( السبب الثاني العجب )*

وهو من المهلكات قال الله جل وعلا ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والعجب غير الكبر فلا تعتقد أنهما شيء واحد بل هما مختلفان ينشآن من سببين مختلفين فالكبر والتجبر ثمرة عظم المنزلة وعلو المكانة ونفاذ الامر وقلة رؤية الامثال والاكفاء والعجب ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم أن لغيره كمالا مثل كماله ولا أن لنفسه احتياجا الى أحد من الناس ولهذا يقال من استهواه العجب حتى نظر في عطفيه واختال في برديه ولم ير لغيره فضلا عليه فقد اكتسب ما فوق سهام المقت اليه واحتقب ما يورثه ندامة يوم يعض الظالم على يديه

﴿ السبب الثالث الغرور ﴾

وهو مطل بصاحبه على العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شعب وهو أن يرى الاحوال في مباديها منتظمة في سلك السداد والامور في أوائلها جارية على وفق المراد والاوقات ساكنة عن هبوب عواصف البغي والعناد والاختلافات الشاغلة قد نزلت بساحات الاعداء والاضداد فيظن ان هذه حالة واجبة الاطراد لازمة الاستمرار بلا انقطاع ولا نفاد فيغتر بذلك فيهمل التأهب ويغفل عن الاستعداد فتفاجئه حوادث الخلل وتباغته نوازل الزلل فتسد عنه أبواب الصلاح وتفتح عليه أبواب الفساد وأعظم مواد هذا السبب نفاق المادحين ومدح المنافقين وتملق المتقربين وتقرب المتملقين الذين اتخذوا الكذب والنفاق وسيلة وجعلوا المكر والخداع في ذلك أحبولة وحيلة فمتى وجدوا لنفاقهم نفاقا وسوقا ولكذبهم قبولا وتصديقا نصبوه سلما الى مرامهم وأقاموا المغتر بهم غرضا لسهامهم وقد عد عظماء الفضلاء هذا النوع في الاغترار من أقوى الاسباب وحثوا أكابر الملوك على التيقظ له عند الاسهاب فيه والاطناب ونبهوا على الاحتراز منه والتجنب عنه أرباب الالباب فان أقل ما فيه رواج الاستهتار والاستهزاء ونفاق الكذب والارتياب ولهذا المعنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم باهانة مباشره فقال احثوا

فى وجوه المداحين التراب

## ﴿ السبب الرابع الشح ﴾

وهو من الاسباب التى صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بكونها مهلكة ويكفى فى ذمه ان الفلاح مقرون بالسلامة منه والتوقى عنه على ماقاله سبحانه وتعالى فى محكم القرآن ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويقال الشحيح عدو نفسه ومتهم لربه ومنقبض من صديقه ومبغض فى حياته ومنكد فى عيشه وشقى فى دنياه وآخرته فهو مطرود عن مقامات الكرام ومعدود من سيآت الايام مقصود بسهام الملام بين الانام لا يسود أبدا ولا يبلغ وطرا ولا مقصدا

## *( السبب الخامس الكذب )*

ويكفى فى ذمه أنه مجانب للايمان ويسلب خصوصية الانسان فان النطق هو الفاصل بينه وبين أنواع سائر الحيوان والنطق الفاصل وان كان بالقوة لكن آلته المعبر بها عما فى الضمائر المتوصل بها عند التخاطب الى اظهار ما فى السرائر هو اللسان فاذا استعمله صاحبه فى الكذب فقرب البعيد وبعد القريب وغير الاشياء عن حقائقها وأخبر بالامور على خلاف ماهى عليه وأبرز الباطل فى صورة الحق وكسا المحال لباس الصدق وأبدل شراب الظمآن سرابا وأبدى للمسترشدين اختلاقا وكذبا فقد سقط الوثوق به فلا يبقى لما يصدر عنه أثر من المطلوب فتبطل خاصيته وتضمحل من النطق ثمرته فيلحق حينئذ الكاذب بالحمار والكلب والخنزير بل يكون أسوأ حالا فانه كم من كذب أراق دما وخرق قدما ولهذا يقال الكذب يسلب صاحبه صفة الفلاح ويلبسه جلباب الافتضاح ويجعل دراغته لغا منثورا ولو نظمها الجوهرى فى سمط الصحاح * فهذه الاسباب الخمسة يتعين على كل ذى فطنة ونبل ودراية وعقل لاسيما من له نفس شريفة وهمة علية وتطلع الى معالى الامور أن يصون شرف نفسه وعلو همته وعز سلطانه وحسن سمعته عن شئ من هذه الاسباب التى هى أم النقائص وينبوع الرذائل فنها يتطرق تزيين الفضائح وتحسين القبائح فانه قل من كانت فيه الا اختلت أحوال ملكه واضطربت قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله لسهام أعدائه ومالت عنه خواطر ناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة مجال المقال وسقط وقعه من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعده والخوف من

وعيده فواجب على السلطان أن يحمي نفسه الشريفة من ان يتطرق اليها شئ من هذه النقائص كما يحرس مزاجه الكريم من مولدات عوارض الامراض واذا حماها من ذلك فيتعين أن يتحلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة ونفارا ويعلي له في العالم شأنا ومنارا ويبقى له على الابد ذكرا وآثارا وها أنا انبه على شئ منه تنبيها اعتمد فيه اقتصارا واختصارا فعليه أن لايسارع الى اتباع الشهوات وأن يتثبت عند اعتراض الشبهات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة الاشارات ويديم إطراق طرفه وملازمة صمته الاعند الحاجة في أكثر الاوقات فان أنفاس السلطان محفوظة وألفاظه منقولة * ولقد قيل تكلم أربعة من حكماء الملوك باربع كلمات كأنها مقتبسة من جذوة نور مجموع أو منبجسة من قرارة ينبوع فقال ملك الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ماقلت وقال ملك الصين ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت فهذه الحكم الرائقة والاشارات الفائقة والمعاني المتوافقة صدرت من هؤلاء العظماء والملوك الحكماء وتطابقت خواطرهم عليها وتوافقت اشاراتهم اليها مع تباين أزمانهم وتباعد ممالكهم وفي ذلك دلالة على شرف الصمت وعلو رتبته وقديما قيل انما خلق للانسان أذنان ولسان واحد ليكون مايسمعه أكثر مما يقوله فاذا دعت الحاجة الى الكلام فليعتبره قبل أن ينطق به فان كلام الانسان ترجمان عقله وبرهان فضله فاذا تكلم يجانب الاكثار فانه قيل من كثر كلامه كثر ندمه ويختار عند الكلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزلها وأبينها وقد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم ويحمل وعيده بالتأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة والانزجار ومصلحة اجتناب الاثم بمجاوزة الحد والمقدار فقد نقل ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب الى عكرمة وهو عامله بعمان يقول اياك أن توعد في معصية بأكثر من عقوبتها فانك ان فعلت أثمت وان لم تفعل كذبت وكلا الامرين ذميم ويجتهد السلطان في منع نفسه من الغضب فان الغضب شر قاهر وأضر معاند مجاهر وهو اذا غلب أعظم الاشياء فسادا لنظام الآراء وأبلغ الامور تأثيرا في انتقاض قواعد التدبير فان قدره الله عز وجل في بعض الاوقات والاحايين

فلا يمضي السلطان في تلك الحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقديما احترز عظماء الملوك من الغضب حتى نقل ان ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيتني قد غضبت فادفع الى هذا الكتاب ولا تؤخره وكان فيه مكتوب مالك والغضب لست بالله معبود انما أنت بشر مخلوق ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وكما يجب الاحتراز والاحتراس من الغضب فكذلك يجتنب اللجاج فانه أليف الغضب وحليف العطب وهو مما يثمر الزلل في العاجل ويسفر عن الندامة في الآجل ويدفعه عنه بعلمه ان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ولا يستعمل في الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات في كل قضية ما يليق بحال صاحبها من لين وشدة واقبال واعراض واحسان واساءة وعفو وعقوبة وتجاوز وانتقام واقدام واحجام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور واحتجاب فان استعمال كل حالة في محلها مع مستحقها أكمل تدبيرا وأتم رأيا وأجمع لشمل مصالح الملك ووضعها في غير محلها أفضى الى توقع الضرر ومفتاح لباب العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاحن من ذوي القدرة ويجتهد في اصلاحهم فان لم ينجع فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداراة الاثقة بهم الى أن يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المؤاخذة بالانتقام منهم فينتهز ذلك بالمبادرة اليه ولا يؤخره عن وقته فان تأخيره مضر واهماله مفسد وليعلم السلطان أن من أعم الاشياء نفعا وأعظمها في مصالح الملك وقعا كتمان سره واخفاء أمره وأن لا يطلع أحدا على ما قد عزم على فعله قبل اتمامه ولا يحدث بما يريده من المهام قبل ابرامه فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وأنكى في قلوب الاعداء وأعون على نجح المقاصد وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على الحاجات بالكتمان ونقل عن علي كرم الله وجهه سرك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره لكن من الاسرار والامور ما لا يستغني فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص يرى من طاعته لربه مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه في المهمات وينتفع بفكره في الحوادث ولا يركن فيه الى كل أحد ولا يثق بكل متملق ومتى حدث أمر من الامور الجليلة يكثر الاستشارة فيه ممن يراه أهلا لذلك ويسمع رأي كل

واحد منهم على انفراده وينظر فى جميع ما سمعه ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى نيل المطلوب والاصوب فى دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر فى عواقب الامور وما يؤل اليه ويجتهد أن لا يفتح بابا يعييه سده ولا يرمى سهما يعجزه رده وقد قيل

واياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر

فما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

ولا يجعل السلطان أوقاته مصروفة الى نوع واحد فان ذلك ان كان جدا واجتهادا فى مصالح الملك والنظر فى تدبيره ضجرت النفس منه وسئمت الفكرة فيه وربما أدى الى خلل وساق الى زلل وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه نفسى مطيتى فان أجهدتها كبت بى وان كان ذلك لهوا وقضاء شهوة أدى الى تضييع الملك وفساد أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يقسم أوقاته فيصرف منها قسطا الى النظر فى مصالح ملكه ورعيته وقسطا الى الاختلاء بنفسه لراحته وقسطا بخصه بتضرعه الى الله تعالى وقيامه بشكر نعمته وأداء عبادته وكما أنه يقسم أوقاته فيخص كل وقت منها بحالة لا تليق بذلك الوقت لا يليق أن يوقع فيه غيرها كوقت ركوبه على جارى عادته ووقت نظره فى مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته ووقت دخول الجند عليه لاداء وظيفة خدمته ووقت استحضار من يحضر من الرسل لاداء رسالته ووقت اختلائه بنفسه طالبا راحته ووقت سكونه ومنامه وقيلولته ووقت استئناسه بمن يحضره لمحادثته ووقت قيامه بفرض الله تعالى وعبادته فلكل حالة من هذه الحالات وقت من الاوقات لا يتعداها وزمن منسوب اليها لا يليق به سواها ولو أوقع كل حالة فى وقت غيرها لا نردها وما أداها ولا ضلها عن صوب الاصابة وما هداها وكذلك يتعين عليه أن يستعين فى الاعمال بكفاة العمال ويعتمد فى المهام الثقال بأجلاد الرجال فيفوض كل عمل الى من قدمته قدم راسخة فى معرفته وأيدته يد باسطة فى درايته وتجربته ولا يفوض عمل عالم الى جاهل ولا نبيه الى خامل ولا مستيقظ الى غافل ولا ذى حلية الى عاطل فان فعل ذلك فقد باع حقا بباطل واعتاض عن قس بباقل وسلط على الدولة لسان كل قائل وقديما قيل من استعان فى عمله بغير كفء أضاعه ومن فوض أمره الى عاجز عنه فقد أفسد وأضاعه وليحذر كل الحذر من توليه أحد أمرا

من أمور المملكة الدينية والدنيوية بشفاعة شفيع أو رعاية لحرمة أو لقضاء حق اذا لم يكن أهلا للقيام بما ولى ولا ناهضا بأعبائها استكفى ولهذا قيل من قلد عمله بالدراية والكفاءة غناء عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ذوى عمله وندم فان أحب مكافأة أحد من هؤلاء كافأه بالمال والصلات وقطع طمعه عما لا يصلح له من الولايات ليكون قاضيا حقوقهم بما له لا بملكه وهذا المعنى الذى كان يعتمده كسرى لاحكام قواعد ملكه وتأييده واتمام مقصد تدبيره وتأكيده حتى وضع على بابه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب الاعمال للكفاة والحقوق على بيوت الاموال * ولهذا قيل أى ملك ملك جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عمله عن ضميره ولم يخدعه رضاه عن حقه وفوض كل عمل الى مستحقه واستعمل بالكفاءة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض المتعرضين فهو خليق باستحقاق المملكة وارتداء جلبابها جدير بها وان لم تكن أواصره وعناصره من أربابها

﴿ تجديد افتتاح وتأكيد ايضاح ﴾

يتعين على من رزقه الله نعمة السلطنة وحلاه بعقدها وآتاه أزمة حل الامور وعقدها وجعله نائبا فى حماية بلاده ورعاية عباده فاليه مآل مرجعها ومردها أن يصرف عنان عنايته ونظر يقظته فى عشرة أمور هى مدار قطب السلطنة وقرار قواعد المملكة (الاول) حفظ بيضة الاسلام والدين فى ناحيته لئلا تقوى عليه شوكة كافر ولا تصل اليه يد فاجر وذلك باقامة الامراء والاجناد واعداد الاهب والاستعداد وتحصيل الامداد لارهاب الاعداء والاضداد (الثانى) تفقد المعاقل والحصون والثغور باعتبار أحوال ولاتها واختيار رجال حماتها والبدار الى اصلاح عمائرها وذخائرها ومهماتها (الثالث) السياسة لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بها يتم سعى الرعايا بتحصيل المعايش والاقوات ويعم نفع الانسان بالاسفار التى لا تحصل الا بأمن الطرقات (الرابع) اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازعة من اقتراف الجرائم الرادعة عن اكتساب المظالم فقد جعلها الله تعالى لحفظ النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يحل اسقاطها بشفاعة ولا سؤال (الخامس) دوام تمسكه بحبل الشريعة والتزامها واعتماده فى أمره على نقضها وابرامها واعتباره أمور القائمين باحكامها واعتنائه باقامة قضاتها وحكامها

فى نصب صلحاء القضاة لقطع النزاع وصيانة الاموال والحقوق عن الضياع
وحفظ الثغور ان تمتد اليه يد الاقتطاع من ذوى الاطماع واقامة العقود المحتاج اليها
على ما لها من الاوضاع (السادس) اقطاع الامراء والاجناد ورزق ذوى الحقوق
من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم واحوالهم وتفضيلهم بما يوجبه تفاضل
الاحتياج اليهم فى أعمالهم (السابع) جهات الاموال لاجتلاب أنواعها ومواطن
الغلال التى بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وان لا تؤخذ الا بالحق والعدل
فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال
النصحاء الاقوياء لتكون الاحوال بكفاءتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأماناتهم
ونصحهم محفوظة محوطة (التاسع) أمور العامة بان يجلس لها فى وقت من الاوقات
لكشف المظالم واقامة فريضة العدل لازالة التظالم (العاشر) التطلع الى متجددات
الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها مخافة طروء آن مكروه ومحذور بان
يجعل له عيونا يرصدونها وثقات يعتمدهم لرصدها فان حوادث الاقدار قد تقلب
الموافق مخالفا والامين خائنا والناصح غاشا والساكن مضطربا فاذا تطلع الى معرفة
متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم الحق من المرتاب فبادر الى اصلاح
الخلل وازالة الاضطراب فهذه الامور العشرة أصول ينشأ منها شعب متفرعة
وهى قواعد رواسخ تبنى عليها أحكام متنوعة فاذا لحظها بعين يقظته وادخل
نكرتها فى باب معرفته حمى حوزة مملكته وقام بجوابه لله تعالى عند مساءلته
فان السلطان نائب الله فى خليقته وراعى أمورهم وكل راع مسئول عن رعيته

## *( الباب الثانى فى الولايات )*

قد تقدم القول مشروحا فى الباب الاول فيما يعتمده السلطان وهذا باب معقود
لبيان ما يعتبر فى القائمين بمصالح المملكة المباشرين تفاصيل أحوالها فان
السلطان وان كان يعتمد التطلع والنظر فى ذلك فانه نظر كلى اجمالى غير تفصيلى
ويكون النظر فى التفصيل والقيام بجزئيات الامور والاعمال مفوضا الى من أقامه
السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان فى ذلك وظيفتان
(الوظيفة الاولى) ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى فى عباده وارتضاه من بين خلقه
لرعاية بلاده فيعمل فى نيابته عن الله ما يجب أن يعمله من يستنيبه من مماليكه
وعبيده على وفق مراده (الوظيفة الثانية) أن يجهد رأيه و يعمل فكره فى

اختيار من يفوض اليه شيأ من أعمال مملكته و يستخدمه فى بعض أحوال دولته و يوليه أمرا من أمور رعيته فان أفعالهم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة * وقديما قيل وزير الملك عينه و يده وكاتبه نطقه وحاجبه خلقه و رسوله لسانه فيعتبر فيمن يوليه أربع صفات لا بد منها المعرفة والديانة والكفاءة والامانة فان تفويض الامر الى من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من لا دين له ولا تقوى فيه جدير بافساده والى من لا كفاءة فيه ولا نهضة له جدير بوقوع الخلل فيه والى من لا أمانة له جدير باجتناء ثمرة عمله لنفسه فهذه الصفات الاربع هى عناصر صلاح الاعمال بالعمال ومواد نجاح مساعى ولاة الاحكام والاموال وقد أشار القرآن الكريم فى قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فالمكانة والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الاربعة ثم الديانة والامانة وصفان يعتبران على الاطلاق من غير اضافة الى أمر معين ولا عمل مخصوص اذ لا يمكن ثبوتهما بالنسبة الى جهة ونفيهما بالنسبة الى جهة وأما الكفاءة والمعرفة فهما وصفان اضافيان يختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا فى عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر غيره فالمعتبر حصول الاوصاف فى المتولى بالنسبة الى العمل الذى فوض اليه واعتمد فيه عليه وهذا تفصيل طبقات الولايات وهى خمس طبقات * الاولى الوزارة * الثانية ولاية الانشاء والمكاتبات * الثالثة ولاية الجيش والجند * الرابعة ولاية ديوان الاموال * الخامسة سائر الحاشية .

*( الطبقة الاولى الوزارة )*

الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزند المملكة وسوارها يستضىء السلطان فى ظلم المهام بأنوار تدبيره و يحمل عنه أعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيره وجليله وحقيره وقتيله ونقيره فعليه بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام همه وتصوب أنواء آرائه فتنبجس من التدبير ينبوعه فلا بد للملك من وزير يعضده ومدبر يثقف المنآد و يؤيده وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به فى التدبير فقال سبحانه وتعالى فى قصة موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى وقال عزوجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه

اخاه

أخاه هرون وزيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي شيأ من أمور الناس وأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه * واختلف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه * أحدها انه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك أثقاله * وثانيها أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أي لا ملجأ فالملك يلجأ الى رأي الوزير ومعرفته وتدبيره * وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام اشدد به أزري أي قو به ظهري فالملك يقوى بالوزير كتقوة البدن بالظهر ولما كان هذا المنصب في نفسه جليلا كان المتأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقدمين من فضلاء العظماء ذكروا في صفات مباشره شروطا طويلا وجعلوا من جمل أمانة الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبأ ثقيلا وملخصها ما كتبه المأمون في اختيار وزير ارتاد له فقال اني التمست لاموري رجلا جامعا لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وحنكته الوقائع وأحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها يسكته الحلم و ينطقه العلم تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة له صولة الامراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر لا يبيع نصيبا من يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال الاحرار بخلابة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار في هذه الكلمات الموجزة والالفاظ المختصرة الى رموز تحتها كنوز وفي رمزه المسطور ووصفه للرجل المذكور بيان نهوضه بمهمات الامور ومن نهض بمهمات الدولة وأمور المملكة وانتصب لها لزمه أن يحمل أثقالها و يزيح اختلالها و يصلح أحوالها و يحفظ رجالها و يثمر أموالها و يستخدم الكفاة الثقات و يوليهم أعمالها و يلزمهم محجة المعدلة واعتدالها و يحذرهم عاقبة الظلم وو بالها و ينذرهم نكال الظلمة الخونة وما آلها ثم يتفقد تفاصيل أحوالهم و يراعي تصرفهم في أشغالهم و يتطلع سرا وجهرا الى أقوالهم وأعمالهم فن وجده قد نسي ذكره أو غفل عن شئ بصره أو أخطأ عن سهو على الندور عذره ومن أحسن في عمله وثمره وقام فيه بواجب حقه ووفره خصه بزيادة رعايته واعلاء مكانته

وشكره ومن خان عهد أمانته وفرط فى ولايته عاقبه وعزله وعزره و يعتنى بجهات الاموال وحراسة أسبابها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها و بث الاحسان فى مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف فى استخراجها واجتلابها فان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باجتذابها من شعابها من جزى مقررة وتجائر معشرة وأخرجة محضرة وعشور محررة وقسم مقدرة وغنائم موفرة وفىء من جهات غير منحصرة هذا الى زكوات واجبة وأجور لازمة لازبة وديات دماء ذاهبة ومحرز مباحات راتبة ومستخرج معادن غير ناضبة وعداد نعم سائمة لاسائبة ووظائف على أكرة عاملة ناصبة الى غير ذلك من تربيع مزارع وتوزيع قطائع وتوسيع مرابع وتقريع مواضع وترجيع طوابع فهذه جهات أموال جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن من استيفائها بسلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقا يجب رعايتها عند صرفها واخراجها فاذا أقام وزير المملكة فى جهات الاموال نوابا بين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرضهم على حسن التوصل الى استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه عليهم الحرام بالحلال وأمرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل واحد من هذين القسمين حكما يخصه ووضعا يلزمه فان وزارة التفويض أعلى المرتبتين وأعظم المنزلتين وهى أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وسداده و يجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه ولاية لا يكفى فيها مجرد الاذن بل لابد من عقد وتصريح فيقول قلدتك ما إلى نيابة عنى أو قد استنبتك فيما الى أو ما يقوم مقام ذلك فلو قال فوضت اليك وزارتى أو ذكره بصيغة الجمع للتعظيم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففى انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار أنها تنعقد وتحصل الولاية به فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم فى أمور المملكة والتصرف فى أحوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق و بذل واستخدام وقطع واعطاء ومنع ونقص وزيادة وابداء واعادة وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور المملكة الا على شيئين فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة أحدهما اقامة ولى العهد الثانى عزل من ولاه السلطان وأقامه فان فعل ذلك

وأقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا * ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك السلطان فى حكمه فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها ويجب عليه فعلها وهى أن يطالع السلطان بما أمضاه من عمل وما أنفذه من ولاية وتقليد وعلى السلطان أن يتأمل أعمال الوزير وما قد أصدره عن الرأى والتدبير ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه * فهذه زبدة ملخصة ونبذة مختصرة فى وزارة التفويض

وأما وزارة التنفيذ وهى دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف وشرطها أقل اذ السلطان هو القائم فى المعنى بالتدبير فيها والقضايا صادرة عن رأيه ونظره وهى أن يقيمه السلطان واسطة بينه وبين الناس يؤدى عنه ما أمره ويطالعه بما يرد عليه وينفذ ما قرره ويسمع جوابه فينقله كما ذكره وهذه الوزارة لا يفتقر فى صحتها الى عقد وتقليد بل يكفى فيها مجرد الاذن ولا يعتبر فى المؤهل لها من الشروط ما يعتبر فى القسم الاول لكن لا بد أن يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه وأن يكون صادقا بحيث يعتمد على انهائه ويعتقد على قوله فى اعادته وابدائه فان الكاذب لا يوثق به وأن يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ولا ينخدع بالتحف فى شئ من القضايا وأن لا يكون بينه وبين الناس تشاحن وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويحثه على الاجحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة حس ويقظة نفس ليأمن التدليس عليه واشتباه الامور لديه وان يكون خاليا عن الاهواء فان الهوى خادع الالباب قاطع طرق الصواب وفى الحديث النبوى ما يكمل به هذا الغرض ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر فى المظالم ولا تقليد متول ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف فى أموال بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها عائدة لكلها وزير التفويض ولاجل التفاوت بين الولايتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط أن يكون حرا وجاز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة وجاز أن يكون جاهلا بأمر الحرب والخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والرعية مظهر ومخبر ولا يشترط فى قبول الخبر الحرية ولا المعرفة المذكورة ولا العلم بتفاصيل الشريعة وهل يشترط

فى هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير تنفيذ من أهل الذمة كان جائزا أم لا اختلف آراء الائمة فى ذلك فذهب عالم العراق الامام أبو الحسن على بن حبيب البصرى رحمه الله الى جوازه وذهب عالم خراسان امام الحرمين أبو المعالى الجوينى الى منعه وعد تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لن تقال وخطأ فيما قال وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط معتبرة من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف فى حق المباشر لها

## ﴿ الطبقة الثانية كتابة الإنشاء ﴾

لابد قبل بيان المقاصد وبيان القواعد من ذكر شئ من أصل الكتابة ووضعها والتعرض لمن قام بتأليفها وجمعها ثم نعطف عليها مقصد الغرض المطلوب ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فأول من وضع الخط العربى وأقامه وصنع حروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولا عند عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الخط والكتابة على أسمائهم فلما وجدوا فى الالفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل فى ذلك وقيل غيره ونقل أن أول من أتى أهل مكة بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت وقيل غير ذلك واستكتب النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الارقم بن عبد يغوث بن زهرة فكان يجيب عنه الملوك وبلغ من الامانة عند النبى صلى الله عليه وسلم الى أن كان يأمره بأن يكتب الى الملوك فيكتب ويطين الكتاب ويختمه واستكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحى ويكتب أيضا للملوك وكان اذا غاب عبد الله وزيد واحتاج أن يكتب كتابا يأمر من حضر أن يكتب وكتب له أيضا صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم فالكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بد للدولة والمملكة منه ولا غنى لها عنه ثم مراتب الكتابة المتعلقة بالسلطنة ثلاثة كتابة الانشاء وهى الطبقة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة لبيانها وكتابة الجيش وهى الطبقة الثالثة من هذا الباب وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى ثم كتابة الخراج والاموال وهى الطبقة الرابعة من هذا الباب وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى

فكتابة الانشاء من مقومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها في خدمة السلطان معدود من اكبر الاعضاد والاعوان قائم في اتمام مقاصده وأغراضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الانسان فانه المطلع على الاسرار المجتمع لديه خفايا الاخبار المنتفع به في طريقتي النفع والاضرار فحاجة الدولة اليه كحاجة الهم الى منسانه وذى السقم الى أساته والعدم الى مواساته اذ كم من عصب باغية أراق قلم الانشاء بشباه دمها وكتائب جيش قابلها كاتب فردها وهزمها وصياص منيعة نصبت الكتب الى تسلمها سلمها ونواص عواص اقتادت السطور الى الطاعة لمها وأنوف أنفة خطمها القلم ببرة الاذلال وخزمها وصفوف واقفة للنزال أزال المنشئ عن موقفها اقدمها وهو يقوم من منآد الدولة ما لا تقومه المقانب ويقوم بنصرة الملك في مواقف لا تصل اليها الكتائب فلرب عدوعات على الدولة استدناه الكاتب بلطف انشائه حتى انقلب وليا ومباين ماش استهواه ببراعة استدراجه الى أن تركه خفيا ومناوئ ناواه أوحى اليه من بلاغته ما قربه نجيا وجيش جاش للقاء تلا عليه من آيات الرغبة والرهبة حتى خر أمراؤه للطاعة سجدا وبكيا * هذا الى غير ذلك من الاغراض المهمة والمقاصد العارضة الملمة التي لابد للمملكة من اقامة وظائفها وأداء مناسك مواقفها من تهنئة يعظم بها قدر النعمة الموهوبة وتعزية يبرد بها حرارة العبرة المسكوبة وشفاعة يقتاد بها زمام القبول لحصول المآرب المطلوبة فلهذا كاتب الانشاء المعاني علم هذه المعاني ضارب في اعشار العلوم بالقدح المعلى راكب من صهوات الفضائل مطا المحل الاعلى فان موادصناعته وأمتعة بضاعته وشروط براعته معرفة الآيات القرآنية وأسباب نزولها وعلم الاحاديث النبوية وكنه مدلولها وفهم سير الملوك الاول في أفاعيلها وأقاويلها والتضلع من الحكم والامثال بتفريعها وتأصيلها والتطلع على وقائع العرب بجملها وتفاصيلها والتوسع في أبحر المعاني الشعرية ما بين متقاربها وطويلها فبذلك علك زمام البلاغة والبراعة ويرقى بقدمه على قمم أهل هذه الصناعة فاذا أمره السلطان بكتاب تخيرله أفصح ألفاظه وأرجح معانيه وجعل مطلع دعائه مشعرا بالغرض المودع فيه ويختصر تارة ويطنب أخرى ويستعمل في كل مقام ما هو أليق به وأحرى * وقديما قال عمرو بن مسعدة وكان قد تفوق من البلاغة درأخلافها

وتطوق من الراعة درأصدافها لقد أمرني المأمون أن أكتب بين يديه كتابا الى بعض العمال على يد رجل له به عناية لحاجة للرجل عند المكتوب اليه وقال أوجز ما استطعت وبالغ في حقه فكتبت * كتابي اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام فلما وقف عليه وقع منه بموقع ظهرت الى آثاره بشره وبره فالتعبير بالالفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة وابداؤها للسامعين في الكلمات القصيرة شاهد للكاتب برجحان فضله حامد له بلسان الادب كله فهذا النوع من الايجاز في استعمال الحقيقة والمجاز معدود من دلائل الاعجاز وقد أجمع أرباب علم المعاني والبيان وقطع أصحاب التقدم في هذا اللسان أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتتداولها ألسنتهم الفصيحة وتفضلها قولهم القتل أنفى للقتل ويعدونها واسطة عقد الاعجاز ويحمدونها بلسان التفضيل والامتياز فلما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم أذعنوا له بخفض الجناح ورفض الجماح واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان والتكملة والايضاح ولا غنى عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجمال بيد التفصيل وابداء الوجوه الموجبة لاعترافهم بالرجحان والتفضيل وهي خمسة * الاول ان قوله في القصاص حياة عري عن تكرار اللفظ خلي عن اعادته وقولهم القتل أنفى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة الكلام وجزالته * الثاني انه أوجز وأخصر في العبارة وأقل تطويلا فان حروفه أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المتباينة فان الخروج عند النطق من الفاء الى اللام في قوله تعالى في القصاص أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة في قولهم القتل أنفى وهي آخر القتل وأول أنفى لبعد ما بين مخرج الهمزة واللام وكذلك أيضا الخروج من الصاد الى الحاء آخر القصاص وأول حياة أعدل من الخروج من الالف الى اللام وهي آخر أنفى ولام تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل في الفصاحة * والرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصاص الدال على المساواة فان القصاص مأخوذ من التساوي ومنه سمي المقص مقصا لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظة القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل

والانصاف

والانصاف كان أرجح * الخامس تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أهله الرجحان وتفضيل الجزالة والايجاز في علم البيان فمتى ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز في كل مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله فانه يؤتي كل ذي فضل فضله وحكم له باقتعاد غارب البلاغة المغربة واقتياد غرر كب الفصاحة المعربة وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذوبة وحلاوة وعليها بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتملك النفوس وتخدع الالباب فتنجح بها المساعي وتحصل المقاصد وتتم الاغراض وتقضى الحوائج فتكون جيدة الورود والصدور سعيدة في جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلوك شعب البلاغة التي متى أحكمها الكاتب أضاء بها كوكب فهمه الثاقب وهي عشرة شعب الاستعارة والتشبيه والكناية والايجاز والاطناب والمغالطة والتضمين والاستدراج والمبادي والمخالص * فهذه الشعب العشرة هي أصول وما عداها فيرجع اليها وأنا أشير الى كل واحد منها بذكر حقيقته ووصفه وأكشف وجهه ليعرفه ناظره ولا جهالة بعد كشفه وأوضحه ان شاء الله تعالى ايضاحا لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه

## *(الشعب الاول الاستعارة)*

وهي أن يحاول المنشئ تشبيه شئ بغيره ولا يؤثر الاتيان بلفظة التشبيه وأداته طالبا زيادة الدلالة مع الايجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه للمشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظا فيحصل له بذلك زيادة فصاحة وحسن بلاغة ومثاله من القرآن الكريم في حق القرية التي كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة ان الثوب لما كان يحيط بجوانب لابسه ويشمله من جهاته استعار اسمه للجوع والخوف حيث أراد الاخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فأتى بنظام هو أبلغ في تحصيل الغرض من الحقيقة وأفصح فانه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطا بهم من جوانبهم كأنه لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كما ذكر سبحانه وتعالى من الاستعارة

*( الشعب الثاني التشبيه )*

وهو الدلالة على ان شيئين اشتركا في معنى هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه في نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المنشئ أحدهما الذي لم تدخل عليه الاداة مثل الآخر التي دخلت عليه كقول القائل رجل كالاسد ووجه كالقمر ومثاله من القرآن الكريم في وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم البعث والنشور قوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر فانه لما يكون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متحيرين قد طبقوا الجهات بكثرتهم وأسرعوا الى اجابة الداعي بحركتهم لا يلوي بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظرا الى ماذكرناه من المعنى

*( الشعب الثالث الكناية )*

وهي أن يريد المنشئ اثبات معنى من المعاني ولا يذكره بلفظه الموضوع له فيعدل الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيأتي به لتحسين كلامه وايجازه ومثاله من القرآن الكريم في صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من توابعه وروادفه فان الكناية أفصح وأوجز *الشعب الرابع الايجاز قد تقدم ذكره والتنبيه عليه

*(الشعب الخامس الاطناب)*

وهو أن يذكر المنشئ كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة مدلول الكلام الاول تضمينا فينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى في النفوس وشدة الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم في قصة الافك في حق عائشة رضي الله عنها قوله تعالى اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم اطناب فانه دل على حقيقة مادل عليه قوله وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب على تعظيم هذا الامر المرتكب وشدة وقعه وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب يستعملونه في الوقائع المعتنى بها

*(الشعب السادس المغالطة)*

وهي من أحسن ما يتعاناه المنشئ الجيد ويعتمده الكاتب الفريد وتختص بمواقف ما على حسن استعمالها فيها من مزيد وهي ان المنشئ أو المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل أونقيض في شئ ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعا الارادته

والايهام به ومثاله من القرآن الكريم فى حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات وكلمات فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بالاستهزاء والاستهتار فقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فغالطوا فى الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون

﴿ الشعب السابع التضمين ﴾

وهو أن يأخذ المنشئ الآيات القرآنية والاخبار النبوية والامثال العربية والابيات الشعرية فيجعل سجعات كتابه مشتملة على شئ منها فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها يتمم بها فقر سجعه فيكتسى كلامه بها رونقا واشراقا ويعذب عند سامعه مذاقا وهو شعب عنى به أكابر الفضلاء وأكثر ما يستعمل فى الخطب والمواعظ فانه يبين وقعها ويحسن وضعها

﴿ الشعب الثامن الاستدراج ﴾

وهو أن يصوغ المنشئ لغرضه ألفاظا يكسوها من اللطافة والبراعة ما يخدع بها الالباب لتنقاد معه الى مراده وهذا الشعب وان كان خفيا فهو الركن الاعظم والسنن الاقوم فى هذه الصناعة وكل من لم يبلغ فى البلاغة الى إحكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح مسعاه ويسعف مبتغاه واذا تأمل المتأمل فى القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع كثيرة منها فى قصة موسى عليه السلام لما أراد أن ينقل قومه من أرضهم الى غيرها فاخبر الله تعالى عنه بقوله سبحانه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين فبسط آمالهم وأسمعهم ما سر نفوسهم واستدرجهم به الى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وفى هذه الآية وأمثالها من آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط باسرارها من رسخت فى علم البلاغة أخمص قدمه وانبجست عيون البراعة من شق قلمه

﴿ الشعب التاسع المبادى ﴾

وهو أن يجعل المنشئ فاتحة كتابه وأوله دليلا على المقصود الذى أنشأه له فينظر الى

الغرض المطلوب فيحصل التحميد أو الدعاء أو التضمين مشعرا بذلك فانه من أعلى مراتب البراعة والبلاغة وفي القرآن الكريم من المبادي والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفاضلين بفصاحتها منها قوله تعالى في أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فانه افتتح كلامه بالنداء الذي يستفتح أبواب الاسماع ويستحضر الاذهان لاجل الاستماع وهذا الشعب عظيم النفع لمن حققه لا يفتح بابه الا لمن طرقه

﴿ الشعب العاشر التخالص ﴾

وهو أن يجعل المنشئ بين المعنى الذي ينتقل عنه وبين المعنى الذي ينتقل اليه تعلقا وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعاني المتعددة والالفاظ الكثيرة من أوله الى آخره كالمنتظم في سلك واحد يأخذ بعضه بأزمة بعض وفي القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب وتستعذب أوضاعها منها قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم في سورة الشعراء فمن تأملها حق التأمل من أولها وهو قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الى آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة في ارتباط الكلام بعضه ببعض والتخلص من معنى الى غيره فانه جمع في هذه القصة المختصرة من المعاني العظيمة وتخلص من بعضها الى بعض بالالفاظ المتتابعة ما يحار فيه من له ذوق في علم البلاغة

فهذه الشعب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدر عليها أخلافها فيما يرجع الى معرفة البلاغة والفصاحة من علمي المعاني والبيان ولا غنى لمن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سننه وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة والمتباعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أقفالها ويوضح اشكالها ويشرح أشكالها فان حال التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب وفهمه الثاقب فان معرفة حال الحروف في ذلك من أسبابه اللوازم اللوازب * وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها رتسهيل معرفتها وتقريبها وافهام تأليفها للمعتني بها في الكتاب المسمى بالكوكب الناجم في معرفة التراجم ولولا ان الاسهاب موجب للاضجار والاطناب متعب للافكار وان الاولى سلوك سبل الاختصار والميل الى الايجاز والاقتصار لما اقتصر لسان القلم على هذا المقدار ولنشر من محاسن الانشاء ما يحار منه أولوا البصائر والابصار

*( الطبقة الثالثة كتابة الجيش )*

أجمع أرباب الدراية بتدبير الممالك ومن انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة المملكة وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب استقرارها فينبغي الاعتناء به والنظر في وظائف كاتبه فان شأنه أرفع وديوانه أجمع وعمله أوسع لاسيما في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكناف قد ذللت جريدة جيشها على الآلاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط مقادير اقطاعاتهم ونفقاتهم ورعاية مبادي مددهم وأوقاتهم وتمييزهم بالاسماء والكنى وتعريفهم بالاوصاف والحلى واعتبارهم واختبارهم وانتقادهم لازالة تزييف التلبيس واعتماد ما يؤمن من الاشتباه والتدليس والتيقظ لهذا الامر والتحفظ فيه من أعظم الاغراض فان كثيرا من الدواب والاسلحة يستعار و يستأجر يوم الاستعراض وقد قرر المتقدمون في ذلك أوضاعا أوضحوها وأنواعا شرحوها فيتعين الاقتداء بسلوك طريقتهم ويجب في ذلك اتباع مجازهم وحقيقتهم وأول من دون الديوان في الاسلام وضبط الامور من الانتشار وحاط الاحوال بيد الاستظهار ونزل أرباب الارزاق على مراتب الاقدار وجعل ما قرره من العطاء متصفا بمقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت أنصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمول الاموال من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده رعاية لما هو الاحوط وعناية باقامة ما هو الانفع والاضبط فأخذ رأى من الصحابة الاقلال ما عنده وبذل في المناصحة جهده حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أمير المؤمنين اني كنت رأيت ملوك الشام قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون أنت ديوانا وجند جنودا فبادر عمر رضي الله عنه واستدعى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بمن نبدأ فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني المطلب فبدأ بهم ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى الانصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء فجعل أرزاقهم

متفاوتة بقدر سابقتهم في الاسلام فقيل له كيف تفاوت بينهم وقد تساووا في الاسلام فقال كيف أسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف وليس من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قرر وضع الديوان وزاد بالسابقة وفضل كل من شهد بدرا في عطائه وفضل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضي الله عنهم لمكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والاحسان وجعل ترتيب أسماء المرتزقة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقتدى الناس بعده بطريقته وعملوا في ذلك بمقتضى سنته * اذا وضح ذلك فالذي يجب اعتباره ويتعين استمراره ويعتمد في ديوان السلطنة ثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاموال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان الاموال فسيأتي مشروحا ان شاء الله تعالى وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة لكن اذا ذكرت أصولها ازمتها فروعها وهي اثبات المستخدمين من الجند واعطاؤهم قرارهم من الاقطاع والنقد ولكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعي اعتبار أوصاف خمسة منها واحد مختلف فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب العجز كالزمن والعمى وكل ما يمنع القتال معه فأما العرج فان كان في من يستخدم ليقاتل راجلا فيمنع الاستخدام فلا يثبته وان كان في من يقاتل راكبا فانه لا يمنع من الاستخدام فيثبته والرابع أن يكون قوي المنة عارفا بالقتال غير جبان فهذه الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيه فالحرية اعتبرها الشافعي رضي الله عنه وأسقط اعتبارها أبو حنيفة رضي الله عنه فاذا كانت هذه الاوصاف حاصلة في واحد وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش وتجرد عن الاعمال الشاغلة والموانع القاطعة فيجيبه ولي الامر ان كان الاحتياج يدعو اليه وان لم يكن هناك حاجة داعية فلا فاذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل كان خاملا مغمورا فيحليه كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر على مجرد اسمه فان الاسماء قد تتوافق والالقاب قد تتطابق ثم

يضيفه الى مقدم يصحبه أونقيب بحيث يرعاه ويرقبه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى فى ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولاعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة

أما الجهة العامة فترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا اعتبر القبائل والانساب فيقدم فى ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعتبر فى ذلك قاعدة أنساب العرب فان أنسابهم على ست طبقات شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل فالشعب طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب القرب فعدنان مثلا شعب فمنه تتشعب القبائل ومضر منها قبيلة ثم من القبيلة العمائر فمنها قريش عمارة ثم من العمارة البطون فمنها عبد مناف بطن ثم من البطن الافخاذ فمنها عبد المطلب فخذ ثم من الفخذ الفصائل فمنها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم فى الاسلام وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة كالاتراك والاكراد والديلم وغيرهم من الاجناس يعتبر فى ذلك تقدمهم فى الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بان استووا فيه أولم يعلم حاله فيعتبر قربهم من ولى الامر فان استووا فيه يعتبر أعلاهم درجة فى طاعة الله ونصرته فهذه الجهة العامة

وأما الجهة الخاصة بعد التساوى فى الجهة العامة فيعتبر فى تقدم الواحد على غيره التقدم بالسن فان استووا فيه فالتقدم بالشجاعة فان استووا فيها فولى الامران شاء يقدم بالقرعة وان شاء يقدم من يقتضيه نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق بالترتيب والتنزيل * وأما عطاؤهم فعليه النظر فى حال المرتبين فى ديوان الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم فى سنته لنفسه وأولاده ولوازمه ومماليكه ودوابه من طعام وكسوة وعلوفة وما تدعو حاجته اليه ثم بعد اعتبار ذلك يعتبر حاله فى الغلاء والرخص فيقدر له ما يكفيه لذلك كله و يستغنى به لسنته ثم يتفقد أمره كل حين فاذا زاد فى عائلته ولوازمه زاده بقدر ما تجدد و يعتبره كل سنة ثم اختلف أئمة العلم اذا كان قد قرر له ما يكفيه و يقوم بمؤنته فكثرت أموال بيت المال وتجددت زيادات و زادت متجددات فهل يجوز ان يزاد قراره على قدر كفايته

و يعطى قسطاً زائداً على ذلك فذهب الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يزاد على قراره الذى يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة فيه وذهب أبو حنيفة رضى الله عنه الى جواز الزيادة عند اتساع المال

وليجعل لصرف قرارهم اليهم وقتاً معيناً فى السنة إما فى أولها أو فى وسطها وان جعله فى كل فصل جاز فان طرأ على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحقه فى المدة الماضية حقاً لهم يطالبون به وأما فى المدة المستقبلة فقد اختلف العلماء فى أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذى كان باسمه فى الديوان أم لا فمنهم من أوجبه لتتوفر دواعى الناس على الخدمة وبذل النفوس فى الطاعة ومنهم من منع ذلك لانقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانة على المستخدم فهل يبقى استحقاق نفقته فى عطائه الذى كان مقرراً باسمه أم يسقط على الخلاف المذكور ولو أراد ولى الامر قطع بعض الجند المستخدم فى الجيش واسقاطه من ديوانه فان كان قد ظهر منه ما يوجب قطعه أو حدث عذر يقتضيه جاز له ذلك ولا جناح عليه وان لم يكن شئ من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض الجند اخراج نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استغناء جاز له ذلك ولا يمنع منه وان كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز ولذا جردت طائفة من الجيش لقتال عدو فامتنعت من ذلك فان كانوا أكفاء العدو سقط قرارهم ومستحقهم ولا يصرف اليهم وان ضعفوا عن العدو لكثرته فلا يسقط ومن ماتت دابته فى حرب عوض عنها وان تلف سلاحه فى قتال عوض عنه ان لم يكن داخلا فى قراره

وأما الاقطاعات فيلزمه امعان النظر فى تحرير اعتبارها وتقدير غبرها بنسبة بدارها وتقرير محصولها بتعديل مغلها المدد تختلف فى ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول الحل والاقطاع من المدة عن اجرائها فى استقبالها واستدبارها ثم اثبات ما على فلاحى النواحى المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقدرة واللوازم المحررة والقسم المعتبرة وتنزيلها فى منشور من جرت تلك الناحية فى اقطاعه وقراره وذكر الاشتراط عليه فيه أنه لا يتعدى حده بتناول ما يميز ذلك عن استمراره واستقراره ثم يضبط حدود ما أقطعه لئلا يمد أحد يده الى زيادة فى مقداره ثم يحاقق كلا فى تكميل عدة الرجال المضاف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التى أوجبها شرع الخدمة عليه

ويتعرض

ويستعرض البرك التام الذى به يستظهر على الاعداء والحروب ويعتبر فى دفع جوارح الاسلحة عند اللقاء عن الراكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد وادامة العمل بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش على أجل قواعد العوائد * فهذه جمل من أصول عمل الجيش يحكمها العارف بقوانينها المستغنى بدرايته ومعرفته عن شرحها وتبيينها

﴿ الطبقة الرابعة كتابة ديوان الاموال وهى وظيفة صاحب الديوان ﴾

لما كانت السلطنة لا يتم نظامها ولا ينتظم تمامها ولا يدوم إحكامها ولا يحكم دوامها الا بالامراء والاجناد والزعماء والقواد والعساكر الاجلاد فى الجلاد وهؤلاء لا يصحب جامح طاعتهم ولا يقرب نازح خدمتهم الا بأموال تدر أخلافها عليهم وأرزاق كافلة كافية تصل اليهم لا جرم كانت الاموال فى الحقيقة للسلطنة قواما ولشمل استقرارها واستمرارها انتظاما فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتثميرها ويتعين القيام فى تسهيل موادها وتيسيرها ولهذا معظم مطلوب الوزارة الاعتناء بأمور الاموال وتدبيرها وصاحب الديوان وان كان فرعا من فروع الوزارة فان ولايته واسعة وايالته جامعة ومكنته فى جهات الاموال بتقصيره وتشميره خافضة رافعة وهو فى الحقيقة كافل لرجوع المملكة وحامل أثقالها وعامل لنمو الدولة وحارس أعمالها ونائل كانة آرائه لتوفير جهاتها وتثمير أموالها وباذل جهده فى ادامة جولها بعد وظائفها وذخائرها وأرزاق رجالها فيتعين عليه أولا حصره لجهات الاموال وأقسامها ونظره فى تفاصيلها وأحكامها وحيث كانت الاموال التى جعل الله تعالى بيد السلطنة زمام استخراجها وناط بنظرها اقامة منهاجها وحاط بسياستها مواد أمشاجها وأوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف فى أخذها واخراجها متنوعة المواد متعددة الانواع متسعة الاعداد متعددة الاتساع مرتفعة الازدياد متزايدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام حصرها أن يعترضه حصر أو تطاول الى استقصائها أن يعتريه قصر وجب ذكر أصول الاموال دون فروعها فانه يلزم قبل بيان تالى كل قضية بيان موضوعها فاذا أحكم صاحب الديوان معرفة أصول الاموال استظهر على استخراج أحكامها وقدر على استفتاح مقصد الولاية ومرامها وأصولها عشرة جزية وخراج وعشور وأجور وزكوات وأثمان ومقاسمات ومصايح وغنيمة وفىء ومعادن ولكل واحد من هذه الاصول أحكام سوغها

الشرع ورسوم قررها الوضع والتحريض على ابداء شعارها والحث على اجتناء ثمارها من لوازم الوزارة وآثارها وصاحب الديوان هو المباشر للقيام بواجبها المثابر على اتمام رواتبها

*( الاول الجزية )*

قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزية هي البراءة المأخوذة بعقد الذمة من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من المجوس وفى السامرة والصابئة خلاف ولا تؤخذ الجزية من امرأة ولا صبي ولا عبد ولا مجنون ولا خنثى مشكل وأقل الجزية دينار وأكثرها مفوض الى الاجتهاد والاولى أن يكون على الفقير المكتسب دينار وعلى المتوسط ديناران وعلى الغنى أربعة دنانير فان قرر عوضا عن الدنانير دراهم كان عوض كل دينار اثنى عشر درهما ومن مات منهم أو أسلم أو جن بعد تمام السنة لم يسقط عنه ما وجب عليه وان كان ذلك فى أثناء السنة فالصحيح أنه لا يسقط قسط ما مضى ومن أعسر بها لم تسقط عنه واذا أيسر تؤخذ منه ولا يجوز اسقاطها والمسامحة بها

﴿ الثانى الخراج ﴾

قال الله تعالى أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين الخراج هو المال المؤدى عن رقاب الارض بشرط مخصوص والاراضى أربعة أنواع * الاول ما أحياه المسلمون فذلك أرض عشر لا يكون عليها خراج * الثانى ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به فعند الشافعى رضى الله عنه هى أرض عشر لا يكون عليها خراج * الثالث ما ملك من المشركين قهرا فهو عند الشافعى رضى الله عنه مقسوم بين الغانمين ويكون أرض عشر لا يكون عليها خراج * الرابع ما كان قد صولح عليه المشركون من اراضيهم فهى أرض الخراج ثم منها ما يكون أهله قد انجلوا عنه فتصير تلك الاراضى وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج وتكون أجرة مقررة على الابد لا تؤثر فيها الجهالة ولا يجوز بيع هذه الاراضي المختصة بهذا الخراج ومنها ما يقيم أهله فيه ويصالحون على اقراره بأيديهم بخراج يضرب عليهم ثم الخراج المضروب على الارضين يختلف مقداره باختلاف نماء الارض فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ضرب الخراج على سواد العراق اعتبر ذلك وكان كسرى أول

ما مسح السواد وضرب عليه الخراج راعى ما تحمله الارض ولما بعث أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن حنيف الى العراق أمره بالمساحة ووضع ما تحمله الارض فمسح ووضع على كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم ومن الشعير درهمين فهذا كان عمله فى أرض العراق وعمل فى أرض الشام غير ذلك رعاية لاحوال الارض واختلاف أحوالها من ثلاثة أوجه الاول لذاتها الثانى لذات المزروع لتفاوت قيمته فان الحنطة أعلى من الشعير وأغلى الثالث لحالها فى السقى والعذى فتراعى هذه الاحوال فى ضرب الخراج لئلا يجحف باحدى الجهتين

*(الثالث العشور)*

والعشر ينقسم الى قسمين أحدهما يجب فى الزروع التى سقيت بماء السماء على تفصيل فيه وهو مذكور فى الزكوات الثانى ما يؤخذ من أموال الكفار فاذا دخل شئ من أموال الكفار أهل الحرب الى بلاد الاسلام المتاخم لهم وقد استقر الصلح معهم على أخذ العشر أو الخمس أو أكثر منه أو أقل منه اثبت ذلك الشرط فى الديوان حفظا لاعتباره وان كان قد فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبته أيضا وقرره واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المنتقلة فى دار الاسلام من بلد الى بلد فممنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العشارون

﴿الرابع الاجور﴾

وهى كل أجرة لمكان من حقوق بيت المال أوجر اجارة شرعية ولا يجوز ان يؤجر مكانا ليباع فيه خمرا وما جانسه ولا يحل ذلك له عند الشافعى رضى الله عنه

﴿الخامس الزكوات﴾

وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والركاز فأما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب فيه ربع العشر وأما الفضة فاذا بلغت مائتى درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر وأما الابل فأول نصابها خمس ثم الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفى الخمس

والعشرين بنت مخاض وعمرها سنة فصاعدا الى ست وثلاثين وفى ست وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ست وأربعين وفى ست وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفى احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ست وسبعين وفى ست وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفى احدى وتسعين حقتان الى مائة واحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب فى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة وأما البقر فأول نصابها الثلاثون وفيها تبيع وعمره سنة وفى أربعين مسنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب وأما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة واحدى وعشرين وفى مائة واحدى وعشرين شاتان الى مائتين وواحدة وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم فى كل مائة شاة وأما عروض التجارة فتقوم ويعتبر الحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه وأما الزروع فالحبوب القطانى ان سقيت بماء السماء أو السيح فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتنقية وان سقيت بالدواليب والنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الارض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعى رضى الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسه على قول وربع عشره على قول وأما الركاز فيؤخذ ان كان من دفين الجاهلية خمسه اذا كان فى موات وفى تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا واخراجا أبحاث كثيرة ومسائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها فى هذا الكتاب وفى القدر المذكور من التنبيه على أنواع الزكاة كفاية فى هذا الباب

*(السادس اثمان المبيعات)*

قد تدعو الضرورة فى بعض الاوقات عند تضاعف مواد الخراجات وترادف دواعى الحاجات الى سد بثق وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتضيق الاموال الحاصلة والنقود المدخرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شئ من الاملاك المنتقلة الى بيت المال رعاية للاغبط واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أثمان مبيعات ديوانية وأعواض مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أموال السلطنة وحقوق المملكة ويتعين عليه فى بيع ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق

من رعاية ثمن المثل والنقدية والحلول

﴿ السابع المقاسمات ﴾

لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان ووسم نفسه بصاحب الديوان والتزم بالولاية جل أعباء هذا الشأن متى خرجت مساحة الارضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بجزء معلوم من ثلث أو ربع أو غير ذلك من الاجزاء يجب اتباع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على المشروط وقد تقدم ذكر استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب الاموال

*( الثامن الغنيمة )*

وهى ما يؤخذ من الكفار بالقتال والايجاف فأربعة أخماسها للغانمين وخمسها يخمس خمسه مرصد للمصالح العامة

*( التاسع الفىء )*

وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هربوا عنه وكل مال مات عنه من لا وارث له وهى الاموال الحشرية

﴿ العاشر المعادن ﴾

المعادن أجناس والعلماء قد اختلفوا فى مقدار ما يؤخذ منها وفى الجنس المأخوذ منه والمختار ما تقدم من نوعه فى الزكاة فان كان لها قرار مثبت فى الديوان عن اجتهاد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هناك قرار فيعمل بما ذكرته * فهذه أصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق الديوانية وهى وان كانت مختصرة الالفاظ فلها لوازم وتوابع وفروع مبسوطة المعانى لا يجوز اغفالها ولا اهمالها و يستعمل اليقظة فى التطلع الى أحوال المستخدمين بين يديه وتتبع قضايا من استنابه فى بعض الاعمال واعتمد عليه و يلزم كل عامل بحساب عمله و يؤاخذه بما يظهر عليه من خلله و يسترفع شواهد الاعمال لاوقاتها و يستطلع عوائد العمال فى خلواتها فمن أحضر حساب عمله محررا ووجده فيما باشره لا خائنا ولا مقصرا ولم يكن فى حلبة اللعب واللهو منهمكا ولا مستهترا استدام استخدامه وأدام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر نهضته فى عمله وقيامه ومن نكب منهم عن سنن الصواب وركب مطا الاضطراب قطعه عن مباشرة الاسباب وجرعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجتهد فى أن لا يدخل عليه فى شئ من أحواله خلل ولا يتطرق اليه

من جهات الاعمال والعمال زال فانه مطالب بعهدة ما تقلده محاسب فى الدنيا والآخرة على ما اعتمده

*( الطبقة الخامسة )*

سائر الحاشية المرتبين بصدد المهام المستعدين للقيام باتمام المراد والمرام المعدودين من أصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب نزاهتهم عن مواقف التهمة واحترازهم عن مواطن الريبة واتصافهم بالامانة واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصا من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشاهدا فى الحقيقة له وعليه وهو المرتب للحجبة والمستدب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما وأقل خلل يصدر عنه مما يفتح باب فساد لا يسد بثقه و يقدح فى الدولة قدحا يتسع خرقه فلهذا اعتبر ذ يعا فيمن يقوم بذلك معرفة ودين وأمانة وصدق ومروءة ونزاهة نفس لئلا يستمال بشئ من الرشوة فيضيع مصالح الدولة وللقلم فى هذا المقام مقال واسع ولمن تقدم من العظماء فيه كلام نافع لكن صدف عن بسط لسان القلم به عذر من الاطالة مانع وعلى الجملة فاهماله واغفاله سيف قاطع وسم ناقع

*( القاعدة الثالثة فى الشريعة والديانات )*

الشريعة هى المحجة الواضحة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها والحجة القاطعة التى أدحض بها شبه المبطلين وقطعها والطريقة المثلى التى بناها على قاعدة الوحى والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التى أعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها فهى سبيل يفضى بسالكيه الى الصراط المستقيم ودليل يهدى متبعيه الى الفوز العظيم ولقد تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية للناظرين وأقام لها شاهدا من القرآن الكريم الذى هو لسان صدق فى الاولين والآخرين وجعل لها حماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء فأما الملوك الذين أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول فى تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتماده من صنوف تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائمون بحملها المعتنون بنقلها الحاملون عبء ثقلها فى الحقيقة هم بأحكام أحكامها معتنون يعتدونها ذخرا يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات واختص من شاء منهم من لطفه مزايا وصفات فأقدارهم معتبرة بالصفات دون الذوات ومراتبهم فى العلم متفاوتة بحسب ما رزقوا منه من الثمرات فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اما الظالم

لنفسه فهو الذى لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه فهو على الحقيقة
تابع هواه بائع هداه فينبغى أن لا يفوض اليه أمر دينى ليتولاه فان من لم ينصح
نفسه خليق به أن لا ينصح سواه وأما الآخران فجدير بهما أداء أمانة
ما تحملاه وحقيق بهما النهوض بأعباء ما تقلداه فان الاعمال الدينية هى أبدا
مبتدأ الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والافتاء فيما يعرض من الوقائع
والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بأمور المستضعفين من
الايامى والايتام ثم الحسبة التى هى من شعائر الاسلام وهى مشاركة للقضاء فى
كثير من أقسام النقض والابرام هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهيم غامضه
وذكره وشغل كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذا قدر فهمه حق قدره الى غير ذلك
من الامور الدينية التى منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على كل من
هو ظل الله فى أرضه النظر فى أحوالها وحرمت عليه الاعراض عن تفقدها
مخافة اختلالها من أوقاف قصد واقفوها التقرب الى الله تعالى بصرفها الى
جهات الاستحقاق وايصالها الى أربابها الواجبة النالوابها اسبرة الارتفاق وهم الخصماء
المتعلقون عند الله تعالى بمعطلها وماله من الله من واق والغرماء المتظامون
فى عرصات القيامة من مبطلها يوم صيحة واحدة مالها من فواق وكيف لا وهى
سبب خير كثير وباب بر كبير من اعانة أسير واغاثة فقير واسعاد فقيه واسعاف
طالب علم وارفاد صوفى ومبرة عابد وتفقد منقطع وسد فاقة محتاج واطلاق
مسجون وصلة رحم وجبر كسير ومداواة مريض واقامة وظائف مدارس
العلم التى بها تحفظ أحكام الشريعة وادرار أرزاق عمرة المساجد باقامة
الجماعات من الائمة والمؤذنين والقائمين والقراء فهذه الاصول من قواعد الديانات
والفصول المعدودة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويضها الا الى متصف
بما اشترطته الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده فى صحة تقليد
هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يحل الاخلال بها
وكفاءة لا ينبغى الخلو منها فان تولى شيأ من هذه الاعمال فاسق أو خائن أو
عاجز لا تصح ولايته ولا تحل مباشرته ويكون من ولاه ذلك عالما به عاصيا
آثما يطالبه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذه بغلته اذا ظهرت هذه
الجملة فتفصيل القول فيها ان أركان أصولها وفصولها المذكورة أربعة العتبا

والقضاء والحسبة وأمر الاوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها وامور تتعلق بها وأحكام تنبني عليها وهذا بيان شاف بشرح هذه الاركان وأهلها ويوضح أن من لا أهلية له لا يحل أن يتعرض لها

*( الركن الاول الفتيا )*

وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عوّل الصحابة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم الى زماننا هذا والكلام في صفات المباشر للفتيا القائم بها وهو المفتي المسلط على أحكام الشريعة نصا واستنباطا فلا بدّ له من أوصاف يصير بها متوصلا الى استخراج الاحكام وأهلا لقبول قوله في الحكم المستفتي فيه وهي العقل والبلوغ والعدالة واجتناب المعاصي القادحة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو والاحاطة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية بما يتعلق بالاحكام والعلم بما يختص بذلك من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ومتقدم ومتأخر ومتواتر وآحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف وأقوال الصحابة والمجتهدين وكذلك يعلم أقسام الاحكام من الواجب والمندوب والجائز والحرام والمكروه وأقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بها وعلى الجملة فمعرفة أصول الفقه شرط لا بدّ منه واذا حصلت هذه الصفات وكملت هذه الشروط فلا بد معها من غريزة نفسانية لا تحصل بالاكتساب وهي فقاهة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل بها استكمال هذه الاسباب لمعرفة الحكم المستفتي فيه فان قيل فمن لم يعرف هذه الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز أن يفتي وهل تقبل فتواه قلت ان فقد العقل والعدالة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فان قول الفاسق ومن لا عقل له لا يقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاه عن امام درج الى رحمة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز فتياه فذهب بعضهم الى انه لا يجوز ومنع منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة للامر على الناس ورفقا بهم

*(الركن الثاني القضاء)*

وهو من أعظم الاركان وقعا وأعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامة عقلا وشرعا والمقصد به نصب ميزان المعدلة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والابرام ولن

يتم هذا المقصد من مباشره الااذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته وما ثره من متانة دين نزهه عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدى بنوره فى باطن كل أمر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف همة تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقى عرضه عن أن يتهم فيما حكم وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متحليا بتجربة قد كشفت له حقائق الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأى لا تتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء هذا مع الارتداء بجلباب الوقار والتدرع بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة الثلاثة الذى فى الجنة والا فيكون أحد الآخرين اللذين فى النار فان قيل قد أجملت القول فى الجلباب الذى يتعين على الحاكم الارتداء به وأعرضت عن تفصيل ما يجب التنبيه عليه من لوازم القضاء وآدابه وكنيت عن السنن القويم الذى من زاغ عنه حكم عليه بعطبه ومن أمه واقتفاه حصلت له النجاة بسببه ومن لم يعلم تفاصيل الآداب ولا يقف على حقيقة الاسباب كيف يعلم الخطأ من الصواب ويميز بين القشر واللباب ففصل أيها المصنف ما أجملته وبين ما أهملته لنعلم عند تتبع أحكام الحكام أى الفريقين أحق بالامن من العطب وأى الحزبين يقال لهم انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعى تقدم أوصاف فى مباشرها حتى يجوز له الارتقاء الى ذروتها وتستلحق آدابا يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمساك بعروتها وانا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين فى جهتها

أما الاوصاف المشروطة لهذه الولاية فهى الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والذكورة والسلامة فى السمع والبصر واللسان ولا يقتنع بالعقل الذى هو مناط التكليف بل ينبغى أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة يتوصل بذكائه الى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدالة وهى أصل فى ذلك ومدارها على اجتناب الكبائر وترك الاصرار على الصغائر وحفظ المروءة والكبيرة من الذنوب ما يوجب حدا وقيل ما لحق الوعيد فاعله بنص الكتاب أو السنة والصغيرة ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأى بعض الاصحاب أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى خرج وقتها

من غير عذر فلا عدالة له وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وتسبيحات الركوع والسجود

وأما المروءة فهي حسن السيرة ومجانبة الدنايا فالخص من ذلك أن يكون صادق اللهجة ظاهر الامانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا من الريب مأمونا في الرضا والغضب معتمد المروءة مثله في دينه ودنياه وأن يكون عالما بالاحكام الشرعية عارفا بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف والقياس ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب والسنة ما تفتقر الاحكام اليه بحيث انه يقدم المحكم على المتشابه والخاص على العام والمبين على المجمل والناسخ على المنسوخ ويبني المطلق على المقيد ويقضي بالمتواتر دون الآحاد والمسند دون المرسل وبالمتصل دون المنقطع وبالاجماع دون الاختلاف ويعرف أنواع الادلة وما يتعلق بها الترجيح بعضها على بعض ويعرف أقسام الاقيسة ليتوصل بها الى الاحكام فانه ليس كل حكم منصوصا عليه واقسام القياس المعتبرة ثلاثة جلي وواضح وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه بأول وهلة من غير اعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلى من بعض وأما القياس الواضح فهو أن يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه ويوجد معنى الاصل بكماله في الفرع وأما القياس الخفي وهو قياس الشبه فهو أن تكون الحادثة الواقعة تشبه أصلين مختلفي الحكم ويكون أحدهما أكثر شبها بها من الآخر فيلحق بالاصل الذي شبهه أكثر وهذه الاقسام الثلاثة أرجحها القياس الجلي فانه لا يحتمل الا معنى واحدا فأشبه النص ولهذا يجوز نقض الحكم اذا وقع على خلافه بخلاف القسمين الآخرين

وأما الآداب التي يؤمر بها فأمور كثيرة منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب وأنا أشير الى بيانها على وجه الاختصار فأقول ينبغي أن يكون شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف ويجعل مجلسه في وسط البلد لتستوي الجهات اليه ويتخذ كاتبا عدلا أمينا كامل العقل عارفا بشروط الكتابة ويجلسه قريبا منه ويتخذ قاسما أمينا على صفة الكاتب زائدا في معرفة الحساب لاجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور العلماء في الوقائع الاجتهادية ويستحضر الشهود الى مجلسه وأن ينفرد بعبادة عن الحاضرين ويحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازا عن التضاغن بينهما فان ابيا بت الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري لنفسه

ولا يجعل له وكيلا معروفا في البلد لئلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يشتغل بالسؤال عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظلما ويستديم من حبس بحق ومن جهل حاله أشاع أمره ليتكشف له وفي مدة الاشاعة لا يحبس بل يوكل عليه من يحفظه أو يطالب بكفيل لا غير ثم ينظر في أمور اليتامى وأموال الاطفال ومحاسبة الاوصياء ثم في أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم في أمور الشهود ويقيم المزكين والمترجمين اذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضي عند تغير طبعه واختلال خلقه بغضب أو حزن أو فرح أو جوع أو عطش أو جزع أو برد ومؤلم أو عند مدافعة الاخبثين أو عند غلبة النعاس فان خالف تقضى نفذ قضاؤه ويحرم عليه أن يرتشي فان أخذها ففيها وجهان أحدهما أن ترد الى أصحابها والثاني انها تحمل الى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما باذن ولا زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين في المجلس الا أن يكون مسلما وخصمه ذميا وفيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل القضايا فان تساووا قدم بالقرعة في قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى المصلحة في التقديم قدمه ومهما جرت قضية كتب فيها محضرا وبا شرحها او ادخره احتياطا ومن جرت منه اساءة أدب في مجلسه عزره بما يراه ويعزر شاهد الزور وينبغي ان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولا واحدا وفي حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضي لنفسه ولا لولده وان سفل ولا لوالديه وان علوا وعلى الجملة فلو بسط القلم لسانه لاستقصاء لوازم هذا الباب واستيفاء ما لولاية القضاء من الشروط والآداب لمد بذلك أطناب الاطالة والاطناب ولخرج عن الاختصار المشروط في هذا الكتاب وفي هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعاها وهداية مغنية لمن رعاها

*( خاتمة لهذا الركن )*

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية في المقاصد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المراصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكي طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء

نفوسهم الامارة فى ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت عن جماعة من القضاة المتقدمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين وادكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفى ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة ولا حاجة معها الى زيادة تذكرة

*( القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحى )*

قال غير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحى متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور فى شئ ذكروه فأمرنى أن أكتب كتابا الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطى فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما يمضى به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انى قد دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأنى بالسلام قال ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم

*( القضية الثانية عدل عافية بن يزيد القاضى )*

نقل ان عافية بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى فجاء فى بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه فلما دخل استأذنه فى ان يسلم اليه

القمطر

القمطر الذى فيه قضايا مجلس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته فظن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه فقال له فى ذلك انه ان كان عارضك أحد لننكر عليه فقال القاضى لم يكن شئ من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة وكل يدعى بينة وشهودا و يدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما انى أحب الرطب فعمد فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لامير المؤمنين ومارأيت أحسن منه ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فما تساويا فى عينى ولا قلبى فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة فى دينى فأهلك وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفنى عفا الله عنك فأقاله

*(القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضى الكوفة)*

روى عمر بن هياج بن سعيد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضى الكوفة وهو فى مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضى قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى بن عم أمير المؤمنين كان لى بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبى وقاسمت اخوتى و بنيت بينى و بينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتى وساومنى ورغبنى فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلى شيأ واختلط بنخل اخوتى فقال يا غلام أحضر طينة فأحضرها فختمها وقال لها امضى الى بابه بالختم حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضى عليك وهذا ختمه فقال ادع لى صاحب الشرطة فدعا به فقال امض الى شريك وقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفينى من ذلك فقال امض ويلك فخرج وقال لغلمانه اذهبوا واحملوا لى الى حبس القاضى بساطا وفراشا وما تدعوا الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه فى الحبس فقال صاحب الشرطة والله

قد علمت انك تحبسني فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس و بلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أى شئ عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق بن الصباح الاشعثى والى جماعة من وجوه الكوفة من اصدقاء القاضى شريك وقال لهم امضوا الى القاضى وأبلغوه السلام وأعلموه انه استخف بى وانى لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالى أراكم جئتمونى فى غثرة من الناس فكلمتونى من ههنا من فتيان الحى فأجابه جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجاد أنت قال حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى فى الليل الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه الحق بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى فركب فى موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أبا عبد الله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع أعوانى قال نعم لانهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا الى الحبس والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته مما قلدنى فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاءه السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك وقد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر انا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس فقال ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان قال أفعل ذلك كله قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومتاعه قال موسى بن عيسى ويرد ذلك كله أبقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومى فقامت من مجلسه فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الامير أنا مر

بشئ

بشيء فقال أي شيء آمر وضحك فقال له شريك أيها الامير ذلك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى منزله وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه

*( القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا )*

قال عمر بن اخي خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضي شريك فأتيته يوما في منزله باكرا فخرج الي في فرو وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أضحيت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابي أمس فلم تجف وأنا انتظر أن تجف اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه فقال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى ابن عيسى أن لا يعصى له أمرا بالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خز وطيلسان وتحته برذون فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضي واذا في ظهره آثار السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل أنا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشي اجرتي كل شهر مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر واحتبسني في طراز يجري علي القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ماترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يانصراني فقال أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مر به الى الحبس قال قم ويلك واجلس معه كما قال لك فجلس معه فقال ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضي انما ضربته أسواطا بيدي وهو يستحق أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل انصرف الى أهلك ثم رفع السوط وجعل يضرب النصراني و يقول لاتضرب والله بعدها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحي خذوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان و بقي النصراني فضربه أسواطا فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيأ وقام النصراني الى البرذون ولم يكن له من يمسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له

شربك أرفق به وبك فانه أطوع لله منك ثم قال لى خذ فيها كافيه قال عمر فقلت له مالنا وهذا لقد فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لى أمر أمر الله بعزك الله خذ فيها كافيه فذهب النصرانى الى موسى بن عيسى فقال شربك فعل بى كيت وكيت فقال له والله ما أتعرض لشربك فمضى النصرانى الى بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

﴿القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة﴾

قال الزبير بن بكار حدثنى عمى مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقة وكان الرشيد لذلك بها فجاء رجل الى القاضى فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضى بن ظبيان أما بعد أبقى الله الامير وحفظه وأتم نعمته أتانى رجل فذكر انه فلان بن فلان وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير أن يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى حاجبه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضى فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر ان له عليك حقا فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضرا باب عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه حفظك الله وأمتع بك لابد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضى فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك فختم قمطره وأغلق بابه وقعد فى بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفنى من هذه الولاية فوالله لا أفلح قاض لا يقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر وظن أن الرشيد قد حدث عنده رأى فى قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ فى منزله

وضج الناس فسكتن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لى أبا اسحق لا كلمه فاعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضى بن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضى من عمل حكمه فيك مارأيت فاياك ومعاصاته

*( القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضى )*

قال عمر بن حبيب القاضى حضرت مجلس الرشيد وما فجرت مسئلة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلى فلم ألبث أن جاءنى غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أنى دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمنى منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بى قال يا عمر بن حبيب ما تلقانى أحد من الدفع والرد لقولى بمثل ما تلقيتنى به وتجرأت على فقلت يا أمير المؤمنين ان الذى قلته ووافقت عليه وملت اليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والاحكام فى الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغى اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم فلما سمع كلامى رجع الى نفسه ثم قال أحييتنى يا عمر بن حبيب أحياك الله أحييتنى أحياك الله أحييتنى أحياك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم

*( القضية السابعة عدل حفص القاضى )*

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فطاله بثمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل

فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطنى ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقى وأسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفنى حتى أشير عليك فأتى الى مرزبان وقال ذلك فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضى حتى أوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضى فادع بمالك فاذا أقر حبسه القاضى وأخذت مالك منه فرجع الخراسانى الى مرزبان وسأله ذلك فأجابه وقال غدا انتظرنى بباب القاضى فلما ركب من الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت ان تنزل الى القاضى حتى أوكل بقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقدما الى القاضى وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله القاضى لى على هذا تسعة وعشرون ألف درهم فقال له حفص ماتقول يامجوسى قال صدق أصلح الله القاضى قال قد أقر لك قال يعطينى مالى والا فالحبس فقال القاضى لمرزبان يامجوسى ماتقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص ياأحمق تقر ثم تقول هذا على السيدة ماتقول يارجل قال ان أعطانى مالى والا حبسته فقال حفص يامجوسى ماتقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندى وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فاسرع السندى واخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندى والله لاجلست للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله فى فان حفصا لا تأخذه فى الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بامر من أخرجته رديه الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فاجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحمق حبس وكيلى واستخف به فكتب اليه ومره لا ينظر فى الحكم عليه فامر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لى شهودا لاسجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت

الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت فقال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص تمم الله سرور أمير المؤمنين وحفظه وكلأه مازدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أني سجلت على مرزبان المجوسي بمال وجب عليه فقال يحيى فمن هذا سر أمير المؤمنين فقال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

*( القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم )*

قال أبو الحسين عبد الواحد الخصيبي حضرت القاضي أبا حازم وقد جاءه طريف الخادم من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال له يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال له أبو حازم قل له أطال الله بقاءه اذكر لما قال لي وقت أن قلدني القضاء قد أخرجت الامر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع الا ببينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيأ فهكذا يكون القضاء السديد

*( القضية التاسعة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي )*

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقلد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري وهو يلي القصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مال الوقف الا ما أخذه المعتضد فجئت الى القاضي أبي حازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبله على أهل الوقف فقال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب

الخليفة فقال والله لا قمعت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم يزح العلة لا وليت له عملا ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافى الحرمي وقل له انك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه ما قلت لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة ظن أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت انى أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى أن أجبي ما على أمير المؤمنين وأنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني ان أقول انى حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قلت أربعمائة دينار قال أفتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال اتزن أربعمائة دينار فقبضتها وانصرفت الى أبي حازم فعرفته ذلك فقال اضفها الى ما عندك من الوقوف وفرقه غدا في سبله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبر أذمته

## ﴿القضية العاشرة عدل اسمعيل القاضي﴾

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي اسمعيل بن اسحق يقول كان في حجر أبي يتيم فبلغ وله أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لاختها كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفك الحجر عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه فقال أمير المؤمنين يأمرك بذلك فقال حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي الى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لخشونته فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسمعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير وقال له ثانيا أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيأ وختمه فاستعظم

الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيأ لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم ان هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاودوه فى هذا فأخذ عبيدالله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياداوود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين فى اعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تتعلق بغيرهم آثامهم

﴿تنبيه﴾ قد يضعف عصام التقوى فى بعض الاوقات و يعم ظهور الفساد لمتابعة الشهوات و يدفع الانسان الى الحالة الموعود بيقائها على السنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخيرة لتطاول المدد وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام و ينتصب لقضايا الانام و يتولى هذه الحالة من الحكام ممن يحمى الشريعة عن اضاعتها و يرعاها حق رعايتها و يتصف بصفات يستحق بها تقلدها ولا يتهاولا يراقب الا الله تعالى فى اقامة وظيفتها فمتى جرت بذلك ادوار الاقدار وتحقق هذا النبأ العظيم واتصل الهوى المتبع بالقلوب فانقطع الصراط المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير نظارة فى النجوم انى سقيم فلا يعتقد أن ذلك مع تفاقمه يجوز ترك الرعايا سدى أو يبيح اغفال أحوال القضايا أبدا بل يتعين العمل بقدر الامكان من الجانبين مقلدا ومقلدا و يطلب من فوض الله اليه أمر بلاده وعباده الاصلح لذلك اذا لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا * وما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور الا اذا كانت الامور طرائق قددا

## ﴿ الركن الثالث الحسبة ﴾

وهى فى الحقيقة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهى من أرسخ قواعد الدين واقامة شعائرها من أقوم المسالك الى التمسك بحبل الله المتين وهى ولاية جليلة لا يقوم بها غير القوى الامين ولا يؤدى فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين

والنظر فيما يتعلق بقسمين الاول في الشروط المعتبرة في القائم بها والمنتصب لها والثاني فيما يلزمه من أعمالها و يباشره من أحوالها

أما القسم الاول فالشروط المعتبرة فيه أن يكون حرا عدلا ذا رأى وصرامة وخشونة في الدين عالما بالمنكرات الظاهرة لينكرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبر أبو سعيد الاصطخرى أن يكون عالما بطريق الاجتهاد وجعل له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغير أبي سعيد لم يعتبر ذلك ولا جعله له وعلى الجملة فلا بد ان اعتطى مطا هذه الولاية الظاهرة الرياسة المشهود لها بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبنية على الحماية والحراسة ومعرفة أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفي فيها مجرد القراءة والدراسة بل يفتقر الى نفس متصفة باليقظة والكياسة متحلية بشيء من التجربة والفراسة فانها ولاية شاملة للاعيان والرعاع عامة في جميع الاوضاع حاكمة بقطع اتباع الاطماع نافذة في تأديب أهل المكر والخداع مسلطة على ردع ذوى الغش والتدليس من الصناع مسيطرة في استنباط حال الظالم والمظلوم عند الاختصام والنزاع فلهذا تحتاج الى نفس مستيقظة عارفة ومعرفة تالدة وطارفة وتجربة لانواع الوقائع مشارفة وفراسة لتحقيق الحق اذا تعارضت الشبه كاشفة وديانة عند أوامر الشريعة الشريفة واقفة فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التي لابد من اعتبارها في هذا الباب

وأما القسم الثاني وهو تفصيل ما يأتيه من الاعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره فثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله و بين العباد

*(النوع الاول حقوق الله تعالى)*

حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارات والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الاسلام فان رأى أو علم انسانا يتعمد الخلل فيها و يقصد الاستهانة بها كمن يصلي جنبا أو محدثا أو متلاعبا بالصلاة أو يأكل في رمضان نهارا من غير عذر أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتارا أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات في مساجدهم وأغلقوها عمدا غير معذورين أو تركوا الاذان في أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر الى غير ذلك مما يطرق الى الدين خللا واستهتارا و يقضي على فاعله بقلة دينه وسوء

عقيدته و يلتحق بذلك التجاهر بالمحرمات والتبجح باظهار المنكرات ومنه كشف العورات فى مجامع الناس والحمامات استهانة واستهتارا بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجرى مجراها و يشاركها فى معناها داخلة فى باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الاسباب و يأمر فيها بسلوك السنن المشروع الكاشف شبه الارتياب و يؤدب العاصى بها بما يناسبه من التأديب الا اذا تاب واقلع واناب

*(النوع الثانى حقوق العباد والمعاملات)*

حقوق العباد كالعقود والمعاملات وما يتعلق بالمزروعات والمكيلات والموزونات وما يعتمده ارباب المعايش والصناعات فيلزمه النظر فى امورها الاصلاح فسادها واعتبار ما خرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملة ساكنى الاسواق فى مألوف قواعدها و يتفقد أحوال جلوسها فى مصاطبها ومقاعدها فيحسم مادة الفساد و يقوم عوج المنآد و يأمر بسلوك سبيل الرشاد و يصرف قسطا وافرا من عنايته وحظا وافيا من يقظته ودرايته الى أحوال الطهاة والخبازين ومقادير الاذرع والاكيال والموازين وتضايق سكك الدروب ومسالك المجتازين فيتطلع الى تصحيح مقدارها و يرتب كلا منها بقسطاسها ومعيارها و يؤدب من يعتمد الخيانة فيها فان بها صيانة سفلة السوقة وشرارها هذا الى الالتفات البالغ الى اصلاح الشواء فى تطهيره من الدماء وقت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح فى جوانبه ليكمل بذلك انضاجه واعتبار نقص الثلث منه لاستحقاق فتح تنوره واخراجه وتنظيف الآلات التى يباشرها بائعه لنفاقه ورواجه و يعتمد فى ذلك كله متابعة طريق الواجب فيه ومنهاجه ولولا أن الاطناب مسئم والاسهاب مؤلم لشرح القلم من الانواع التى يدخلها التدليس و يجرى فيها الغش والتلبيس من أنواع المركبات وأصناف المخلوطات كالاشربة والمعاجين والربوب والادقة والادهان والحلاوات والشموع والقسى وأنواع الوبر وأصناف المأكولات والاطعمة والمكسوات ما يحار فيه سامعه من تعداده و يكثر تعجبه من جمعه وايراده كل ذلك مما يتعين على المنتصب لمنصب الاحتساب بذل جهده واجتهاده فى اعتباره واختباره وافتقاده وانتقاده و يحسم بسياسته مادة الدعار و يسلك جادة حفظ أموال التجار والغرباء الواردين من الامصار والرعايا فيما تدعوهم اليه حاجة الاضطرار باقامة الضمان للسماسرة

والدلالين والباعة والكيالين والنقلة والحمالين والمكارية والجمالين وان كان في مكان فيه سفن ومراكب فالنوتية والملاحين ولكل مجهول بباشر صناعة في أمتعة يتسلمها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها

﴿النوع الثالث ما هو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد﴾

فصاحب الحسبة مأمور باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرقات العامة والشوارع المسلوكة والأسواق المشتركة فكل من أحدث بناء أو غرس شجرة أو أخرج جناحا أو ميزابا أو وجد مصطبة تضر بالمارة وتضيق على العامة فيمنعه منه ويردعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على منازل الناس وينظر الى حريمهم يردعه عنه ويكفه منه ويمنع أهل الذمة أن يعلوا بنيانهم على بناء المسلمين ويأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد الذمة ويلزمهم بالغيار ولبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر بما نهوا عن اظهاره فعلا وقولا ويكف عنهم من يقصدهم بظلم أو أذى واذا كان في بعض الجوامع والمساجد امام يطيل القراءة في الصلاة الى غاية يضعف عنها الكبير والمتألم وينقطع بها ذو الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل وان كان في السادة من يجوع مماليكه وعبيده ولا يكسوهم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم من العمل فوق طاقتهم أو كان لاحد دابة يحمل عليها زيادة عن حملها بما يضر بها فله أن يمنع من ذلك ويأمر فيه باتباع طريق العدل وسلوك سبل الحق حتى لو رأى من بعض ذوي الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام تقصيرا فيما يلزمه فعله كان له الاحتساب فيه بالانكار عليه * وقد نقل عن محتسب بغداد أنه مر يوما على باب دار القاضي ابن حماد فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى حاجبه وقال له تقول لقاضي القضاة الخصوم جلوس بالباب وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فاما جلست واما بلغتهم عذرك لينصرفوا ويعودوا اذا زال عذرك وجلست فهمه له دينه على الاحتساب على قاضي القضاة وكما أن بيده زمام الاحتساب وله ولاية الامر والنهي فيما سبق من الاسباب فكذلك له التأديب والتعزير على قدر الجرائم والذنوب الا أنه لا يبلغ بتعزيره أدنى الحدود ويجوز في التعزير الضرب والصفع

وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حيا ولا يزيد في صلبه على ثلاثة أيام ولا يمنع فيها من الطعام والشراب ولا من وضوء الصلاة ويصلي بالايماء ويعيد الصلاة اذا أطلق ويجوز أن يشهر المعزر في الناس وينادى عليه بذنبه اذا كان قد تكرر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقاء الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه كله في موضع واحد من الجسد على رأى جمهور الاصحاب وذهب أبو عبد الله الزبيري رحمه الله تعالى من أصحابنا الى جواز ذلك ويجوز التعزير بالحبس والنفي واختلف الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيري الى تقدير غايته بستة أشهر ولا مزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفي فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أن غاية النفي مدة مقدرة بما دون سنة ولو بيوم لئلا يساوي النفي المشروع في الحد في باب الزنا وقد يكون التعزير في حق بعض الناس بالكلام الخشن والشتم دون الفعل وان رأى المصلحة في العفو عن التعزير جاز بخلاف الحدود فانه لا يجوز العفو عنها بحال

*(الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها)*

ولاية الاوقاف من باب التعاون على البر والتقوى ولا ينبغي أن يحمل ثقلها الا الامين القوي فان أبوابها متسعة وأربابها متنوعة وشعابها متفرعة فانهم أصناف مختلفون وطوائف موصوفون فمنهم الاشراف المتصلون برسول الله صلى الله عليه وسلم الهاشميون والعباسيون والعلويون والحسنيون والحسينيون وغيرهم ومنهم الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء والقراء والاضراء والاسراء وأبناء السبيل والمرضى والمجانين ومنها اتكفين الموتى وأسوار الثغور وقناطر الطرقات وعمارة المساجد ومصابيحها وبسطها وأئمتها ومؤذنوها وقائموها ومصالح المدارس واقامة وظائفها وكذلك الربط والجلاهق والمشاهد ومواطن العبادة الى ما سوى ذلك من وقف على تعليم اليتامى الخط ووقف على من انكسرت له آنية لا يقدر على عوضها وغير هذا من أبواب الطاعات وجهات الخيرات فهذه الوقوف العامة جميعها على اختلاف مصارفها وتباين جهاتها مشتركة في أن المقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها معدودة من الصدقات داخلة في باب القربات فيجب اتباع شروط واقفيها والعمل بها والكلام الآن في فصلين

الاول فى صفات الناظرين فى الاوقاف وما يشترط فى صحة ولايتهم والثانى فيما يجب عليهم من القيام فيها وما يلزم عند مباشرتها

*(الفصل الاول فى الصفات)*

لما كانت الوقوف العامة مستحقة لقوم موصوفين غير معينين يتعذر عليهم مباشرة التصرفات فيها بأنفسهم لعدم تعينهم جرى أمر الناظر فيها والمتولى لها مجرى الناظر والمتولى فى أموال العاجزين عن التصرف بأنفسهم كالاوصياء والامناء فكل صفة مشترطة لصحة نظار الاوصياء والامناء فى أموال العاجزين عن التصرفات بصبى أو جنون معتبرة فى صحة نظار المتولى للوقف العام وكل ما يمنع من صحة ولايتهما يمنع من صحة ولاية الوقف العام فالفاسق والخائن والعاجز لا يجوز أن يكون وصيا فى ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الاب على أطفاله بالنظر فى مالهم الى فاسق يعتمد عليه فانه لا تصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذلك لو أقام الحاكم أمينا ينظر فى مال بعض اليتامى أو غيرها وهو فاسق فانه لا تصح توليته ولا تحل اقامته له وكان تصرفه باطلا فكذلك ولاية النظر فى الاوقاف المذكورة لا يجوز لفاسق ولا لخائن ولا لعاجز سواء كان النظر مفوضا اليه من الواقف أو من السلطان ولا يحل له ولا بد من أهليته لها وصفات أهليته الامانة فانها أصل العدالة والكفاية ولا يكفى فى جواز ولايته وجود احدى الصفتين فانه لو كان كافيا وهو فاسق أو أمينا وهو عاجز لا تحل توليته ولا يجوز أن يفوض اليه النظر فى ذلك فان تولى كان آثما عاصيا مضمونة عليه تصرفاته فان كان وقت التولية متصفا بهما فطرأ عليه ما أزال احداهما بان تجدد فسقه بخيانة أو غيرها أو عجزه بزمانة أو غيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرمين رضى الله عنه بان الواقف لو صرح وشرط النظر لنفسه فى وقفه ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما فالسلطان لا يتركه والتحقيق ما ذكرناه من أن الولاية فى الوقف العام تصرف فى حق الغير نظرا له من غير جهته فيعتبر فى صفاته لصحة ولايته ما يعتبر فى حق الوصى والامين والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح فى الامانة والكفاية يقدح فى الولاية

﴿الفصل الثانى﴾ فى بيان ما يلزمهم من التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة القول فى ذلك تنكشف باجمال وتفصيل أما الاجمال فانه يجب اتباع الشروط المسوغة والعمل بها من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسبما صدر عن الواقف وأما

التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستنماء غلاله وترميم أماكنه وتثمير جهاته والنهوض بكل مافيه مستزاد مسوّغ في ريعه حتى لاينسب الى تقصير ولا ينظر اليه بعين تفريط ولايجوز أن يغير شيأ من الاوقاف عن صورته فلايجعل الحمام خانا ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولايحدث في الوقف مايغيره عن صفته فان فعل ذلك منع منه والزم أن يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه الا أن يكون الواقف قد جوزله ذلك وجعله له بطريقه ولايجوز أن يؤجر الوقف على خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه أما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط ان لايؤجر الوقف أصلا ورأسا وإما ان يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها وإما أن يكون قد سكت ولم يذكر شيأ لامنعا ولا اذنا

*(الحالة الاولى)* ان يصرح بالمنع وشرط أن لايؤجر فالظاهر من مذهب الشافعي رضي الله عنه اتباع شرطه فلايؤجر ومن الاصحاب من رأى ذلك على خلاف المصلحة وانه حجر على الموقوف عليه فيما هو مستحق له فجوّز الاجارة ومنهم من قال لايزاد على سنة واحدة حفظا للوقف

*(الحالة الثانية)* أن يصرح بالاذن في ان يؤجر فان عين مدة ونص عليها فلايجوز أن يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدة زائدة على المدة المعينة في الاذن وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعددة متتابعة كل عقد مشتمل على المدة المعينة المأذون فيها لاغير فان كان الواقف قد شرط أن لايعقد عقدا حتى تنقضي مدة العقد الاول فلايجوز مافعله الناظر وكانت الاجارة باطلة في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك ففي صحة العقود للمدة المستقبلة الواقعة بعد العقد الاول خلاف

*(الحالة الثالثة)* أن يكون قد سكت عن القسمين منعا واذنا فتجوز الاجارة على ماتقتضيه المصلحة برعاية ماهو الاغبط والاحوط وكذلك الحكم اذا جهلت الحال ولاخلاف على الاقسام كلها حيث جوزت الاجارة أنها مقيدة بأجرة المثل فان أجر بدونها فالعقد باطل والاجارة مردودة ثم الاولى ان الناظر في الوقف اذا أجره لا يزيد على ثلاث سنين فان الامام أبا سعيد المتولي رضي الله عنه قال ان الحكام اصطلحوا على منع الاجارة في الاوقاف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى لاتندرس الاوقاف و يطول بقاؤها في يد انسان واحد فيدعيها ملكا و يجب عليه

أن يوصل الى كل ذي حق حقه من المصارف ولا يحرم أحدا من المستحقين ولا يعطى منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحدا من أهله الا أن يكون قد جعل الواقف له ذلك وفوضه اليه بطريقه ولا يجوز أن يجعل لنفسه منه مالا يستحقه فان خالف ماذكرناه وعمل ماهو نوع منه عالما بأنه لا يجوز له وأصر متعاهدا مضيا هداه فقد خالف الله تعالى وعصاه وزالت أمانته وظهرت خيانته فلا يجوز ابقاؤه ويتعين صرفه وازالته وكان الواقف وأرباب الوقف خصماءه عند الله لتفريطه في حقهم وارتكابه مالا يجوز فعله في وقفهم وكان مطالبا بما فرط فيه مؤاخذا بما أضاعه منه

﴿القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات﴾

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد القلائد وقلائد الفرائد ضمنتها أنواعا من فوائد النوادر ونوادر الفوائد وأودعتها أوضاعا متعددة المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى معرفة العلماء الذين دأبوا بحمل العلم في صدورهم ونقبوا في اكتسابه حتى حصلوا منه غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا اختصوا بالرعاية والعناية وميزوا بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعيا الى انبعاث النفوس الى تحصيل العلم الذي هو مادة الهداية وتوفر الدواعي على الاشتغال به وفي ذلك كفاية ونهاية الى الغاية واذ كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضبط بكتاب ولا تنحصر بمكتوب وقع الاقتصار منها على النوع الذي هو العلم الحقيقي شرعا الذي هو في الملة الاسلامية والشريعة النبوية أكثر نفعا وأكثر حاجة وهو علم الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم حملت على علم الشريعة دون غيره من العلوم المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الائمة رضي الله عنهم بأنه لو أوصى رجل بثلث ماله للعلماء فانه يصرف الى علماء الشريعة دون غيرهم وقد كشف الامام عالم العراق أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي رضي الله عنه غطاء الاضطراب من وجه الصواب وذكر في كتابه المسمى بالحاوي في الفتاوى ان الرجل لو قال أعطوا ثلث مالي لاعلم الناس فانه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذي

هو

هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصالحهم منوطة به وقال انهم موقوفة عليه والمدعى أنه من جملته كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة الفرق بين الفرقتين كاشفة عند استعمالها كنه الحقيقتين وقد مخضت لاستخراجها أوطاب المسائل ورضت صعابها فأصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من أقرب الوسائل محكا للاختبار ومسلكا الى اعتبار ذوى الفضائل فمن أجاب فيها بالاطلاق فما أصاب الصواب ومن فصل القول لجوابها فقد أجاد وأجاب وهى فى العبادات والمعاملات والمناكحات والجنايات فمن ذلك

﴿مسائل العبادات﴾

(مسئلة) انسان يصلى على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر على موضع سجوده من السجادة نجاسة فاخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت صلاته أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان أخذ الطرف الطاهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد على الموضع الطاهر الذى وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه حمل فى صلاته نجاسة فبطلت (مسئلة) جماعة صلوا خلف امام صلاة جهرية فقرأ الفاتحة فلحن فى آخرها لحنا يغير المعنى فنبهوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب ففارقوه وأتموا الانفسهم فهل تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالبطلان فهو خطأ * والصواب من الجواب ان لحنه ان كان طبعا لم تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه لم ينعقد وان كان لحنه خطأ صدر منه ولم يكن طبعا صحت صلاتهم وتمت لهم (مسئلة) مصل جلس فى آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سها فى صلاته أم لا فهل يسن له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان شكه فى زيادة زادها فى الصلاة فلا يسجد للسهو اذ الاصل عدم الزيادة وان كان شكه فى نقصان شئ من هيئات الصلاة كالقنوت والتشهد الاول يسجد للسهو اذ الاصل انه لم يأت به (مسئلة) رجلان دخلا مسجدا وصليا واعتقد كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم فرغا وانصرفا فهل صحت صلاتهما لاعتقادهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول

الجماعة له مع صاحبه لكونه اماما وصاحبه مأموما فصلاتهما صحيحة وان كان كل واحد يعتقد أنه مأموم وصاحبه امام فصلاتهما باطلة (مسئلة) انسان له من الابل نصاب وجبت عليه فيه الزكاة ولم يجد السن المفروض عليه فهل يجوز له ان يصعد الى سن أعلى منه ويأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويعطى الجبران أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان ابله ان كانت صحاحا فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع الجبران وان كانت كلها امراضا فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسئلة) امرأة ماتت فى شهر رمضان ولها مال كثير وخلفت زوجا وابنا منه فورثاها ووجبت عليهما زكاة الفطر وهما غنيان فاخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده مع كونه غنيا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الولد ان كان صغيرا جاز وان كان كبيرا لم يجز لاشتراط نيته (مسئلة) انسان وجب عليه صوم بحكم النذر فرض فهل يلزمه قضاؤه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذره صوم الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسئلة) رجل معتكف تعين عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المعتكف أم لا ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان تحملها ابتداء تعين عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تحملها اما تعين عليه فلا يجوز له أن يخرج لادائها لانه هو الذى أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة) رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان قدمه على الميقات الزمانى لا يجوز وان قدمه على الميقات المكانى فيجوز لاتحاد الزمانى بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكانى (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان الاذى من الشعر بان نزل الى عينيه فلا ضمان عليه وان كان الاذى من غير الشعر بان كان فى رأسه قمل فازال الشعر ليزيل القمل فيجب عليه الضمان لنسبة الاذى الى غير الشعر

(مسئلة) طائر له فرخان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم أمسك رجل حلال غير محرم الطائر وتركه فى قفص فمات ومات الفرخان بسبب غيبته عنهما وكل واحد فى موضعه أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أم لا يجب ضمان شئ منهما أم يجب ضمان الطائر وحده أم ضمان الفرخ وحده فان اجيب فيها بأحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر ان كان فى الحل والفرخ فى الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان الطائر فى الحرم والفرخ فى الحل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب فارسله على صيد فأصابه فهل يجب ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معلما يجب عليه الضمان وان لم يكن معلما فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الى مرسله (مسئلة) محرم رمى بسهم الى صيد فأصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل يجب على الرامى ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثانى ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان تحامل بعد الرمية ومشى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثانى لنسبة سقوط الاول بعد مشيه وتحامله الى فعله دون الرامى وان وقع عليه بحدة السهم وشدة الرمية من غير تحامل وجب عليه ضمان الاول والثانى لنسبته اليه (مسئلة) رجل له عبد مملوك محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم انه محرم فهل يثبت للمشترى الخيار أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشترى اذ لا يقدر على تحليله وان كان احرامه بغير اذن مولاه فلا خيار له اذ يمكن تحليله (مسئلة) أجير استؤجر ليحج عن غيره فاعتمر أو استؤجر ليعتمر فحج فالاجرة لا يستحقها لمخالفته ولكن النسك الذى أتى به من الحج أو العمرة هل يقع عنه أو عمن نواه به ان اجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الاجارة ان كانت عن حى فلا يقع المأتى به عنه لعدم اذنه فيه وهو شرط ويقع عن الاجير وان كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاجير فان اذن الميت ليس شرطا ولهذا لو حج رجل عن الميت تبرعا منه صح وسقط به الحج الذى كان واجبا على الميت

*( مسائل المعاملات )*

(مسئلة) رجل اشترى عينا وتلفت في يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له الرجوع بالارش على البائع أم لا ان اجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كانت العين المبيعة سلعة غير دراهم أو دنانير فله الرجوع بالارش وان كانت دراهم أو دنانير في عقد الصرف بيعت بدراهم أو دنانير وتقابضا فانه لا يجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع في الربا ولكن يفسخ العقد بينهما ويرد مثل التالف ويسترجع ما سلمه ان كان باقيا أو بدله ان كان تالفا (مسئلة) رجل باع عبدا بألف درهم وتقابضا ثم ان البائع عاد الى المشترى ومعه ألف درهم زيوف وقال هذه الدراهم التي قبضتها فخذها فقال المشترى ليست هذه تلك الدراهم فهل يقبل قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشترى وان كان العقد وقع على دراهم في الذمة وعينت تلك الدراهم عما في الذمة فالقول قول البائع ومثل هذه المسئلة لو ابتاع ثوبا وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا الثوب الذي اشتريته منك فارده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذي قبضته مني بل هو غيره فهل القول قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ * والصواب أن الثوب ان كان معينا ووقع العقد عليه فالقول قول البائع وان كان عينه عما في الذمة فالقول قول المشترى اذ الاصل بقاء ما في الذمة الى أن يتيقن تسليمه *(مسئلة)* رجل اشترى حيوانا حائلا لا حبل به ثم تجدد به حبل بعد القبض ثم اطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشترى عيب فهل يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الحيوان المشترى ان كان بهيمة فيجوز له الرد وان كان جارية لا يجوز له ردها لحرمة التفريق بين الام وولدها قبل البيع ويتعين حقه في الارش لتعذر الرد شرعا *(مسئلة)* اذا أحضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص من المشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المسلم فيه ان كان مما يتقسط عليه الثمن بالاجزاء كالحبوب مثل الحنطة والشعير وما أشبهها والادهان وما في معناها فيجب عليه ان يقبل ذلك ويطالب بالباقي وان كان مما يتقسط عليه الثمن بالقيمة كما لو أسلم

في

فى ثوب طوله عشرة أذرع فاحضره وطوله تسعة أذرع فانه لا يجب عليه قبوله (مسئلة) جارية مرهونة عند رجل بدين له بيعت فى الدين فاشتراها رجل وأعتقها وتزوجت وولدت ابنين فكبرا وشهدا على المرتهن انه كان أبرأ الراهن من الدين قبل بيع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على انها مملوكة ولم يعلم بعتقها وكان ممن يحل له نكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها لوجود الدور وان كان وطئها على انها حرة قبلت شهادتهما لعدم المانع من قبولها * (مسئلة) * رجل أقام البينة العادلة بافلاسه بعد تقدم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه أن لا مال له فى الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان قد أقام البينة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لما فيه من تكذيب الشهود وان كان أقام البينة على أن لا مال له حلف وتكون يمينه واجبة على وجه ومستحبة على وجه * (مسئلة) * رجل صالح رجلا على مسيل مائه فى ملكه بعوض معلوم وبين مقدار المسيل ولم يبين مقدار الماء الذى يسيل فى المسيل فهل يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان المسيل على الارض صح وان كان على السطح لم يصح * (مسئلة) * عبد كاتبه مولاه ثم بعد الكتابة صار يبيع ويشترى فاشترى سلعة فهل تجوز الحوالة عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المكاتب ان كان قد اشتراها من أجنبى جازت الحوالة وان كان قد اشتراها من مولاه لم يجز (مسئلة) رجل غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فبماذا يضمنها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب فيها بأحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أكلها على هيئتها حنطة ضمنها بالمثل وان طحنها ثم أكلها ضمنها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طحنها الى أن أكلها فان الدقيق من ذوات القيم (مسئلة) زقاق أو دهليز مشترك بيع منه شقص فهل تثبت فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الزقاق أو الدهليز ان كان بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء بما يحصل له فلا تثبت الشفعة فيه وان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان للمشترى طريق غيره ثبتت فيه الشفعة وان لم يكن له طريق غيره ففيه خلاف (مسئلة) رجل ثبتت له الشفعة فى ملك فشهد البائع على الشفيع بأنه عفا عن الشفعة فهل تقبل

شهادته أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كانت شهادته بعد قبض الثمن قبلت وان كانت قبل قبضه لم تقبل

(مسئلة) رجل دفع الى رجل ألف درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم اليه ألف درهم أخرى وقال أضف هذه الالف الثانية الى الالف الاولى ليكون الجميع قراضا فهل يكون الجميع قراضا صحيحا أم يكون الاول صحيحا والثاني فاسدا ان أجيب فيها بصحة القراض فيهما أو بغيره مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الالف الثانية ان دفعت اليه قبل تصرفه في الدراهم الاولى كان الجميع قراضا صحيحا وان كان بعد تصرفه فيها كان الاول صحيحا والثاني فاسدا (مسئلة) رجل دفع الى رجل مالا قراضا وقال قارضتك سنة على ان لا تتصرف بعدها بعض التصرفات المطلقة لك في السنة وعينه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان أجيب فيها بالصحة أو بالابطال مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان شرط أن لا يتصرف بعد السنة بالشراء وحده صح لانه لا يناقض مقصود العقد وان كان شرط أن لا يتصرف بعد السنة بالبيع فهو باطل لانه يبطل المقصود (مسئلة) رجل استأجر رجلا ليحمله الى بلد معين ويحتاج في الطريق الى دليل فاجرة هذا الدليل هل تكون على المستأجر أو تكون على المكاري ان أجيب فيها بالوجوب على أحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الاجارة ان كانت اجارة عين فاجرة الدليل على المستأجر وان كانت اجارة في الذمة فاجرة الدليل على المكاري (مسئلة) رجل استأجر بيتا من رجل ليخزن فيه كرا من حنطة فخزن فيه كرين من حنطة فهل يجب على المستأجر زيادة عن الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن البيت المستأجر ان كان على الارض فلا يلزمه زيادة على الاجرة المسماة بسبب الزيادة في الحنطة وان كان البيت غرفة على سطح فيلزمه أجرة المثل للزيادة لان الزائد على الكر يحصل به زيادة ضرر على السقف *(مسئلة)* انسان أوصى بثلث ماله لمن نصفه حر ونصفه عبد فهل تصح وصيته له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن النصف المملوك ان كان لاجنبي صحت الوصية فان لم يكن بينهما مهاياة كان الثلث بينهما نصفين نصفه للاولى ونصفه لهذا الموصى له وان كان بينهما مهاياة ففيه خلاف مشهور مبناه ان النادر هل يدخل في المهاياة أم لا فان لم يدخل

فى المهايأة كان بينهما بكل حال فان دخلت الامور النادرة فى المهايأت كان على الخلاف فى تملك الوصاة بالقبول أو بالموت وان كان النصف المملوك لوارث فلا تصح الوصية ان لم يكن بينهما مهايأة وان كان بينهما مهايأة فكذلك على الصحيح (مسئلة) رجل أوصى لانسان بجارية ثم وطئها الموصى فهل يكون وطؤه رجوعا عن الوصية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أنه ان عزل عنها لم يكن رجوعا كالاستخدام وان لم يعزل كان رجوعا كالاستيلاد (مسئلة) رجل أوصى الى رجل بتفرقة ثلث ماله وكان الوصى فاسقا لا تصح الوصية اليه فقسم الثلث وفرقه فهل يجب عليه الضمان لكون الوصية اليه باطلة أم لا لكونه مأذونا له ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الوصية بالثلث ان كانت لأقوام معينين ففرقها عليهم لا ضمان عليه وان كانت لغير معينين كالفقراء والقراء وما أشبههم فانه يضمن لان تعيينهم بالتفرقة يحتاج الى اجتهاد والفاسق ليس من أهله (مسئلة) انسان أوصى الى رجل أمين فى تفرقة ثلثه وتسلمه فصار بيده ثم ادعى انه فرقه فهل يقبل قوله فى تفرقته من غير بينة أم لا يقبل ان أجيب بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الوصية ان كانت لاقوام غير معينين كالفقراء والصوفية فيقبل قوله من غير بينة وان كانت لاقوام معينين لا يقبل قوله من غير بينة لامكان الاشهاد

*( مسائل المناكحات )*

(مسئلة) رجل تزوج امرأة بشرط ان لا يطأها نهارا أو لا يطأها ليلا فهل يصح النكاح بهذا الشرط أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الشرط ان كان من جانب الزوجة بطل النكاح وان كان من جانب الزوج لا يبطل اذ هو حقه (مسئلة) رجل تزوج بحرة وأمة فى عقد واحد فهل يصح نكاحهما أو يبطل نكاحهما أو يصح نكاح الحرة و يبطل نكاح الامة أو يصح نكاح الامة و يبطل نكاح الحرة ان أجيب فيها بأحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان ممن لا يحل له نكاح الامة بطل نكاح الامة قولا واحدا وفى نكاح الحرة خلاف وان كان ممن يحل له نكاح الامة ورضيت الحرة بثبوت صداقها فى ذمته صح النكاحان جميعا (مسئلة) رجل كافر أسلم عن عشر نسوة

ثم بعد ذلك أسلمن كلهن وثبت له اختيار أربع منهن فهل يصح اختياره للاربع في حال احرامه بالحج أم لا ان أجيب فيهما بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ والصواب ان احرامه ان كان قبل اسلامهن فلا يصح اختياره لهن وان كان بعد اسلامهن فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام (مسئلة) اذا أسلم الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهن كلما أسلمت واحدة من هؤلاء فقد فسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء العدة فهل يصح قوله و ينقطع النكاح أم لا ان أجيب فيهما بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لان الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح على أحد الوجهين لقبوله التعليق (مسئلة) رجل تزوج بامرأة فأحضرته الى الحاكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحاكم دعواها ليضرب له الاجل أم لا ان أجيب فيهما بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الزوجة ان كانت حرة سمع الحاكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها لفقد شرط من شروط جواز نكاحها وهو الخوف من العنت فيبطل حق الوطء فيلزم الدور فلا يسمع (مسئلة) رجل تزوج عبده باذنه بحرة على صداق معين وهو مائة دينار مثلا وضمنها السيد لها ثم بعد مدة باعها السيد العبد بتلك المائة المضمونة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيهما بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان البيع بعد الدخول فهو صحيح و ينفسخ النكاح لانها ملكت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير صحيح لان صحته تستلزم بطلانه بطريق الدور (مسئلة) رجل له زوجتان مسلمة ونصرانية فقال للمسلمة أنت قد ارتددت وصرت نصرانية وقال للنصرانية أنت قد أسلمت وصرت مسلمة فكذبتاه ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل نكاحهما أو لا يبطل أو يبطل نكاح واحدة و يبقى نكاح الاخرى ان أجيب فيها باحد هذه الاقسام فهو خطأ * والصواب ان ذلك ان كان قبل الدخول بطل النكاحان لوجود المبطل في زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فظاهر لتصريحه بالردة وأما النصرانية فلانها بجحودها الاسلام قد ارتدت في زعمه وان كان بعد الدخول ثبت نكاح المسلمة و بقي نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان أسلمت قبل انقضاء العدة ثبت نكاحها وان لم تسلم الى انقضاء العدة انفسخ نكاحها (مسئلة) امرأة لها عبد فأبق فتزوجت برجل على أن يرد عبدها الآبق

وجعل

وجعل رد العبد الآبق صداقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقا أم لا . ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المسافة التي يرد العبد منها ان كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وان كانت مجهولة لم يجز (مسئلة) رجل تزوج امرأة وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلا والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح على الصحيح وان كان في الذمة صح ويكون بالخيار ان شاء تعلم هو تلك السورة وعلمها اياها وان شاء علمها اياها بغيره (مسئلة) اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيأ من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان تعلمها ذلك ان كان رغبة في الاسلام فيصح وان كان للمباهاة لا رغبة في الاسلام لا يصح (مسئلة) رجل تزوج بامرأة ولم يجعل لها مهرا ثم دخل بها فهل يجب لها مهر وتطالبه بذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كانت المرأة مملوكة زوجها سيدها مملوكه فانه لا يجب لها مهر ولا تطالبه به وكذا لو كانت مشركة وفوضت بضعها في الشرك ودخل بها الزوج في الشرك ثم أسلما على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به لحصول الاذن منها في الاتلاف في دار الشرك (مسئلة) رجل له زوج حامل فقال لها اذا ولدت ابنا فانت طالق واحدة واذا ولدت بنتا فانت طالق طلقتين فولدت ثلاثة أولاد فيهم ابن وبنت فهل طلقت ثلاثا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب * انها ان ولدتهم دفعة واحدة بأن أخرجوا رؤسهم معا طلقت ثلاثا وان ولدت على التعاقب فان ولدت أولا ابنا ثم ولدت ابنا آخر وولدت الثالث بنتا فلا تطلق الا طلقة واحدة فان الابن الثاني لا تطلق به لان اذا لا تقتضي التكرار وبولادة البنت بانت والطلاق لا يقع مع البينونة فلم يقع عليها غير طلقة واحدة وان ولدت أولا بنتا وولدت الولد الثاني بنتا أخرى ثم ولدت الثالث ابنا طلقت طلقتين بالبنت الاولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخرا لانها به بانت والطلاق لا يقع مع البينونة وان ولدت أولا ابنا ثم ولدت الثاني بنتا أو كان الامر بالعكس بأن ولدت أولا بنتا وثانيا ابنا وقع الثلاث فان ولدت الاول ابنا والولدان الآخران خرجا معا دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة سواء كانا بنتين أو ابنا

وبنتا وان ولدت الاول بنتا والولدان الآخران خرجا معا دفعة واحدة طلقت طلقتين لاغير سواء كان الآخران ابنتين أو ابنا وبنتا وهذه من المسائل المستحسنة (مسئلة) رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع فى الزنا وله أمة لم يطأها فزوج ابنه بامته وصح النكاح فقال لها سيدها اذا مت فأنت حرة وقال لها الزوج اذا مات أبى فأنت طالق ثم مات الاب فهل وقع الطلاق أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الامة ان خرجت من الثلث عتقت ووقع الطلاق لمصادفة الطلاق حريتها وان لم تخرج من الثلث ولم تجز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لثبوت ملك الزوج فى جزء منها بالارث فيفسخ النكاح فلا يصادف الطلاق محلا وان أجازا لورثة ففيه خلاف مشهور *(مسئلة)* رجل وجبت عليه كفارة بعتق رقبة فاعتق عبدا قد سقطت خنصره وبنصره وبقية أعضائه سليمة فهل يجزئه ذلك عن كفارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الاصبعين الساقطتين ان كانتا من كف واحد فلا يجزئه ذلك عن الكفارة وان كانتا من كفين كل واحدة اصبع ساقطة فيجزئه ذلك *(مسئلة)* رجل طلق زوجته فشرعت فى العدة وعدتها بالشهور فلما انقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تمت عدتها على السلامة أم تعود تعتد بالاقراء ان اجيب فيها باحد القسمين مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كانت كبيرة آيسة وعاودها الدم بعد ما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر فقد مضت عدتها على السلامة ونكاحها باق وان جاءها الدم قبل أن تتزوج انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانها لا تنتقل الى الاقراء بكل حال *(مسئلة)* رجل طلق زوجته فى بيته فاعتدت فيه وأفلس الزوج فاراد الحاكم بيع البيت لوفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انها ان كانت معتدة بالحمل أو بالاقراء لا يجوز ذلك لجهالة المدة المستحق فيها السكنى وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة فى مدة الاجارة *(مسئلة)* رجل اشترى جارية ولم يطأها وأراد أن يزوجها قبل أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان قد اشتراها من امرأة أو من ولى صغير أو ممن كان قد استبرأها ثم باعها فيجوز وان كان قد اشتراها من رجل لم يستبرئها قبل البيع فلا يجوز *(مسئلة)* رجل له عبد مأذون

اشترى جارية واستبراها فاخذها السيد لنفسه هل يحتاج الى استبراء آخر ام يكفى الاستبراء الاول فى يد العبد ان اجيب فيها باحد الشقين مطلقا فهو خطأ والصواب ان العبد ان لم يكن عليه دين لغريم لم يحتج الى استبراء جديد وان كان عليه دين يقضيه ويلزمه أن يستبرئها لنفسه ولا يكفيه الاول لوجود تعلق الدين فاذا زال التعلق بالقضاء احتاج الى تجدد الاستبراء *(مسئلة)* رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولاخيه زوجة لها لبن فارضعت زوجته الصغيرة خمس رضعات فهل ينفسخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان اللبن لاخيه انفسخ نكاح الصغيرة لانها صارت بنت أخيه فحرمت وان كان لغيره فلا ينفسخ نكاحها فان كونها ربيبة لاخيه لا يوجب الفسخ (مسئلة) رجل له زوجة وهو معسر ولها عليه نفقة فرضيت بالمقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا ان اجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الزوجة ان كانت حرة جاز ذلك وان كانت أمة لا يجوز اذ الحق فى الخيار لسيدها دونها

## *(مسائل الجنايات)*

(مسئلة) رجل وجب له القصاص على رجل فى نفسه فاحضره ليقتله قصاصا فهل له أن يعفو عن قتله على مال أم لا ان أجيب بالاثبات أو بالنفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان القاتل عبدا لرجل فقتل عبدا آخر لسيده فقد وجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصا ولا يجوز أن يعفو عنه على المال لتعذره لان السيد لا يجب له على عبده مال وان كان رجلا قد قطع عضوا من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالذكر والانف واليدين وما أشبه ذلك فاقتص المقطوع من القاطع ثم بعد ذلك سرى القطع الى نفس المجنى عليه فصار القطع قتلا فقد وجب القصاص فى نفس الجانى فللمولى أن يقتله قصاصا ولو أراد أن يعفو عنه على مال لم يجز فان أرش العضو يدخل فى دية النفس فلا يجب له شئ بعدها وان كان القاتل غير ذلك فله أن يعفو على مال (مسئلة) رجل وجب عليه القصاص فى نفسه فمات قبل استيفاء القصاص منه وله تركة فهل لولى الدم أن يأخذ الدية من تركته عوضا عن القتل الذى فات بموته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات او النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الذى وجب عليه القصاص ومات ان

كان قد قطع عضوا معا بلا بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولى عضو الجانى المماثل للعضو الذى قطعه ولم يمت بقطعه فله أن يقتله قصاصا فاذا مات قبل أن يقتله قصاصا فليس له أن يرجع الى تركته بالدية وهى من الغرائب وان لم يكن الذى وجب عليه القصاص بهذه الحالة فللولى أن يرجع بالدية فى تركته عند تعذر استيفاء القصاص فى نفسه بالموت (مسئلة) اذا دخلت طائفة من غزاة المسلمين دار الحرب وأسروا وغنموا وكان فى الاسارى أسير له زوجة فى عقد نكاحه فهل ينفسخ فى الحال نكاحها أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الاسير ان كان بالغا لم ينفسخ فى الحال لجواز أن الامام لا يرى استرقاقه وان كان صغيرا غير بالغ انفسخ فى الحال لانه بنفس الاسر يصير رقيقا فينفسخ فى الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل دار الحرب وأهله بها كفار فاسر أبويه وأولاده واختار تملكهم فهل يعتقون عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان أباه والبالغين من ذكور أولاده لا يعتقون عليه لان الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والمن فلا يثبت فى الحال لهذا المسلم الذى أسرهم ملك يحصل به العتق وأما أمه وبناته والصغار من ذكور أولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أخماسهم بالملك ابتداء والخمس الباقى بالسراية ويقوم عليه هذا ان كان موسرا وان كان معسرا عتق عليه منهم أربعة أخماسهم وبقى الخمس الآخر منهم رقيقا لاهل الخمس (مسئلة) اذا رمى فى المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أو لغيره والشرط اصابة الغرض فاصاب برميه فوق السهم الثابت فى الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتد به أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان بين فوق السهم المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولا يعتد به لا له ولا عليه لاحتمال الاصابة وعدمها لولا السهم وان لم يكن بينهما مسافة السهم بل قدر قريب بان كان قد نفذ فى الغرض وبقى فوقه لا غير حسب له ذلك واعتد به اذ لولا الفرق لاصاب الغرض * فهذه ستون مسئلة مستخرجة من فوائد أهل التحصيل يحتاج المسؤل عنها فى اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب على الاطلاق اثباتا أو نفيا فقد ضل فيها عن سواء السبيل * وحيث تم النوع الاول فلنردفه بالنوع الثانى وهو أكمل منه حسنا وأشمل معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيه الا من

صرف الى اكتساب العلم قلباوفكراوذهنا وهذا النوع على الخصوص كان السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة فى عمر المولى السلطان الملك الناصر قد جعل استعماله له واعتناءه به من جملة الاوراد اذا اورده عليه فضلاء البلاد وحضر لديه فى أيام المواسم والاعياد جموع المحافل وعظماء الوراد فيسألهم من هذه المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليرعاهم بقدره وينزل كلا منهم فى رتبة استحقاقه من اكرامه وبره ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين خبره وخبيره ولعمرى ان النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية الصلاحية أفاض الله عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عباده المتقين وان كانت بصفاء جوهرها وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به من تمام اليقظة وقوة الفطنة وجودة القريحة وذكاء الفطرة لاتحتاج الى ذكر مسائل يميز بها بين من دلاه هواه بغروره فهو لابس ثوبى زور وبين من خصه الله من مشكاة الانوار بنور على نور لكن الاقتداء بمستحسنات السلاطين السالفين معدود من السنن والاقتفاء لآثارهم الحميدة من الفعل الحسن فأثبت لمعة فى هذا الكتاب المبارك من هذا النوع من تلك المسائل ليكون فى الخدمة السلطانية بحيث يقف عليها ويجعلها ذريعة الى الاختبار وان كان مع نظره الشريف لايحتاج اليها واقتصرت منها على القدر القليل حذرا من التطويل وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيأ من التعليل

## ﴿ مسائل أخرى ﴾

(مسئلة) رجلان خرجا ليتصيدا فوجدا صيدا فقصداه ورمياه بسهميهما على التعاقب أحدهما بعد الآخر فجرحاه ومات بعد ذلك فما الحكم فهذه صورة المسئلة مع قلة لفظها وسهولة صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب فيها يتحرر بالنظر فى ثبوت الملك فى الصيد لمن حصل منهما وفى أكله هل يحل أم لا وفى الضمان هل يجب لاحدهما على الآخر أم لا وفى مقدار ما يجب من الضمان * والصواب فى ذلك أما ثبوت الملك فى الصيد فان كان الاول لما رماه جرحه وما أزمنه وبقى على ما كان عليه من الامتناع والثانى برميه أزمنه وأزال امتناعه فان الثانى ملكه دون الاول وان كان الاول أزمنه وأزال امتناعه دون الثانى كان للاول وان حصل الازمان وزوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فقد

ذهب بعض الاصحاب الى أنه يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك الثانى دون الاول لحصول الازمان عقيب رمى الثانى ولم يحصل عقيب رمى الاول والملك تابع للازمان فان اختلفا وقال كل واحد منهما أنا أزمنته بجراحتى فهو ملكى ووقع الشك فى جراحة الاول هل أزمنت الصيد وأثبتته أم لا فالقول قول الثانى ويكون له لان الاصل بقاء امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم الملك * وأما حكم الاكل فان كان الرامى الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة المذبوح ولم يؤثر فيه جرح الرامى الثانى فانه يحل أكله وان كان قد أزمنه وما أوصله الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة فرمى الثانى ان كان قد أصاب بالسهم مذبحه فانه يحل أكله لكونه صار مذبوحا وان كان لم يصب بالسهم مذبحه بل جرحه فى غير المذبح فازهقه فمات به فقد قال الشافعى رضى الله عنه انه يحرم أكله لانه صار مقدورا عليه فصار حل أكله متوقفا على ذبحه ولم يذبح فاذا مات لم يحل وكذلك لو مات من الجرحين الاول والثانى فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليل * وأما وجوب الضمان ومقدار ما يجب ففى الصورة التى ملكه الثانى دون الاول لا يجب على الرامى الاول للثانى شئ لانه رماه وهو مباح لا حق فيه للثانى وفى الصورة التى صيره الاول فيها برميه وجرحه الى حالة المذبوح وملكه فرمى الثانى وجرحه قد صادف ملك الاول فان كان برميه نقص شئ منه بان مزق الجلد فنقص أو أفسد شيأ من اللحم فوجب عليه للاول ضمان ما نقص وفى الصورة التى أزمنه الاول بجرحه ولم يوصله الى حالة المذبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففى الحالة التى أصاب الثانى برميه مذبحه فذبحه يجب على الثانى للاول ضمان ما بين قيمته مزمنا ومذبوحا لانه ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفى الحالة التى أصاب الثانى بجرحه غير المذبح فمات منه بان كان مزهقا فيجب عليه للاول جميع قيمته مجروحا وفى الحالة التى مات فيها من الجرحين الاول والثانى فانه يجب على الثانى للاول لكونه جانيا على ملكه ويختلف مقدار ما يجب على الثانى من الضمان باختلاف حال الصيد وقت موته فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال قيمته مجروحا لان فعل الاول كان سبب حل الصيد فلا حكم للسراية وفعل الثانى وقع مفسدا فيتعلق به وجوب القيمة هذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تمكن مالكه من ذبحه فلم يذبحه حتى مات من الجرحين فقد اختلف أقوال الاصحاب فى مقدار ما يجب على الثانى للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه

نصف قيمته لان موته من سرايه جرحين أحدهما مباح والآخر حرام فيخصه النصف وذهب بعضهم وهو اختيار أبي سعيد الاصطخري الى أنه يجب عليه كمال قيمته مجروحا لانه برميه أتلفه فضمنه وقد بنى الاصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من التعرض لذكرها وتفصيل حكمها فانها من المسائل الحسنة و بها ينكشف مقدار ما على الثانى من الضمان وهى أن نفرض أن الجرحين صدرا فى صيد مملوك لانسان فمات من سرايتهما فان الضمان يجب عليهما فينظر الى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان فنسقطه فى مسئلتنا لكون الرامى الاول فى مسئلتنا كان فعله مباحا والى ما يختص بالثانى و يخصه فنوجبه على الرامى الثانى فى مسئلتنا فنقول صيد مملوك لرجل قيمته عشرة دراهم رماه رجل فجرحه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته الى تسعة دراهم ثم رماه رجل آخر فجرحه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من الجرحين فاختلفت الاقوال من الاصحاب فى هذه المسئلة على خمسة أوجه (الاول) وهو اختيار المزنى رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثانى خمسة دراهم ووافقه أبو اسحق المروزى رحمه الله فى الحكم وخالفه فى التعليل وهذا بعيد لتفاوت القيمتين وقت الجناية (الثانى) أنه يجب على الاول نصف العشرة وعلى الثانى نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه من تضييع شئ من حق المالك (الثالث) وهو اختيار القفال رحمه الله أنه يجب على الاول نصف العشرة ونصف وعلى الثانى خمسة واعتبر موجب الجناية والسراية وهذا الوجه أيضا مدخول لما فيه من الزيادة على القيمة (الرابع) وهو اختيار أبى الطيب بن سلمة رحمه الله أنه جمع ما علمهما من الارش والسراية فكان عشرة ونصفا والمالك لا يستحق الزيادة فنقسم القيمة وهى العشرة على الواجب وهو عشرة ونصف فجعل على الاول منها خمسة أسهم ونصف سهم من عشرة ونصف من العشرة وعلى الثانى خمسة أسهم من عشرة ونصف سهم من العشرة جمعا بين الامرين وهذا وجه أيضا مدخول لما فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية (الخامس) وهو اختيار صاحب التقريب واختاره امام الحرمين رحمه الله تعالى أن على الثانى أربعة ونصفا لا غير وعلى الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا الى الموات لولا الثانى فاذا تعذر تقديره على الثانى بقى على الاول وهذا أقرب الوجوه فاذا ظهرت الاقوال فى هذه المسئلة فمثلها فى مسئلتنا فكل ما اختص بالاول فى هذه المسئلة سقط فى مسئلتنا وكل

ما اختص بالثاني وجب في مسئلتنا على الثاني للاول ﴿مسئلة﴾ اخوان تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج الآخر بصغيرة لا تحتمل الوطء ثم ان كل واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالتي كانت زوجة أخيه ثم ان الكبيرة أرضعت الصغيرة خمس رضعات فهل النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح الكبيرة وحدها أم ينفسخ نكاح الصغيرة وحدها ﴿الجواب﴾ أن النكاحين ينفسخان أما الكبيرة فان نكاحها انفسخ لانها صارت من أمهات النساء بسبب الصغيرة التي كانت امرأة زوجها وصارت الكبيرة حراما على الاخوين على التأبيد لا يجوز لاحدهما أن يتزوج بها لانها أم امرأة كل واحد منهما وأما الصغيرة فانفسخ نكاحها لانها صارت ربيبة له فانها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأبيد ﴿مسئلة﴾ رجل تزوج بامرأة كبيرة وثلاث صغائر وللكبيرة لبن فارضعت الكبيرة زوجاته الصغائر الثلاث لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب ولبن الكبيرة المرضعة ليس من الزوج فهل ينفسخ نكاح الثلاث أم لا ينفسخ منه شيء أم ينفسخ نكاح البعض دون البعض فما الحكم ﴿الجواب﴾ أنه ينفسخ نكاح الكبيرة ونكاح التي أرضعتها أولا لانه صار جامعا بين الام وبنتها وأما نكاح المرتضعة الثانية من الصغائر فان كانت الكبيرة المرضعة قد دخل بها الزوج انفسخ أيضا لانها بنت امرأة مدخول بها فهي ربيبة وكذلك نكاح الثالثة أيضا ينفسخ لكونها ربيبة لمدخول بها وان لم يكن الزوج قد دخل بها لم ينفسخ نكاح الثانية لانها لما أرضعتها كانت بائنة منه فلم يصر جامعا بينهما وأما الثالثة فقد صارت أختا للبائنة فبطل نكاحها بارضاعها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف ووجه انفساخه أن الاخوة بينهما ثبتت عند ارتضاع الاخيرة دفعة واحدة فدفعت النكاح كما لو أرضعتهما دفعة واحدة ووجه أنه لا ينفسخ أن الحرمة تحدث عند ارضاع الثالثة فخصها كما لو عقد على أخت زوجته فان الثانية تختص بعدم انعقاد نكاحها ويبقى نكاح زوجته فكذلك هذا ﴿مسئلة﴾ رجل له ثلاثة أولاد لهم عليه مال فطالبوه ليقر لهم به فأقر لهم وقال للكبير عليّ ألف درهم الا نصف ما للاوسط وللاوسط على ألف درهم الا ثلث ما للاصغر وللاصغر على ألف درهم الا ربع ما للاكبر فكم جملة مالهم عليه وكم مقدار مال كل واحد منهم ﴿الجواب﴾ أما جملة المال الذي أقر لهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما مال كل منهم فان الكبير

له ستمائة درهم وأربعون درهما والاوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهما والاصغر له ثمانمائة درهم وأربعون درهما وبيان صحة ذلك أنه اذا أسقط من الالف نصف ما للاوسط ونصف الذي للاوسط ثلثمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهما وهي التي للاكبر واذا أسقط من الالف ثلث ما للاصغر وثلث ما للاصغر هو مائتان وثمانون درهما تبقى سبعمائة وعشرون وهي التي للاوسط واذا أسقط من الالف ربع ما للكبير وربع الذي للكبير مائة وستون يبقى ثمانمائة وأربعون وهي التي للاصغر فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل فيها فهو أن تؤخذ مخارج الكسور التي ذكرها في الاستثناء وهي مخرج النصف وهو اثنان ومخرج الثلث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الاول وهو اثنان في الثاني وهو ثلاثة تكون ستة ثم في الثالث وهو أربعة تكون أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ الجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو الربع من الاربعة فتضرب الاجزاء الثلاثة بعضها في بعض وهي من كل مخرج واحد فتضرب واحدا في واحد ثم المرتفع من ذلك في واحد فلا يرتفع من الجميع غير واحد فيزاد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخارج أولا وهو أربعة وعشرون فيصير الجميع خمسة وعشرين وهي المقسوم عليه فيحفظ لاجل القسمة ثم يؤخذ ما بقي من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب في مخرج الثلث وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب في الجزء المستثنى من الثلث وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على تلك الثلاثة فيصير أربعة فيضرب في مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب في الالف فيكون ستة عشر ألفا فيقسم على الخمسة والعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون وهو المقدار الذي للكبير ثم تعمل في الآخر كذلك فيؤخذ الباقي من مخرج الثلث بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه وهو اثنان فيضرب في مخرج الربع وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد فيضرب في الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على الثمانية فتصير تسعة فتضربها في مخرج النصف وهو اثنان فتكون ثمانية عشر فيضرب في الالف فتكون ثمانية عشر ألفا فتقسم على الخمسة والعشرين المحفوظة فتخرج

سبعمائة وعشرون وهو المقدار الذى للاوسط ثم يؤخذ الباقى من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقى منه ثلاثة فيضرب فى مخرج النصف وهو اثنان تكون ستة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيضرب فى الجزء المستثنى من الاثنين وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على الستة فتصير سبعة فيضرب بها فى مخرج الثلث وهو ثلاثة فتكون احدى وعشرين فتضرب فى الالف فتصير أحدا وعشرين ألفا فيقسم على الخمسة والعشرين المحفوظة فتخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذى للاصغر (مسئلة) خمس رجال تطهروا للصلاة وجلسوا فى بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم أن يكون هو الذى أحدث ثم ان كل واحد منهم صلى اماما بالباقين فى صلاة واحدة من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الائمة الجميع والمأمومين ام بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الائمة وبطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين وبطلت صلاة الائمة أم صحت صلاة البعض وبطلت صلاة البعض (الجواب) ان صلاتهم جميعهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للائمة والمأمومين ولا اعادة عليهم ولا على واحد منهم فى شئ منها لجواز أن يكون الحدث المسموع من الامامين الباقيين فى المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهى صلاة المغرب فلا اعادة فيها على واحد منهم الا على من أم فى الصلاة الخامسة لانه لما نفى الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل فى الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث الى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثه لزمته الاعادة وأما الصلاة الخامسة وهى العشاء فالاعادة فيها واجبة على المأمومين الاربعة لانهم أضافوا الحدث الى الخامس وهو الامام فيها ولا اعادة على الامام فيها وانما لزمته اعادة الرابعة التى كان مأموما فيها وهذه من مستحسنات المسائل فرعها الاصحاب على مسئلة فى اشتباه الماء الطاهر والنجس فى الاوانى اذا اجتهد فيها جماعة وهى من المسائل المشهورة بين العلماء (مسئلة) رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والاخرى زينب فنادى احداهما فقال يا هند أنت طالق ثلاثا مع زينب وقال ما كان فى نيتى الاطلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا واذا لم يقبل دعواه فكم يقع على كل واحدة ثلاث طلقات أم طلقتان ﴿ الجواب ﴾ انه يقبل دعواه فى أنه لم يرد بالطلاق الا هندا واذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلا ويقع الطلاق الثلاث على هند دون الاخرى

﴿مسئلة﴾ رجل مات وخلف ورثته المستحقين لميراثه بنته وبنت ابنه وأخته لابويه وأمه فاقتسموا الميراث بينهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وللام السدس والباقي للاخت المذكورة ثم أقر انسان وقال لورثة فلان ألف درهم على فقالوه وقبضوها منه ومات عقب دفعها فكيف تقسمها بينهن وكم يكون لكل واحدة منهن منها (الجواب) نص الشافعي رضي الله عنه على حكم هذه المسئلة وقال يقسم المقربه بين الورثة المقرلهم بالسوية ويكون ذكر ذلك صفة تعريف ولا يكون مقسوما على المواريث فيصرف الى كل واحدة من النسوة الاربع ربع الالف المقربها (مسئلة) مات انسان وخلف مالا فأخذ ورثته يقتسمون التركة فجاءت اليهم امرأة حبلى وقالت لا تقتسموا فاني حامل فان وضعت بنتا ورثت هي وأنا وكانا شركا كم في التركة وان وضعت ابنا لم يرث هو ولا أنا وان وضعت بنتين ورثنا كلا وان وضعت بنتا وابنا لم يرث منا أحد فمن كانت هذه الحبلى من الميت ومن هم الورثة (الجواب) ان هذه الحبلى بنت ابن ابن الميتة وصورة المسئلة امرأة ماتت لها زوج وأب وأم وبنت ولها بنت ابن ابن مزوجة بابن ابن آخر لها مات عنها وتركها حبلى وهي هذه التي قالت لهم لا تقتسموا فلزوج الميتة الربع ولبنتها النصف ولابويها لكل واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتا ورثتا كلتاهما السدس بينهما تكملة للثلثين لانهما في درجة واحدة فانهما ينسبان الى الميتة بانهما بنتا ابني ابنيها وتعول المسئلة الى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنت ستة وللاب سهمان وللام سهمان ولهذه الحبلى سهم واحد ولبنتها سهم واحد وكذلك ان وضعت بنتين كان السدس الباقي بينها وبين بنتيها يتقاسمنه سواء وان وضعت ابنا أو ابنا وبنتا فلا شيء لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكر ولم يبق بعد الفروض شيء ليصرف الى العصبة (مسئلة) رجل مملوك له بنتان حرتان وله أب مملوك فاشترت البنتان أباهما اعتق عليهما وصار حرا ثم ان الكبرى من البنتين اشترت هي وأبوها جدها اعتق عليهما وصار الجميع أحرارا فمات أبوهما ثم مات جدهما فكيف تقسم تركة الجد بعد تركة الاب (الجواب) أما تركة الاب فلا اشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه للبنتين الثلثان وللاب الثلث الباقي وانما الاشكال في ميراث الجد وتفصيل الحكم فيه ان الجد قد خلف بنتي ابن فلهما الثلثان فرضا ويبقى من التركة الثلث وللكبرى الولاء على نصف الجد لانها

اشترت نصفه فلها نصف الثلث الباقي بولائها على النصف فيبقى السدس كان يستحقه مولى نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقه والبنتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصح المسئلة من اثني عشر سهما فلكل بنت منهما أربعة بحكم القرابة ثم للكبرى من الاربعة الباقية بحكم ولائها على الجد سهمان ثم السهمان الباقيان بينهما نصفان لكل واحدة سهم واحد فيصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم (مسئلة) عبد مملوك له ابن حر وبنت كذلك فاشتريا أباهما عتق عليهما ثم ان الاب اشترى عبدا وأعتقه ثم مات الاب فاكتسب العتيق مالا ثم مات كيف تقسم تركته وهذه من المسائل المشكلة حتى قيل انه غلط في جوابها وأخطأ في اصابة صوابها أربعمائة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا ما هو المتبادر الى فهم من لم تكن قدمه راسخة في التحقيق ولا لحظته العناية الربانية بعين التوفيق ان ميراث العتيق يكون بين الابن والبنت الذين اشتريا أباهما معتق هذا العبد فانهما معتقا معتقه فورثاه وهذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لانه عصبة المعتق وأما البنت فانها معتق المعتق ولا حق لمعتق المعتق مع وجود عصبة المعتق من النسب والابن عصبة المعتق دون البنت فكان الميراث له فهذه عشر مسائل كافلة بالمراد كافية في الغرض مع الاقتصاد

## ﴿ مسائل حسابيه ﴾

(النوع الثالث) في ذكر شيء يسير من المسائل التي يرتاض بذكرها الخاطر ويغتاظ منها المقصر القاصر تصلح لمطارحة من يتحلى بعقود الحساب ويتولى زعامة صدور الحساب (مسئلة) رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص اشتراها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لاوسطهم ان أعطيتني ثلاثة أخماس ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغر ان أعطيتني أربعة أسباع ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الاصغر للاكبر ان أعطيتني خمسة اثمان ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس دينارا وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير (الجواب) أما ثمن الفرس فانه كان ثلاثمائة دينار وأربعين دينارا وأما ما كان مع كل واحد منهم من الدنانير فان الكبير كان معه مائتا دينار وثمانية دنانير وكان مع الاوسط مائتا

دينار وعشرون دينارا وكان مع الاصغر مائتا دينار وعشرة دنانير واعتبار ذلك أنه اذا أخذ ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي مائة واثنان وثلاثون واضيفت الى ما مع الاكبر وهو مائتان وثمانية صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ خمسة أثمان المائتين والثمانية التي هي مع الاكبر وهي مائة وثلاثون وأضيفت الى ما مع الاصغر وهي مائتان وعشرة صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ أربعة أسباع المائتين والعشرة التي هي مع الاصغر وهي مائة وعشرون دينارا وأضيفت الى ما مع الاوسط وهو مائتان وعشرون صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهي ثمن الفرس وأما طريق استخراجها هو أن تضرب المخارج بعضها في بعض فتضرب خمسة في سبعة تكون خمسة وثلاثين ثم تضرب في ثمانية تكون مائتين وثمانين و يزاد عليها ما يرتفع من ضرب عدد الاخماس وهي ثلاثة في عدد الاسباع وهي أربعة ثم في عدد الاثمان وهي خمسة وذلك ستون فيصير الجميع ثلثمائة وأربعين وهو ثمن الفرس ثم يؤخذ من مخرج الخمس وهو خمسة فيعزل منه ثلاثة أخماسه و يضرب الباقي وهو اثنان من مخرج السبع يكون أربعة عشر فيزاد عليها عدد الاخماس مضروبا في باقي عدد الاسباع وهو اثنا عشر يصير ستة وعشرين فتضرب في مخرج الثمن تكون مائتين وثمانية وهو مقدار ما مع الاكبر ثم يلقى ذلك من ثمن الفرس فما بقي فهو ثلاثة أخماس ما مع الاوسط فيزاد عليه ثلثاه فما بلغ يكون ما مع الاوسط فتلقيه من ثمن الفرس فما بقي فهو أربعة أسباع ما مع الاصغر فيزاد عليه ثلاثة أرباعه فما بلغ يكون ما معه ( مسئلة ) ثلاثة أشخاص مسافرون معهم ما تزودوه في طريقهم من الخبز مع أحدهم ثمانية أرغفة ومع الآخر سبعة أرغفة ومع الآخر ستة أرغفة فرافقهم انسان لاخبز معه فلما كانوا أخرجوا الارغفة وهي أحد وعشرون رغيفا وأكلوها جميعهم أكلا على السواء فلما قاموا دفع اليهم الرجل الغريب أحدا وعشرين درهما وقال خذوا هذا عوضا عما أكلت من زادكم ثم فارقهم فكيف يقسمون الدراهم بينهم ﴿الجواب﴾ صاحب الارغفة الثمانية يأخذ أحد عشر درهما وصاحب السبعة يأخذ سبعة دراهم وصاحب الستة يأخذ ثلاثة وتحقيق ذلك ان كل واحد من الاشخاص الاربعة لما أكلوا على السواء يكون قد أكل خمسة أرغفة وربعا فيكون الضيف قد أكل هذا المقدار

مثل كل واحد منهم والذى فضل لصاحب الثمانية بعد أكله رغيفان وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب السبعة بعد أكله رغيف وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب الستة بعد أكله ثلاثة أرباع لاغير والدراهم المدفوعة فى مقابل الخمسة والربع التى أكلها فيكون فى مقابلة كل رغيف أربعة دراهم فاذا قسمت على ذلك كان لكل واحد منهم ما تقدم بيانه وهذا مطرد فى كل ما جانس هذه الصورة (مسئلة) رجل عليه خراج ملكه فاحضره مستخرج الخراج لاستيفاء ما بقى عليه منه فقال كم أديت من الخراج الواجب عليك فقال ثلث ما أديت وربع ما بقى وخمس جميع الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذى أدى وكم الذى بقى (الجواب) أما جميع الخراج فانه خمسة وخمسون وأما الذى أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذى بقى منه فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن يؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب فى مخرج الربع وهو أربعة يكون اثنى عشر فيسقط منه ما بين المخرجين وهو واحد يبقى أحد عشر فيضرب فى مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم يؤخذ المرتفع من ضرب مخرج الثلث فى مخرج الربع و يضاف اليه المرتفع من ضرب مخرج الثلث فى مخرج الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار الذى أداه من الخراج والباقى من الخراج هو ثمانية وعشرون (مسئلة) اذا أرسل السلطان فارسا بكتاب الى بلد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عرض مهم آخر اقتضى ان يلحق به أحدا فأرسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس ففى كم يوم يلحقه (الجواب) يلحق النجاب الفارس فى سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهى نصف يوم وربع يوم وثمن يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو خمسة عشر ويؤخذ الباقى منه وهو فى هذه الصورة ثمانية فتحفظ ليقسم عليها ثم يضرب سير الفارس فى عدد الايام التى قد سبق النجاب بها وهى تسعة أيام فتكون ثلاثة وستين فتقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع وثمن وهو الجواب (مسئلة) نجاب سير فى مهم الى بلد وأمر أن يسير فى ذهابه مسرعا كل يوم خمسة عشر فرسخا وفى عوده مستريحا كل يوم تسعة فراسخ فمضى وعاد فى عشرين يوما كم كان منها فى ذهابه وكم كان فى عوده (الجواب) كان ذهابه فى سبعة أيام ونصف وكان عوده فى اثنى عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ

ذهابه ومجيئه فيكون أربعة وعشرين فرسخا وهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ عوده في الايام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتكون مائة وثمانين فتقسم على الاربعة والعشرين المذكورة فيخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الايام كلها تكون ثلثمائة فتقسم على الاربعة والعشرين يخرج بالقسمة اثناعشر ونصف وهي عدد أيام عوده وبهذا القدر اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من انشوار المحاضرة فان هذا النوع من الانواع والاقسام بمنزلة الملح المستعمل في الطعام فقليله كاف ويسيره بالمطلوب شاف ولولا ذاك لاطال القلم لسانه في ايراد صوره المستغربة المعاني وتعداد مسائله المستعذبة المجاني فانه نوع لا يكاد يحصر غرائبه كاتب ولا يضبط عجائبه حاسب * ولما انتهى الكلام في هذا المقام الى آخر هذه المسائل الرياضية التي تنشط القرائح في استخراجها وتنبسط الخواطر لاستنتاجها فليكن ختامها زفاف بكر من خدره بكر اذا اتصلت بأرباب الاذهان والفطن نزلت من خواطرهم الصائبة في أرحج منزل وأفسح وطن وأماطت عن أبصار بصائرهم الصافية اعراض الاغراض ومعارضة الوسن فلا جرم هي لغيرهم فاطمة عن معارجها وعندهم والدة من نتائجها كل حسن وحسن وهي لمعة موضوعة لاستخراج معرفة أوائل الشهور في جميع السنوات وحكمة يستنبط بها دراية مواقيت الاهلة ومواسم الاوقات وفائدة يهدى اليها ويدل عليها ما نيط بها من الاسماء والصفات فالالقاب السلطانية دليلها وعلى الصفات الملكية الناصرية نعو بلها وفي خدمته العالية مقرها ومقيلها ومن خدمة المولى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف حسن تعريفها وتأصيلها فمن تأمل سرها بعين الدراية عرف رمزها ومن تحمل عنها طالب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول لايضاحها وبه بيان مفتاحها ولما كانت الحاجة داعية الى معرفة أوائل الشهور والمواسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسفة من ملابس الغيوم بما يحول بين الاهلة وبين الناظرين اليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول ازالة الارتياب وسكون النفس عما يخامرها من الاضطراب

وكيفية العمل به أن يؤخذ جميع سني الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول أشهرها ومواسمها فيسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى أن يبقى

أقل من مائتين وعشرة فتنظر في جدول الاعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الاحاد بجانب الجدول من يمينه طولا فيه العشرات وأعلى الجدول فيه الاحاد والاحاد من الواحد الى العشرة والعشرات من العشرة الى المائتين وعشرة فتنظر الى المقدار الباقي بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع اصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات واصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الاصبع في السطر الذي بازاء تلك العشرة عرضا وتنزل الاصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولا فحيث التقت الاصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول الثاني المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم أو الصفة المحفوظة أولا فاذا ظهر في أعلى الجدول فتوضع الاصبع عليه ثم تنزل في السطر الذي تحته الى محاذاة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أو معرفة يومه ان كان موسما فما كان في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة أول شعبان من سنة أربع وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعا على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها ووضعت أصبعا على الاربعة ثم نزلت الى محاذاة العشرة الواحدة التقت الاصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر في جدول الاشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الايسر من السطر الاعلى منه فتوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائما فافهم ذلك تجده صحيحا

| الاعداد / آحاد عشرات | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عشرة | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر |
| عشرين | المولى | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين |
| ثلاثين | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة |
| اربعين | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر | السلطان |
| خمسين | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الناصر |
| ستين | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين |
| سبعين | السلطان | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة |
| ثمانين | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى | يوسف | السلطان | خدمة | الناصر | السلطان |
| تسعين | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك |
| مائة | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين |
| مائة وعشرة | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين | الملك | خدمة |
| مائة وعشرين | الناصر | المولى | يوسف | الناصر | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى |
| مائة وثلاثين | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين | الملك |
| مائة وأربعين | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف | الناصر | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة | صلاح الدين |
| مائة وخمسين | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان | يوسف |
| مائة وستين | الناصر | المولى | صلاح الدين | الملك | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى |
| مائة وسبعين | صلاح الدين | الملك | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | الملك |
| مائة وثمانين | خدمة | الناصر | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر |
| مائة وتسعين | السلطان | يوسف | الملك | المولى | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف |
| مائتين | الملك | المولى | يوسف | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك | المولى |
| مائتين وعشرة | صلاح الدين | السلطان | خدمة | الناصر | المولى | يوسف | الملك | خدمة | صلاح الدين | السلطان |

| أسماء الشهور | خدمة | المولى | السلطان | الملك | الناصر | صلاح الدين | يوسف |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| المحرم | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت |
| عاشوراء | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين |
| صفر | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد |
| ربيع اول | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء |
| ربيع آخر | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس |
| جمادى الاولى | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه |
| جمادى الاخرة | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد |
| رجب | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين |
| شعبان | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء |
| النصف | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء |
| رمضان | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس |
| شوال | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت |
| ذوالقعدة | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد |
| ذوالحجه | الاربعاء | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء |
| الوقفه | الخميس | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء |
| عيدالاضحى | الجمعه | السبت | الاحد | الاثنين | الثلاثاء | الاربعاء | الخميس |

﴿ خاتمة الكتاب وهى الدعاء ﴾

وحيث تجزت مقاصد الفوائد السالفة وتحررت أنواع هذه القاعدة المستقلة واشتقت أبوابها ومعاقدها على فنون من المعانى التالدة والطارقة وجمعت من مهمات الصفات ومهمات الولايات ماقامت بحقه فيه فصاح الالسن الواصفة وآن اختتامه وانتظم تمامه وتم انتظامه أبرم حاكم الاخلاص حكما لايسع نقضه وحكم بما لايسوغ تركه ورفضه وألزم مايقدم فى شريعة الموالاة واجبه وفرضه وهو التنبيه على الذريعة الموصلة الى الله تعالى عند السؤال والطلب والوسيلة الكافلة ببلوغ الارب فى العاجلة والمنقلب والاشارة الى مايقتاد القلوب الى الله تعالى بأزمة الرغب والرهب ويستميل النفوس الى اكتساب السعادة الابدية التى ينجو من فاز بها من العطب فرأيت ذلك من أنفذ الاحكام وأنفس الاقسام وأنفع ماجرت به حركات الاقلام فجعلت اسنى هذه الاسباب خاتمة الكتاب وأسمى منازلها الرحاب منتهى القواعد والابواب فانه اذا عرضت أقسام الكلام على الافهام ورصعت جواهر الحكم والاحكام فى سلك النظام كانت هذه الخاتمة أحلاها وكذا العادة أن بالحلواء ختام الطعام وهو الدعاء الذى هو سر عبادة الصالحين وبالتمسك بعروته تدرأ خلاف مطالب المجتهين وباقامة أوراده تربح صفقة المفلحين فكم من داع سعد ببركة الدعاء وكم من ناج كفاه الله بدعائه شر البلاء وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف مادعا به من الاسماء وقد أمر الله تعالى عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة وأخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بان لكل مؤمن فى كل يوم دعوة مستجابة وأنزل فى الكتاب العزيز وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولن يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم وقدره جسيم فمن رغب فى خير من خيرات الدنيا والآخرة أو رهب من شر من شرور الدنيا والآخرة فليتضرع الى الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله ويدعه

باخلاص نية وطهارة عقيدة في أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه أو يغفر له ذنوبه فان الله تعالى أكرم من أن يخيب أمل عبده فيه وقد أخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وهذه أدعية مأثورة مختارة من الدعوات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصرت على هذا المقدار منها

(فمن ذلك) ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع قولي اللهم اني أسألك من الخير كله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه ومالم أعلم اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم اني أسألك من خير ما سألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت لي من أمر فاجعل عاقبته لي رشدا (ومن ذلك) الدعاء الذي ألقاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن عباس رضي الله عنهما وهو * يامن أظهر الجميل وستر القبيح يامن لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ياعظيم العفو ياحسن التجاوز ياواسع المغفرة ياباسط اليدين بالرحمة يامنتهى كل شكوى ياصاحب كل نجوى ياكريم الصفح ياعظيم المن يامبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يارباه ياسيداه يامولاه ياأملاه ياغاية رغبتاه أسألك ياالله أن لا تشوه خلقي بالنار (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله الذي لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك الا غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يصبح وحين يمسي حتى فارق الدنيا اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في ديني ودنياي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ومن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبتي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها

رشدي وتعصمني به من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي ولا أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خليقتك فاني أرغب اليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك من أحبك من الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وأما اسم الله الاعظم والاسماء الحسنى التي ما سئل بها الا أعطى ولا دعي بها الا أجاب وما قيل في ذلك فقد ذكرت تلخيص ما قيل فيه وفصلت تلك الاسماء الحسنى على ما وردت في الحديث المروي من طريق الترمذي رحمه الله في المختصر المؤلف في ذلك المسمى بزبدة المصنفات في الاسماء والصفات وفيه غنية وبلاغ عن اعادته ولكن نردف هذه الدعوات المذكورة والروايات المأثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة ودعاء الحاجة فانهما دعاآن مشهوران لهما أبلغ المسعى مخصوصان بذلك نقلا ووضعا مناسبان لما جعلا له عقلا وشرعا (أما الاستخارة) فقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال وعاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته (وأما الحاجة) فقال عبد الله ابن أبي أوفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له الى الله تعالى حاجة أو الى

أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين

﴿تنبيه﴾ لما كان الدعاء والتضرع الى الله تعالى مثمر وطابرقة القلب وصفاء الباطن وطهارة النفس واخلاص النية وصحة القصد وذلك لا يحصل الا بتبصرة وذكرى فانه لا يستراب في ان تذكير القلوب بايام الله وتخويف النفوس من الوقوف بين يدي الله يكسبوها من الرقة والصفاء ملابس الاسعاد ويبعثها على الاستعداد لسلوك سبل الرشاد ويوقفها لاحتقان الزاد ليوم المعاد يوم ما لها من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد * وقديما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل هذا لما ولي الخلافة ان أول من أيقظني مزاحم وكان هذا مزاحم مولى لعمر قال عمر حبست رجلا فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه فكلمني مزاحم في اطلاقه فقلت ما أنا بمخرجه حتى أبلغ به أكثر مما عليه فقال لي مزاحم يا عمر بن عبد العزيز اني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كدت أنسى اسمك مما أسمع قال الامير وفعل الامير وصنع الامير فوالله ما هو الا أن قال ما قال فكأنما كشف عن وجهي غطاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فان الذكرى تنفع المؤمنين * فهذا ما أوردت من الالفاظ المرققة للقلوب والكلمات المرغبة للنفوس في اجتناب الذنوب والاذكار التي بها أيقظ الصالحون قلوب الخلفاء والعظماء بحكم الوجوب ما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للمتقين وفيه ان شاء الله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فمنه قول سعيد بن عامر لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه قال أجل قال اخش الله تعالى في الناس ولا تخش الناس في الله ولا يخالف قولك فعلك فان خير القول ما صدقه الفعل وأحبب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك وخص العناية بالحق حيث علمته ولا تخف في الله لومة لائم قال عمر رضي الله عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب في عنقه مثل ما ركب في عنقك * ومنه قول خولة بنت حكيم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

من المسجد ومعه الجارود العبدي فاذا امرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر رضي الله عنه فردت عليه السلام وقالت هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجارود هيه اجترأت على أمير المؤمنين فابكيته فقال عمر دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر والله أحق أن يسمع قولها فانها هي التي أنزل الله في حقها الما جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي من زوجها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله * ومنه قول أبي بكرة وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يمضي عليك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك حد لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ الحد وما أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كلنا زائل وسنصير الى ما هو باق في الآخرة ان خيرا فخير وان شرا فشر وما ربك بغافل عما تعملون * ومنه قول أبي حازم لسليمان بن عبد الملك قال ابن أبي كثير لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأتاه فقال له يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال فأين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل الى أن تصلح الاعمال قال تقسمون بالسوية وتعدلون في القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا كان آخره أن قال له سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك الي قال نعم تزحزحني عن النار وتدخلني الى الجنة قال سليمان ليس ذلك الي قال هذه حاجتي قال فادع لي قال اللهم ان كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان من أعدائك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف * ومنه ما رواه الزهري قال نظر سليمان بن عبد

الملك الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواه فقلت يا أمير المؤمنين هذا طاووس اليماني وقد أدرك عدة من الصحابة فارسل اليه سليمان فأتاه فقال عظني محدثنا فقال حدثني أبو موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون الخلق على الله من ولي من أمر المسلمين شيأ ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام في مجلس من مجالس قريش ثم قال ان لكم على قريش حقا ولقريش على الناس حق ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا فمن لم يفعل ذلك لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني ابن عباس رضي الله عنه أن آخر آية نزلت من كتاب الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركه طاووس وانصرف * ومنه ما رواه المدائني قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لسليمان بن عبد الملك ان بالباب رجلا يطلب الدخول فقال أدخله فدخل فقال له سليمان من الرجل فقال من عبد القيس بن قصي واني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام وان كرهته فان من ورائه ما تحب ان قبلته فقال قل يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال باعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حربوا الآخرة وعمروا الدنيا فهم حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الامانة تضييعا والامة خسفا وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي انك لقد سللت علينا لسانك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة في ذات نفسك لتقضى فقال أما خاصة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله دره ما أشرف أصله وأجمع قلبه وأذرب لسانه وأصدق نيته وأورع نفسه هكذا فليكن الشرف والعقل * ومنه ما كتبه الحسن البصري رحمه الله الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما بعث اليه يقول له ذكرني بما أنتفع به وأوجز فكتب اليه أما بعد فلو كان لك يا أمير المؤمنين عمر نوح وملك سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان فان أمامك هول الموت ومن ورائه

داران ان أخطأت هذه صرت الى هذه وهى الجنة والنار فاعمل لذلك والسلام * ومنه
ماروا ه رياح بن عبيدة قال كتب عمر بن عبد العزيز الى طاووس كتابا يسأله عن
بعض ما هو فيه فأجابه بكلمات يسيرة ولم يزده عليها فلما رأت عمر أتاه كتاب أعجب
اليه منه كتب اليه سلام عليك يا أمير المؤمنين فان الله تعالى أنزل كتابا وأحل فيه حلالا
وحرم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فاحلل يا أمير
المؤمنين حلاله وحرم حرامه وتفكر فى أمثال الله تعالى واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه
واعتبر بامثاله والسلام عليك * ومنه قول محمد بن كعب وقد دخل على عمر بن عبد
العزيز رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق خرج منها
ناس بما ضرهم وخرج منها ناس بما نفعهم وكم من قوم غرهم منها مثل الذى أصبحنا
فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم أخذوا منها لما أحبوا من
الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة واقتسم ما جمعوه من لم يحمدهم وصاروا الى من لم
يعذرهم فاتق الله يا أمير المؤمنين وانظر الى ما تحب أن يكون معك اذا قدمت الى
ربك عز وجل فافعله والذى تكرهه فاتركه وافتح الابواب وسهل الحجاب وانصر
المظلوم ورد الظالم واعلم ان ثلاثا من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله عز وجل
من اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا
قدر لم يتناول ما ليس له خذها كافية نفعك الله بها ثم قام وخرج * ومنه قول
زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين
أخبرنى عن رجل له خصم ألد كيف حاله قال سيئ الحال قال فان كانا
خصمين ألدين قال ذلك أسوأ لحاله قال وان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه عيش قال
والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد الا وهو خصم لك عند الله تعالى يطالبك
ان قصرت فى حقه فبكى عمر حتى رق له من حضر * ومنه ما رواه عثمان الخراسانى
قال قال أبى كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبى رباح سيد
فقهاء الحجاز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا ههنا ههنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته
وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له هشام ما حاجتك أبا محمد فقال
يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم
فيهم عطاءهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لاهل المدينة
وأهل مكة بعطائهم وأرزاقهم معجلا ثم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل

العرب وقادة الاسلام تردفضول صدقاتهم فيهم قال نعم ياغلام اكتب بان تردفيهم فضول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غيرهذا قال نعم اتق الله ياأمير المؤمنين فى نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك لاوالله مامعك من هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحد ينفعك فأكب هشام يبكى وقام عطاء فلما كان عند الباب وانامعه اذ برجل قد تبعه بكيس ما أدرى فيه دراهم أم دنانير وقال ان أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال قل له لاأسألكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين ثم خرج والله ماقبل لهم شيأ * ومنه ماقاله الاوزاعى قال كنت بالساحل فبعث الى المنصور فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة ردّ على وأجلسنى وقال ماالذى أبطأبك ياأوزاعى عنا قلت وماالذى تريد ياأمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قلت فاياك ياأمير المؤمنين أن تسمع شيأ ولم تعمل به فصاح بى الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لامجلس عقوبة قال الاوزاعى فقلت ياأمير المؤمنين حدّثنى مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ياأمير المؤمنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لايبقى لك كمالم يبق لغيرك ياأمير المؤمنين جاء عن جدك ابن عباس فى هذه الآية ماله هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الكبيرة القهقهة والصغيرة التبسم فكيف بما عملته الايدى وحصدته الالسن ياأمير المؤمنين بلغنى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لوماتت شاة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك فاخذ المنصور المنديل ووضعه على وجهه وبكى وانتحب الى أن رحمته ثم قلت ياأمير المؤمنين ان أشدّ الشدّة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتى لك ياأمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فقال لى الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى فقال قد أذنت لك وشكرت نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلاتخلنى من مطالعتك اياى بمثلها فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر له المنصور بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنية عنه وما كنت لابيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها وعرف

المنصور

المنصور مذهبه وصدق قصده فلم يجد عليه فى رده علة * ومنه قول شبيب بن شيبة للمنصور وقد قال له عظنى وأوجز فقال ياأمير المؤمنين ان الله تعالى لم يرض لك أن يجعل فوق منزلتك أحدا من خلقه فلا ترض له من نفسك أن يكون عبد من عباده أشكر منك له * ومنه مارواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال لى بمكة انظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها قال اقرع الباب فقرعته فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالى ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعة فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج والتجأ الى زاوية فدخلنا وجعلنا نلتمسه بأيدينا فسبقت كف هرون الرشيد اليه قبلى فقال يالها من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله فقال خذ لما جئناك له فقال رحمك الله ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد ابن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم أخا وأصغرهم ولدا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله فاحب للمسلمين ماتحب لنفسك واكره للمسلمين ماتكره لنفسك ثم مت اذا شئت وأنا أقول لك انى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك من أصحابك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا فبكى الرشيد بكاء شديدا حتى غشى عليه فقلت له ارفق بامير المؤمنين فقال لى يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدنى رحمك الله قال ياأمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أمرنى على امارة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لاتكون أميرا فافعل فبكى الرشيد بكاء شديدا وقال زدنى رحمك الله فقال ياحسن الوجه أنت الذى يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش

لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي ولم يحاسبني عليه والويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا قال الله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فانفقها عليك وعلى عيالك تقوّ بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا اسلمك الله ووفقك ثم سكت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد زخرف مجالسه وبالغ فيها وصنع طعاما كثيرا ثم وجه الى أبي العتاهية فأتاه فقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال له في الحال

عش ما بدالك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال الرشيد دعه فانه رآنا في غفلة وعمى وكره أن يزيدنا

وآخر هذا الايقاظ وخاتمة هذه الالفاظ وصية ونصيحة أخبرني بها أحد مشايخي الامام العلامة أبو زكريا يحيى بن القاسم المدرس بالنظامية ببغداد المحروسة بمنزله بها في أوائل سنة عشر وستمائة قال أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن خميس الموصلي قال أخبرني بها الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها على يدي الى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة المدرس بالموصل يقول فيها له * قرع سمعي انك تلتمس مني كلاما وجيزا في معرض النصح والوعظ واني لست أرى نفسي أهلا له فان الوعظ زكاة نصابها الايقاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فاذا اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال

نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسي بهما فقبلت وصدقت قولا وعملا رأيت وعودت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فقد أوعد الله بالنار على ارادة الدنيا وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وارادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أكفرك وان كان المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت لها هبي انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه وان كل ما هو آت قريب وإن البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فأنت مخرجة قهرا عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه ولم تجتهد قط في التزود للآخرة كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحيي من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لاجل الشتاء وفي الشتاء لاجل الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء مالم تتفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن تختطف منها فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه الا الاحمق ثم استمرت

على صحبتها ووحدتي كما قال بعض الحكماء في الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر ولا أرى في الامم ولا أرى بتمامه متمادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسي واياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يأمل انه يمسي أو أمسى وهو يأمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صل صلاة مودع ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به ومن غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه في صلاته وسئمت نفسه فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت وتهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الا بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لا يقف عليه الا الا كياس وقليل ما هم والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأشملها وأجمعها وقال عز وعلا في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها * فهذه اشارات نافعة ومذكرات جامعة صدرت ممن تقدم عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة أعماله ثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفق لاعتبارها سامعها وينفع بها كل أذن تمر بها وكرمه مسؤل في توفيق هادوهداية وارشاد فان من وفقه الله تعالى يجعل لهدايته أسبابا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فتحصل له الهداية من حيث لم يحتسبها وتشمله العناية الربانية وهو لم يكتسبها * كما نقل عبد الله العماني

قال

قال كان منا رجل يقال له مازن وكان بقرية من عمان يقال لها سمائل وفيها صنم تعظمه بنو الصامت من طيء ومهرة ويذبحون له ويتقربون بالذبائح اليه وكان مازن هذا يعظمه قال مازن فعترنا يوما عتيرة (وهي الذبيحة) فسمعت صوتا من الصنم وأنا عنده وليس عنده غيري

يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر
بدين الله الاكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر

فقلت ان هذا لعجب وأخذني من ذلك ما أخذني ثم بعد أيام عترت عتيرة أخرى له فلما ذبحتها سمعت الصوت بعينه من الصنم * أقبل الي أقبل * تسمع ما لا يجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * فآمن به تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت ان هذا لعجب وأخذني ما أخذني وقلت ما هذا الا خير يراد بي فبينما أنا كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلت ما الخبر وراءك فقال قد ظهر رجل من قريش يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ أمري فسرت الى الصنم فكسرته قطعا وركبت جملي حتى قدمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وهديت * فهذا لما كتب له القدر الرباني بخط هدايته في سابق القضاء وقدمه أنقذه الله تعالى من الضلالة وساقه الى الهداية على لسان صنمه

وقد تجري الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة لأقوام ذوي قلوب غافلة وعيون نائمة فتوقظهم في آخر أمرهم وتورثهم من الآخرة عيشة راضية في سعادة دائمة * كما حدث صدقة بن مرداس البكري قال نظرت الى ثلاثة قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد اطرابلس وعلى كل واحد منها شيء مكتوب واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها الى جنب بعض ليس عندها غيرها فعجبت منها ونزلت الى القرية القريبة منها فقلت لشيخ جلست اليه لقد رأيت في قريتكم عجبا قال وما رأيت فقصصت عليه قصة القبور قال فحديثهم أعجب مما رأيت فقلت حدثني أمره قال كانوا ثلاثة إخوة أحدهم أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش والآخر تاجر موسر مطاع في ناحيته والآخر زاهد قد تخلى بنفسه وتفرد لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يصحب السلطان قد ولي بلادنا هذه أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان في امرته ظالما غشوما متعسفا

فلما حضرا عند أخيهما قالا له ألا توصي قال لهما لا والله ما لي مال فأوصي فيه ولا لي على أحد دين فأوصي به ولا أخلف من الدنيا شيأ فأسلبه فقال له أخوه الامير يا أخي قل ما بدا لك وما تشتهيه أن يفعل فهذا مالي بين يديك فأوص منه بما أحببت واعهد الي بما شئت لأفعله فسكت عنه ولم يجاوبه فقال له أخوه التاجر يا أخي قد عرفت مكسبي وكثرة مالي فلعل في قلبك حاجة من الخير لم تبلغها الا بالانفاق فهذا مالي بين يديك فاحكم فيه بما أحببت ينفذه لك أخوك فاقبل عليهما وقال لا حاجة لي في مالكما ولكن أعهد اليكما عهدا فلا يخالفني فيه أحد منكما قالا اعهد قال اذا مت فغسلاني وكفناني وادفناني على نشز من الارض واكتبا على قبري

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بان اله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده * ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فاذا فعلتما ذلك فائتياني كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكما تتعظان بي قال فلما مات فعلا ذلك فكان أخوه الامير كل يوم يركب في جنده حتى يقف على القبر فينزل فيقرأ عليه ما تيسر ويبكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع جنده فنزل فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورا فزعا فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال يا أخي ما الذي سمعت من قبرك قال لي تلك المقمعة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره قال وأصبح مهموما فدعا أخاه وخاصته وقال ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري واني أشهدكم أني لا أقيم بين أظهركم وترك الامارة ولزم العبادة فكتب أصحاب عبد الملك بن مروان اليه في ذلك فكتب ان خلوه وما أراد قال فصار يأوي الجبال الى أن حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فاتاه وقال يا أخي ألا توصي فقال مالي من مال فأوصي به ولكن أعهد اليك عهدا اذا أنا مت وجهزتني فادفني الى جنب أخي واكتب على قبري

وكيف يلذ العيش من كان موقنا * بان المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكا عظيما ونعمة * وتسكنه القبر الذي هو آهله

ثم تعاهدني ثلاثا بعد موتي فادع لي لعل الله أن يرحمني فلما مات فعل به أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من اتيانه اياه جاء على عادته فدعا له وبكى عند قبره فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة من القبر كادت تذهب بعقله فرجع مقلقلا فلما

كان فى الليل اذا بأخيه قد أتاه فى منامه قال فلما رأيته وثبت اليه وقلت يا أخى أتيتنا زائرا قال هيهات يا أخى بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف أخى قال ذاك مع الائمة الابرار فقلت فما أمرنا عندكم قال من قدم شيأ من الدنيا وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك قال فأصبح أخوه معتزلا للدنيا متخليا منها ففرق أمواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن الشباب والهيئة فاشتغل بالتجارة فحضرت أباه الوفاة فقال له يا أبت الا توصى قال يا بنى ما بقى لى مال لأوصى به ولكن اذا أنا مت فادفنى الى جنب عمومتك واكتب على قبرى

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدث تبلى الشباب منازله
ويذهب حسن الوجه من بعد صونه * سريعا ويبلى جسمه ومفاصله

واذا فعلت ذلك فتعاهدنى بنفسك ثلاثا وادع لى ففعل الفتى فلما كان فى اليوم الثانى سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان من الليل أتاه أبوه فى منامه وقال يا بنى أنت عندنا عن قريب والامر جاد والموت أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحوّل جهازك من المنزل الذى أنت عنه ظاعن الى المنزل الذى أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به الغافلون قبلك من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا على تضييع العمر أشد الاسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الاسف على التقصير ينقذهم من شر ما يلقاه المغبونون يوم الحشر يا بنى فبادر ثم بادر ثم بادر *قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذى حدثنى هذا الحديث فدخلت على الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا فقصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبى ولا أرى الموت الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق ويقضى ديونه ويستحل من خلطائه ومعامليه ويودعهم كهيئة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه ويقول قال أبى بادر ثم بادر ثم بادر فهى ثلاث ساعات وقد مضت أو ثلاثة أيام وانى لطيبها أو ثلاثة أشهر وما أرانى أدركها أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك قال فلم يزل يقسم أمواله ويتصدق ثلاثة أيام حتى اذا كان فى آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودعهم ثم استقبل القبلة ومد نفسه وغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال فمكث الناس حينا ينتابون قبره من الامصار ويصلون عليه فصارت

قصتهم عبرة لمعتبر وتذكرة لمذكر وكم من أمثال هؤلاء ممن هداهم الله تعالى لرشدهم فألقى فى قلوبهم حلاوة انقطاعهم وزهدهم وأيقظ بهم من جاء من الخلف من بعدهم

﴿ تنبيه واشارة ﴾ كما أن الانقطاع الى الله جل وعلا طلبا للعبادة والزهادة فى الدنيا للتفرغ لطاعته طريق موصل الى النجاة من أليم عقوبته ووسيلة مفضية الى الفوز الأكبر بدخول جنته وعنوان سعادة سالكه بتوفيقه وهدايته فقد جعل الله لهذا المطلب الأعظم طرقا أخرى وأقام لها أفواها شرح لكل واحد منهم لبلوغها صدرا وفاوت مراتب أعمالهم فى التقرب اليه فجعل لكل شئ منها قدرا فأعمها نفعا وأعظمها عند الله سبحانه موقعا وأحب فاعليها الى الله تعالى عقلا وشرعا من رزقه الله تعالى قدرة وسلطانا فأقام الحق وبسط العدل وأحب الشرع وأغاث الملهوف ونصر المظلوم وردع الظالم وقمع المفسد وجبر المكسير وفك الاسير وفرج عن المكروب وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحمى حوزة الدين ونظر فى مصالح المسلمين فهذا من أقرب الطائعين الى الله منزلة وأقومهم طريقة وأخصهم بمحبة الله تعالى له فقد نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الناس عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله والله عز وجل المسؤل أن يعضد المولى السلطان لاقامة هذه السنن

بتأييده ويجعله فى الدنيا والآخرة بانتهاج هذا السنن من أسعد عبيده

وينظم له جواهر هذه الصفات فى حلية عقوده ويمده من ملائكته

المسومين بجند يكون من أنصاره وجنوده بمحمد وآله

الطيبين الطاهرين وليكن هذا الدعاء ان شاء الله

تعالى لهذا الكتاب ختام كلماته وتمام مقاماته

وستر هفواته وتكفير سيآته

كما أنه نضرة قسماته وغرة

سماته ان شاء الله

تعالى والحمد

لله رب

العالمين

تم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول مصححاه الراجيان عفو ربهما ذي الجلال عبد الله الانصاري وعبد الجواد عبد المتعال المدرسان بالمدرسة الخديوية قد تم بعون الله الملك المجيد طبع كتاب العقد الفريد للملك السعيد لمؤلفه علامة الزمان مظهر البدائع ومعدن العرفان ذي الرقائق الحسنة والدقائق المستحسنة أبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي رحمه الله وأجزل له الثواب وجعل الجنة مقره ومأواه وهو كتاب حري بان يقتنيه الملوك والوزراء و ينحو نحوه المتوظفون والاجناد والامراء لما تضمنه من الآيات القرآنية والاحاديث الجامعة النبوية والنوادر الغريبة والحكايات ومهمات الاخلاق والصفات والسلطنة والولايات والشرائع والديانات فكان جديرا بطبعه وتيسير سبيل نفعه وذلك بمطبعة الوطن العامرة ذات التحريرات الفائقة الباهرة وقد وافق تمام الطبع أوائل شهر ربيع الاول من سنة احدى عشر وثلثمائة بعد الالف من هجرة من خلقه الله تعالى على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته ومحبيه وأحزابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❋ وذلك في عصر عزيز مصر الافخم وخديويها الاكرم عباس باشا حلمي الثاني أدام الله دولته واجلاله وأيد كلمته وأعز رجاله آمين

